دير القديس أنبا مقار

الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول

شرح وتفسير

الأب متى المسكين

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة مارجرجس

الاسكندرية

دير القديس أنبا مقار

الرسالة الأولى للقديس يوحنا الرسول

شرح وتفسير

الأب متى المسكين

كتاب: الرسالة الأُولى للقديس يوحنا الرسول
شرح وتفسير
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة: الأُولى ٢٠٠٢
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٩٠٥/٢٠٠٢
رقم الإيداع الدولي: 977-240-106-1

المحتويات

مقدمة الرسالة

خلفية الرسالة ومناسبتها ٧

رسالة يوحنا الأُولى في الكنيسة الأُولى ١٢

الرسالة في الوسط المسيحي ١٤

معالم الرسالة وتفاصيلها ١٧

تركيب الرسالة وأسلوبها ٢٠

الغاية والقصد والعقيدة ٢٣

علاقة رسالة يوحنا الأُولى بإنجيل القديس يوحنا ٢٤

أسبقية الإنجيل على الرسالة ٣٥

غرض الرسالة ٣٦

لمن أُرسلت رسالة يوحنا الأُولى ٣٧

الأعداء وأضداد المسيح والمعلِّمون الكذبة في الرسالة ٣٨

الاقتباسات التي للعلماء والآباء الأولين ٣٩

المخطوطات التي احتفظت برسالة القديس يوحنا الأُولى ٣٩

تاريخ شرح رسالة ق. يوحنا الأُولى. من قديم الزمن وحديثه المبكِّر ٤٠

الفكر اللاهوتي للرسالة ٤٠

شرح الرسالة

١ - بداية الرسالة ٤٦

٢ - اختبار الشركة أخلاقياً مع الله ٦٠

النور والسائرون فيه، والظلام والمتخبِّطون فيه ٦٠

(أ) الشركة مع الله واختبارها ٦٠

(ب) معرفة الله والطاعة ٧٦

(ج) المحبة والنور الحقيقي ٨٢

(د) الحث للأولاد والآباء لمحبة الآب إزاء محبة العالم........................ ٨٧
٣ ـ منكرو الإيمان ـ الحق والكذب.. ٩٢
(أ) الضد للمسيح والساعة الأخيرة... ٩٢
(ب) الثبوت في الإيمان.. ٩٩
٤ ـ أولاد الله والذين للشرير. الحياة والموت ١٠٣
(أ) أولاد الله ومجيء المسيح الثاني... ١٠٣
(ب) أولاد الله وأولاد الشيطان.. ١١٥
(ج) البغضة والموت في العالم والحياة والحب في الإيمان......................... ١٢٦
(د) الثقة أمام الله في الحق... ١٣٩
٥ ـ الأرواح الكاذبة وروح الله... ١٤٨
(أ) إنكار المسيح آتياً في الجسد.. ١٤٨
(ب) نصرة أولاد الله... ١٥٣
٦ ـ محبة الله وثقتنا. شهود الروح.. ١٥٨
(أ) محبة الله ومحبتنا لبعضنا البعض.. ١٥٨
(ب) أساس ثقتنا... ١٦٧
(ج) أولاد الله ووصاياه ١٧٤
(د) شهادة الروح.. ١٩٠
٧ ـ الخاتمة: تأكيدات ختامية وتوصية الله بالتمسُّك الحقيقي والحياة الأبدية............ ١٩٨
فهارس الكتاب ٢٠٩

BIBLIOGRAPHY

Brooke, A.E., *The Johannine Epistles,* ICC, Edinburgh, 1912.

Bruce, F.F., *The Epistles of John,* 1970, reprint. 1983.

Huther, J.E., *Critical and Exegetical Handbook to the General Epistles of James, Peter, John and Jude,* in H.A.W. Meyer's Commentary on the N.T., eng. transl. by T. Dwight, 1883, reprint 1983.

Kistemaker, S.J., *Exposition of the Epistle of James and the Epistles of John,* in New Testament Commentary, Baker Book House, 1986.

Williams, R.R., *The Letters of John and James,* The Cambridge Bible Commentary, Cambridge, 1965.

Westcott, B.F., *The Epistles of St. John,* London, 1883, reprint 1966.

Brown, Raymond E., *The Epistles of John,* The Anchor Bible, vol. 30, Doubleday, 1982.

Dodd, C.H., *The Johannine Epistles,* Moffatt New Testament Commentary, New York, 1946.

Plummer, Alfred, *The Epistles of St. John,* Cambridge, 1896.

مقدِّمة الرسالة

خلفية الرسالة ومناسبتها:

كانت الإمبراطورية الرومانية قد احتلت الجزء الغربي من شبه جزيرة آسيا الصغرى، ولكن قبل أن تحتلها روما بمدة ١٥٠ سنة كان هذا الجزء يتبع مملكة برجاموم، وكان حُكَّامها أصدقاء وحلفاء لروما. ومات آخر ملوك برجاموم سنة ١٣٣ ق.م وكان قد أوصى أن تُسلَّم مملكته لروما. وبعد المداولة فكَّرت روما أن تقبل هذا الإرث.

وبعد تنظيمها كمقاطعة رومانية ظل يحكمها والي وكان لقبه بروكونصول، أي نائب قنصل، كقائد عيَّنه مجلس الشيوخ في روما لمدة سنة. فكانت المقاطعة تُسمَّى قنصلية آسيا، وكان مركز إدارتها مدينة برجاموم عاصمة برجاموم القديمة، ولكنها ضُمَّت بعد ذلك إلى أفسس وبقيت كذلك مدة العهد الجديد، وكانت تُحسب من أغنى مقاطعات روما، وكانت مدنها مراكز يونانية للثقافة إلى قرون عديدة.

ودخلت المسيحية على يد مبشِّرين أفراد قبل منتصف القرن الأول، ولكن سرعان ما تأسَّست وصارت مراكز تأثير أثناء تواجد ق. بولس في أفسس للخدمة، وذلك تقريباً في صيف سنة ٥٢م حتى ربيع سنة ٥٥م. وسرعان ما أرسى ق. بولس وتلاميذه العمل الإنجيلي أثناء هذه المدة حتى سمع كلمة الإنجيل جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين. وفي أثناء هذه المدة تأسَّست السبع الكنائس المذكورة في سفر الرؤيا (للقديس يوحنا)، ويمكن أن نتتبع تاريخ المسيحية في هذه المناطق من بدء كرازة بولس الرسول حتى غزو تركيا وتغيير حال المواطنين سنة ١٩٢٣م.

وكان النشاط الذهني لمدن آسيا الصغرى ذا تأثير شديد على الإنجيل بين اليهود الذين كانوا قاطنين هذه المناطق خاصة في فريجية أقصى الشرق، فنشأت هناك عملية متّسعة من التوثيق بين الديانات القديمة وأخلاقياتها في آسيا الصغرى مع الطقوس والأنظمة وأسرارها العبادية الحديثة وأيضاً الاتجاهات الفلسفية. وسرعان ما ظهرت آثارها على المسيحيين الذين كانوا في نفس المقاطعة. ونشعر بهذه الحالة السيئة من إنذارات ق. بولس التشاؤمية في مخاطبته لأهل ميليتس وهم شيوخ كنيسة أفسس:

+ «لذلك أُشهدكم اليوم هذا أني بريء من دم الجميع. لأني لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة

الله. احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه. لأني أعلم هذا أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية. ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلّمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم.» (أع ٢٠: ٢٦-٣٠)

وكمثل مشهور وخطير، ظهر خطر التوفيق بين هرطقة كيرنثوس والمبادئ المسيحية الذي طغى على كنيسة كولوسي والمدن الأخرى في وادي ليكوس في فريجية سنة ٦١م بعد خدمة ق. بولس في أفسس بسنين قليلة، والأسوأ أن ينزلقوا بعيداً عن تعاليم الرسل كلية وذلك مذكور بوضوح في رسالة ق. بولس إلى تيموثاوس:

+ «أنت تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني الذين منهم فيجلس وهرموجانس.» (٢تي ١: ١٥)

وما أن جاءت سنة ٦٠م حتى ظهرت بشائر إحياء تعاليم الرسل في آسيا الصغرى وذلك بسبب هجرة أعداد كبيرة من مسيحيي فلسطين قبل قيام حرب اليهود بمدة يسيرة سنة ٦٦م، وكانوا أعضاء مشهورين في كنيسة قيصرية وبقية الكنائس المتمسِّكة بالتقاليد الهيلينية، الذين كانوا قد تفرَّقوا بعد رجم القديس استفانوس وأسَّسوا إرسالية في الكنيسة السريانية في أنطاكية وغيرها. والذين هاجروا منهم إلى إقليم آسيا الصغرى كان منهم المشهورون مثل فيلبُّس المبشِّر وبناته العذارى النبيَّات الذين احتفظ التاريخ بمواقع قبورهن في هيرابوليس بفريجية بآسيا الصغرى(١).

وأيضاً يوجد قبر القديس يوحنا تلميذ الرب المحبوب الملتصق اسمه بأفسس الذي كان شاهد عيان

(١) جاء ذلك في كتابات بوليكراتس أسقف أفسس إلى فيكتور أسقف روما سنة ١٩٠م. وهو يذكر ضمن "الأنوار العظيمة" الذين ماتوا ودُفنوا في قنصلية آسيا: فيلبس واثنان من بناته الذين قبرهم في هيرابوليس وبنت ثالثة التي كان قبرها في أفسس. ويوحنا الذي اتكأ على صدر المسيح الذي كان كاهنا يلبس الـ Petalon وهو معلِّم شهيد وهو أيضاً يرقد في أفسس (يوسابيوس، تاريخ الكنيسة ٣: ٣:٣١ و ٥: ٢٤: ٢). والبتالون كانت لوحة من الذهب محفور عليها اسم الجلالة ملاصقة لعمامة رئيس الكهنة. ولغة بوليكراتس عن هذه اللوحة يتصوَّرها الإنسان أمامه. وهناك شهادة أخرى من أهل فريجية ولكنه مونتاني (هرطيقي) اسمه بروكلوس يشير بوضوح إلى فيلبُّس المذكور في (أع ٢١: ٨)، إذ يذكر في مراسلة إلى غايس وهو كاهن روماني أن الأربع بنات النبيَّات اللواتي لفيلبس كانت قبورهن في هيرابوليس بآسيا وكذلك قبر أبيهن. وهذه منقولة من يوسابيوس أيضاً (تاريخ الكنيسة ٣: ٣١: ٤). وفي نفس الوقت يذكر إيرينيئوس أسقف ليون بفرنسا [أن يوحنا تلميذ الرب الذي اتكأ على صدره الذي كتب إنجيله الرابع أثناء وجوده في أفسس] (ضد الهراطقة ٣:١:١). وفي زمن ديونيسيوس أسقف الإسكندرية سنة (٢٤٧-٢٦٤م) يقول إنه كان هناك موقعان في آسيا يُقال أن في أحدهما قبر يوحنا الرسول (يوسابيوس التاريخ الكنسي ٧: ٢٥: ١٦).

لخدمة الرب.

والذي يهمنا الآن هو صلة القديس يوحنا بالثلاث الرسائل المعنونة باسمه، حيث يكفي أن نقول أن هذه الرسائل قد كُتبت بيد يوحنا الرسول تلميذ الرب وأنه الإنجيلي الرابع.

والقديس يوحنا عاش حتى سن متقدِّمة إلى أن جاء وقت كان هو الوحيد الذي يعيش من بين جميع الذين كانوا على صلة مع المسيح قبل موته وقيامته.

وإنه مسرٌّ جدًّا للنفس أن تدرك كيف أن ق. يوحنا كان محبوباً لدى كل الشعب الذي كان يتقاطر لسماعه ورؤيته إذ كانوا ينظرون ويلمسون شاهد عيان لأقوال وأعمال الرب.

ولدينا اثنان من الآباء القدامى الذين كانوا يعيشون في أوائل القرن الثاني وشاهدوا وسمعوا ق. يوحنا: بوليكاربوس أسقف سميرنا (أزمير) الذي يقص على تلاميذه الصغار مواقفه مع القديس يوحنا والآخرين الذين شاهدوه(٢). وبابياس أسقف هيرابوليس الذي قال إن الذي حصَّله من الكتب المكتوبة، يقصد الأناجيل، لا تساعدهُ قدر ما تساعده ما جاء من ذوي الأصوات الحية التي عاشرها.

كل هؤلاء الشهود يعتبرون شهادة ق. يوحنا ذات قيمة إنجيلية حيَّة فائقة الوصف، خاصة أنه قد وضع الأصول المعتمد عليها والتي تحكم على كل مَنْ يتكلَّم عن العقائد والمبادئ الصحيحة التي للمسيح، والتي سلَّمها سرًّا وعلناً لتلاميذه الذين اختارهم وآزرهم بالروح القدس ليكونوا شهوداً له. وفعلاً ظلوا يشهدون بالفم إلى أن نضج الوقت وخرجت الأناجيل المكتوبة إلى الوجود. ولكن ظلَّ التمسُّك بالتقليد إلى أقصى حد حتى الموت يرعى الذي قيل والذي كُتب.

ولكن قامت في مقابل المسيحيين التقليديين المتمسِّكين بالأناجيل وتعاليم الرسل جماعة تُسمَّى بالدوسيتيين وعقيدتهم الدوستية Docetism، والكلمة مشتقَّة من الكلمة اليونانية: δοκεῖν وتُترجم

(٢) من خطابات إيرينيئوس إلى فلورينس التي فيها يذكِّر صديقه كيف أن بوليكاربوس يُذكِّر بالأمور الخاصة بالرب التي سمعها عن عجائبه وتعاليمه وكيف أن بوليكاربوس قد تقبَّلها من شاهد عيان للمسيح كلمة الحياة وسجَّل هذه الأشياء كما هي في الكتب (يوسابيوس، تاريخ الكنيسة ٥:٢٠:٦). كذلك في خطابه إلى فيكتور الروماني على التاريخ الصحيح لعيد الفصح لأن إيرينيئوس يؤكِّد أن بوليكاربوس قد اتَّبع دائماً تاريخ ١٤ نيسان حسب تقويم اليهود السابقين دون اعتبار اليوم الذي يقع فيه (يوم الأحد أو غيره) وذلك مع يوحنا تلميذ الرب والرسل الذين كان يتبعهم (يوسابيوس، تاريخ الكنيسة ٥: ٢٤: ١٦).وغياب اسم يوحنا في تاريخ بيونيوس الذي كتب عن حياة بوليكاربوس (٢٥٠م) لا يضعف من شهادة إيرينيئوس لأن بيونيوس هو مقاوم جدًّا لتاريخ ١٤ نيسان كعيد للفصح المسيحي لأنه هو نفسه تاريخ تعييد الفصح اليهودي. ولكن يبقى ق. يوحنا أقوى وأكبر مَنْ قال بالتعييد في ١٤ نيسان.

بـ"شبه" to seem. ويقول عنهم ق. إغناطيوس الشهيد الذي عاصرهم وذلك في رسالته لأهل سميرنا، الفقرة الثانية، بعد أن شرح لهم مثبتاً الإيمان الصحيح بالمسيح يسوع أنه تجسَّد وصُلب وقام، ثمَّ أضاف أنه تألَّم بهذه الأشياء كلها من أجلنا حتى نخلص. فهو تألَّم حقًّا كما قام حقًّا بنفسه، وليس كما يقول بعض غير المؤمنين الذين يقولون إنه تشبَّه أمام الناس أنه تألَّم. وهكذا قال أيضاً في رسالته إلى أهل تراليا (١٠). وهذه الهرطقة القائمة على شرح العالم بطريقة ازدواجية انتشرت في تلك الأيام بين الذين رأوا أن المادة هي شر مطلق أمَّا الروح فهو صالح مطلق، وأنه لا يمكن أن يوجد أي وجود يجمع الاثنين، وبالتالي لا يمكن أن توجد أي علاقة بين الله الذي هو روح خالص كلِّي الصلاح والعالم المادي الذي هو كلِّي الشر. وقالوا إن خلقة العالم المادي بحسب الإنجيل يلزم أن تطرح وترفض لأن العالم المادي يلزم أن يُعتبر أنه عُمل بقوة وسيطة أقل من الله أي بما أسموه بالديميورج Demiurge أي عامل عادي public workman أي Demio-ergos أي artisan أي صانع(٣) مجرَّد صانع. وهم يدَّعون أن عقيدة القيامة يلزم أن تُطرح وتُرفض لأنها غير مقبولة للعقل الفلسفي، فهي مرفوضة بالنظر إلى الفكرة الازدواجية لخلقة العالَم. وهذه هي أصل عقيدة الدوسيتيين. وهم ينكرون أن الله يمكن أن يسكن جسداً بشرياً من لحم ودم؟ فهو (أي المسيح) ليس شخصاً حقيقياً ولكنه شخص تصوُّري شُبِّه للآخرين. وكان كيرنثوس واحداً من هؤلاء الدوسيتيين. وقد ازدهرت هذه العقيدة حوالي سنة ٩٠م من القرن الأول. ومعروف جيداً قصة القديس يوحنا لمَّا ذهب إلى أحد الحمامات العامة وسمع أن كيرنثوس ذهب إلى هناك فخرج مُسرعاً قائلاً إن سقف المبنى سينهدم بسبب أن عدو الحق فيه. والذي قصَّ هذه القصة هو إيرينيئوس(٤) وهي أصلاً قصة قد سردها القديس بوليكاربوس الشهيد. علماً بأن كيرنثوس كان قطباً لجماعة الدوسيتيين.

لذلك فإن القديس يوحنا يكتب بسلطان الرسولية جاحداً ادعاءات الدوسيتيين أن "يسوع المسيح قد جاء في الجسد"، وهو يجحد المسمَّى ديوتريفس وكنيسته:

+ «كتبت إلى الكنيسة ولكن ديوتريفس الذي يحب أن يكون الأول بينهم لا يقبلنا. من أجل ذلك إذا جئت فسأذكِّره بأعماله التي يعملها هاذراً علينا بأقوال خبيثة.» (٣يو ٩و١٠)

---

(٣) وهذه الكلمة بمفردها، ولكن ليست في هذا السياق قالها سفر العبرانيين (١١: ١٠) بمعنى: "صانعها".

(٤) [دعنا نهرب لئلاً تقع علينا بينما كيرنثوس عدو الحق فيها]. وقد قالها إيرينيئوس في (ضد الهرطقات ٣:٣:٤) كقصة سمعها من بوليكاربوس.

لأنه يظهر أن هذا الشخص من الدوسيتيين، ولكن لغة ق. يوحنا توضِّح أنـه قـادر أن يضعـه في حجمه من زيارة واحدة قام بها إلى هذه الناحية. لأن ق. يوحنا مُعتبَر أنه يمثِّل الحقيقـة بـالحق وقـد صار مصدر وخزانة التقليد الحي(٥) الصحيح للإنجيل(٦). فما بالك أن يضيف ق. يوحنا إلى التقليد الذي شاهده ويعلِّم به سلطان المسيح نفسه الحي والناظر من السماء والعامل القـوي بروحـه الـذي استودعه تلاميذه. فعندنـا هنـا في رسـالة يوحنـا الأُولى نمـوذج حي للتقليـد المؤيَّـد بـالإنجيل والرسـولية والمسيح الحي وروحه القدوس.

وهذا نجده في الرسالة الأُولى للقديس يوحنا مضيئاً بروح ق. يوحنا المدعو بالشيخ في الرسالة الثالثـة، ولو أنه لم يذكر اسمه ولكنه قد ذكر شخصه ومهابته ودرجته بين الرسل. وقـد اهتـم في رسـالته أن يتعامل مع هرطقة ذلك الزمان والتي كانت قد ابتلعت كثيرين من مدَّعي الفلسفة والمعرفة العقليـين. وهو يرجو لجماعته أن تحمل هذا التعليم للجميع. ونجد المخاطبـة المباشـرة في (١يـو ٢: ١٢-١٧): «أكتب إليكم أيها الأولاد ... أكتب إليكم أيها الآباء ... أكتب إليكم أيها الأحداث» هذا يعـني أنه لا يخاطب كنيسة ولكن بدافع من إحساسه بقُربه من جميع الذين يدعوهم، لأنه سبق أن رآهـم ورأوه، فهو يتكلَّم من علاقة صميمة ووثيقة مسنودة بالتعليم الرسولي والتقليد الأصيل.

وهو يتكلَّم عن انفصال الأشخاص الرافضين الإيمان الصحيـح مـن كنيسته ومـن وسـط شـعبه: «منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعاً منّا» (١يو ٢: ١٩)، وفي (١يو ٤: ٤) يتكلَّم عن مشادة كلامية في الموضوع المتخالف عليه وهو وجهـة نظر الكنيسة التقليدية بواسطة ق. يوحنا:

+ «أنتم مِنَ الله أيها الأولادُ، وقد غلبتموهم لأن الـذي فيكـم أعظـم مِـنَ الـذي في العـالم. هُـمْ مِـنَ العالم. مِنْ أجل ذلك يتكلَّمون مِنَ العالم، والعالم يسمع لهم (هكذا دائماً الأمور العقلية والفلسـفية تُقبَل في العالم). نحن مِنَ الله (جهالة الله أحكم من الناس). فمَنْ يعرف الله يسمع لنا، ومَنْ ليس مِنَ الله لا يسمع لنا. مِنْ هذا نعرف روح الحقِّ وروح الضلال.» (١يو ٤: ٤-٦)

---

(٥) يُقال عن القديس يوحنا: [إن يوحنا كان يسلك حياته في حرية وسـلطان لاتقين بمن لسـان حاله يقـول: "أنـا هـو التقليد "La Tradition c'est moi!] (Bruce, *op. cit.*, p. 23, n. 12).

(٦) يقول العالِم بروس في كتابه المذكور (صفحة ٢٤ حاشية ١٣) نقلاً عن J.A.T. Robinson:

[إن رسائل ق. يوحنا يمكن أن يُقال عنها إنها تُقدِّم حقائق حيَّة لدوام التقليد في كل من ذاكرة هذا الشيخ وفي حياة الجماعة التي كانت تعيش آنذاك، سواء الذين يخاطبهم أو الذين كانوا ملتصقين بيوحنا الذين كانوا يسمعونه منذ البدء].

رسالة يوحنا الأُولى في الكنيسة الأُولى:

الرسالة كانت معروفة جيداً في مقاطعات آسيا الصغرى في فجر التاريخ مبكِّراً من القرن الثاني. فالقديس إغناطيوس الشهيد (١١٠م) أسقف أنطاكية رجع إلى الرسالة في موضع أو اثنين خاصة في رسالته إلى كنيسة أفسس(٧) عندما تكلَّم عن تجسُّد المسيح "الإله صار في الجسد" = (١يو ٤: ٢و٣). وأيضاً رجع إليها كلٌّ من ق. بوليكاربوس في رسالته إلى كنيسة الفيلبيين(٨) (سنة ١٢٠م) وبابياس المعاصر لبوليكاربوس. ويوسابيوس يقول إن بابياس قد استخدم رسالة يوحنا(٩). كما يوجد من القرن الثاني أيضاً من وُجِدَت في كتاباتهم آثار من رسالة يوحنا الأُولى، وهو الهرطوقي فالنتينوس(١٠)، ويوستين الشهيد الذي استشهد في روما(١١)، والمجهول صاحب الرسالة "إلى ديوجنيتوس"(١٢).

وأخيراً نذكر إيرينيئوس أسقف ليون(١٣) وترتليان الذي من قرطاجنة(١٤) الذي كان يأخذ من هذه الرسائل دائماً وبتكرار وينسبها إلى ق. يوحنا كسلطة لا تُراجَع.

وفي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث كانت رسائل يوحنا معروفة في روما بل ومسجَّلة في الكنيسة كرسائل قانونية. وقد وجدت في قائمة موراتوري لكتب العهد الجديد التي أُخذت إلى روما سنة ١٩٠م. وُجِدت مكتوبة في مخطوطة باللغة اللاتينية من القرن السابع أو الثامن، واكتشفت وطبعت سنة ١٧٤٠م بواسطة الكاردينال L.A. Muratori وهي الآن موضوعة في مكتبة أمبروسيوس بميلان، وبها استشهادات من افتتاحية رسالة يوحنا الأُولى وعلاقتها بالإنجيل الرابع. وكاتب هذه

(٧) إلى الأفسسيين (٧: ٢) حيث كان يقول ق. إغناطيوس صراحة إن المسيح هو الله (بروس صفحة ٢٤).

(٨) "كل واحد لا يعترف بأن المسيح قد جاء في الجسد هو ضد المسيح". إلى الفيلبيين (٧: ١) (بروس صفحة ٢٤)

(٩) يوسابيوس (التاريخ الكنسي ٣:٣٩:١٦).

(١٠) فالنتينوس الهرطوقي في كتابه: "إنجيل الحق" ألَّفه سنة ١٤٠م:

١ – "الآب يعلم كل شيء" (٢٧: ٢٤) وهي موجودة في (١يو ٣: ٢٠): "لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء".

٢ – "وقد جاء في الجسد" (٣١: ٤) وقد جاءت في (١يو ٤: ٢ إلخ).

(١١) يوستين الشهيد: "ونحن ندعى المولودين حقًّا من الله، وهكذا نحن إن حفظنا وصاياه" (*Dialogue with Trypho* 123.9) وهو مثل ما جاء في (١يو ٣: ١، ٢: ٣).

(١٢) ديوجنيتوس: "ما أعظم الحب الذي يجب أن تحبوا به ذلك الذي أحبَّنا أولاً" (ديوجينيتوس ١٠:٣) وقد جاءت في (١يو ٤ :١٩).

(١٣) إيرينيئوس ضد الهرطقات (٣:١٦:٥).

(١٤) ترتليان ضد مارقيون (٥:١٦).

المجموعة أراد أن يؤكّد أن الإنجيل يُعطي البراهين من شاهد عيان، ويستمر ليقول: "فأي عجيبة إذن أن يوحنا في رسائله يضع بشجاعة ثابتة هذه الخبرات واحدة وراء الأخرى قائلاً عن نفسه: ما رأيناه بعيوننا وسمعناه بآذاننا ولمسناه بأيدينا هذا ما نكتب عنه لكم. لأنه بهذه الكلمات ينادي بأنه ليس فقط كان ناظراً وسامعاً بل وأيضاً كاتباً لكل عجائب الرب بنظام وترتيب"(١٥).

وفي آخر هذه المجموعة وُضِعَت رسالتان ليوحنا يُقال أنهما كانتا موجودتين في الكاثوليكا، بمعنى أنها كانت ضمن الرسائل الموجَّهة للكنيسة الجامعة، ويذكر أنهما تتبعان الرسالة الأُولى(١٦). ولكن الرسالة الثالثة للقديس يوحنا كانت مترجمة إلى اللاتينية بواسطة مترجم آخر غير الذي ترجم الرسالتين الأُولى والثانية(١٧). وربما كانت روما لا تعرف إلاّ الرسالة الأُولى والرسالة الثانية فقط كما كان الحال في الإسكندرية. والعلاّمة كليمندس كان يعرف رسالتين فقط(١٨)، ولو أنه بعد قرن أو اثنين وفي الإسكندرية نفسها تعرّف كل من أوريجانوس وديونيسيوس على الرسالة الثالثة للقديس يوحنا. فأوريجانوس سنة ٢٣١م يقول إن ق. يوحنا قد ترك رسالة من سطور قليلة تتبعها رسالة ثانية وثالثة(١٩). ويوسابيوس يقرِّر سنة ٣٢٥م أن الرسالة الأُولى للقديس يوحنا إنما تتبع الكتب المعترف بها *homologoumena* ولكن الثانية والثالثة كان عليهما نزاع (disputed) *antilegomena* لأنهما ربما يكونان من تأليف ق. يوحنا أو عمل إنسان آخر في نفس الزمن بنفس الاسم(٢٠).

والنسخة الأصلية للبشيتا السريانية (ترجمة الإنجيل) التي نُشرت مبكِّراً في القرن الخامس تحوي الرسالة الأُولى ولكنها لا تحوي الرسالة الثانية ولا الثالثة.

ولم يحدث قبل أن أتى فيلوكسينوس وأعطى نسخته سنة ٥٠٨م (حيث وُجدت الرسالتان مع رسالة بطرس الثانية ويهوذا والرؤيا)، أن الرسالتين الثانية والثالثة كانتا موجودتين في نسخة العهد الجديد بالسريانية.

والرسالة الأُولى إنما تتبع رسمياً مجموعة أسفار العهد الجديد المدعوة رسائل كاثوليكية أي عامة

(١٥) قانون موراتوري في سطر ٢٦ إلى ٣٤.

(16) P. Katz, "The Johannine Epistles in the Muratorian Canon", *JTS*, 1937, pp. 273 f.

(17) A Harnak, cited by F.F. Bruce, *op. cit.*, p. 24, n. 26.

(18) Clement of Alex. *Stromata*, II, 15, 66; *Adumbrations* IV, 437, etc...

(١٩) ذكرها يوسابيوس في التاريخ الكنسي ٦:٢٥:١٠

(٢٠) يوسابيوس التاريخ الكنسي ٣:٢٤:١٧

لأنها غير موجَّهة إلى أي أشخاص أو كنائس. وأوريجانوس هو أول من أطلق كلمة كاثوليكية على رسالة ق. يوحنا الأُولى(٢١) وتلميذه ديونيسيوس أسقف الإسكندرية يتكلَّم عن رسالة يوحنا الأُولى كرسالة يوحنا الكاثوليكية(٢٢). وربما يكون ذلك لأنها ليست موجَّهة لأحد، مثل الرسالتين الثانية والثالثة(٢٣). ولكن أخيراً عندما دخلت الرسالتان الثانية والثالثة عوملتا بأنهما ضمن السبع رسائل الكاثوليكية [يعقوب، بطرس الأولى والثانية، يوحنا الأُولى والثانية والثالثة، يهوذا](٢٤) وكان هذا يعني أنها قانونية(٢٥).

وكلمة قانونية تعني أنها تُعامل معاملة رسائل بولس الرسول.

والثلاث رسائل للقديس يوحنا مذكورة في قائمة القديس أثناسيوس التي بها ٢٧ كتاباً للعهد الجديد مكتوبة سنة ٣٦٧م. وفي قائمة مجمع هيبّو سنة ٣٩٣م وقرطاجنة سنة ٣٩٧م.

الرسالة في الوسط المسيحي:

رسالة ق. يوحنا الأُولى رسالة حيَّة ناطقة بالمحبة كطائر السلام الذي يطير فوق كل الرؤوس يُرسل صوت المحبة ويشع بنور السلام لكل من يسمعه، ويهدي صوته لكل قلب.

قرأتها الأجيال كلها فكانت أعلى صوت يُبشِّر بالحب والسير في النور واستنشاق عبير التقليد القديم من فم آخر تلميذ حي من تلاميذ المسيح، يُزكِّيها صوت الشيخوخة الذي ينطق بالحق من وسط الآلام، وبالصدق من وسط الانحرافات التي كانت تعصف بأصحاب الحق. ويسلِّمنا نظرة عين للمسيح وكلمة في الأذن ولمسة يد حتى نكون شركاء الحياة التي أُظهرت وكانت مخفية في الآب منذ الأزل.

القديس يوحنا كالقديس بولس، أصحاب سرِّ المسيح، السرِّ الذي لم يعرفه أحد ولكن استعلن لهم من فوق المكتوب كله، سرٌّ ما كان يدور في قلب الله في الأزلية من جهة نصيب الإنسان ومستقبل وجوده بين السمائيين، سرُّ بركاتٍ أخذ منها الآباء الأولون بلا كيل ووزَّعوها على الأبناء والأحفاد بلا حدودٍ، بركات لن تفرغ، ولن تستطيع خطايا المختارين أن تقلل من ثقلها. والقديس

(٢١) على إنجيل ق. متى ١٩:١٧

(٢٢) مذكور بواسطة يوسابيوس في التاريخ الكنسي ٧:٢٥:٧و١٠

(٢٣) مذكور بواسطة يوسابيوس في التاريخ الكنسي ١١:٢٥:٧

(٢٤) يوسابيوس يذكر السبع رسائل مسمَّاة الكاثوليكية في التاريخ الكنسي ٢٥:٢٣:٢

(٢٥) ولذلك جيروم تارة يسميها كاثوليكية وتارة يسميها قانونية.

يوحنا يتقابل مع ق. بولس في تجليات ورؤى اقتطعوا منها وأطعمونا كالمن السماوي خبز الملائكة، مَنْ يأكله لا يشبع أبداً.

بولس الرسول صاحب المقولة إن «المسيح يحيا فيَّ»، والقديس يوحنا صاحب المقولة إن «المولود من الله لا يمكن أن يخطئ أبداً لأن زرع الله فيه». كلمات مشعة بنور المسيح تهدي الإنسان طريق الحياة الأبدية، يسيرها بلا أقدام، يسيرها طائراً بالروح لئلاً تعثر بحجر رجله. لأنه إن كان المسيح يحيا فينا أو إن كنا مولودين من الله فنحن أبناء السماء وبقوة السمائيين نعيش على الأرض مديداً أو قصيراً، فالنهاية فوق مع المسيح، شيء نحن مستعدون أن نبيع أنفسنا ونبيع الحياة على الأرض كلها لكي يكون لنا هذا.

مَنْ يؤمن ويصدِّق ويثق أنه مولود من الله ويخطئ؟ إن كان هذا يداعب فكرنا فكم بالحري إن كان حقًّا هو أكيد، وقد وُلِدنا وانتهى الأمر. فأصبح السؤال ليس كيف أخطئ بعد بل كيف أعيش لإرضاء الجسد وشهواته أو أرضى أن أكون مولود الأرض وأحيا لمسرَّاتها!

وكأن القديس يوحنا فسَّر قول المسيح إننا مولودون من فوق تفسيراً فصيحاً فقال: إننا مولودون من الله. والمسيح جعل حدًّا فاصلاً مانعاً واضحاً بين ولادة الأرض وولادة السماء، فقال إن المولود من الروح هو روح والمولود من الأرض والجسد هو جسد. فالجسد في اعتبار ق. يوحنا معرَّض للخطية، وطالما نحن لابسون الجسد فإن قلنا إننا لم نخطئ نكذب وليس الحق فينا، ولكن لأننا قد وُلِدنا من فوق وصرنا أولاداً لله فيستحيل على ابن الله أن يخطئ لأنه مولود من الله وزرع الله فيه أي بذرة الحياة الأبدية. لذلك عاد ق. يوحنا ليوضِّح هذا الالتباس أنه إن اعترفنا بخطايانا تغفر لنا وكأنها لم تكن. وهنا يغلِّب الروح على الجسد، وينصر الولادة من الروح فوق الولادة من الجسد ويلغي سالبيتها. وكأننا إن ولدنا من الروح وصرنا أولاد الله محونا عار الجسد وأبطلنا الخطية بالروح: لهذا وُلِدَ المسيح وصُلب وسُفك دمه. ودمه الذي أعطانا هو هو الحياة الأبدية "لأن الروح في الدم". لذلك بعد أن أخذنا المسيح تمَّ فينا قول المسيح: «كل خطية وتجديف يُغفر للناس» (مت ١٢: ٣١). وصحَّ قول القديس يوحنا: «يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البارُّ. وهو كفَّارةٌ لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو ٢: ١و٢)

ولكن لا يزال في قول ق. يوحنا سرٌّ خطير وهو أن المولود من الله **لا يستطيع** أن يُخطئ لأن

زرع الله الذي فيه، أو لأن بذرة الحياة الأبدية التي فيه غير قابلة للخطية. القديس يوحنا هنا يحوم حول الخليقة الجديدة التي نلناها بقيامة المسيح، الإنسان الجديد، المولود من الله، ابن فوق، ابن السماء. فإن أخطأنا بالجسد فالاعتراف بالخطية تُلاشيها كفّارة المسيح ويبقى المولود من الروح من الله كما هو بلا خطية.

ولكن الخوف أن تقوى الخطية وتتملّك الإنسان ولا يكون اعتراف بالخطية ولا غفران. هنا يبقى الإنسان المولود من الجسد جسد هو ولا يُحسب للروح في شيء.

لذلك أكّد المسيح بشدّة على أن كل خطية وتجديف تغفر للناس إن هو آمن بالمسيح واشترك في الجسد والدم ونال حق الغفران والصلح وصار المسيح له شفيعاً لدى الآب. فالمولود من الله عند ق. يوحنا هو إنسان قد حصل على شفاعة المسيح الكلية الدائمة، فنحّى الجسد من الطريق وصار الإنسان مولوداً من الروح روحاً لا يخطئ. وبالنهاية يستودع الجسد التراب ويطير إلى فوق ليحتضن مَنْ وَلَده.

ثمَّ نقول للقارئ السعيد إن ق. يوحنا من أعماق خلقته الجديدة، ومن أعماق حياته في المسيح وقوة المسيح الذي فيه نطق بهذا السر الرهيب: إن المولود من الله لا يخطئ. ليس هذا تعليماً بل هو سر التجديد، سر العالم الآخر، السر الذي اقتطعه المسيح من لحمه ودمه وأعطانا خبز الحياة الذي مَنْ يأكل منه لا يُخطئ ولا يموت أبداً. ليس هو تعليماً، ويستحيل لأي إنسان مهما بلغ من برّ وتقوى أن يبلغ هذا السر ولا حتى أن يعرفه، إنه سر مُعطى موهوب، سر القيامة الرهيب، هو هو حال الجسد القائم من الأموات بعد أن سدَّد الديون ودفع الغرامات ونال العتق والحرية والتبني للإنسان. على هذا الأساس قال ق. يوحنا بكل صراحة وقوة الحق: "أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح". وتمَّ ما تمنّاه الرب يسوع في صلاته الأخيرة: «ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (يو ١٧: ٢١). لذلك امتدَّ ق. يوحنا بكل جرأة بخبرته السماوية العالية ليقول: «لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا... ويكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ٣و٤)

ثمَّ انظر معي أيها القارئ السعيد كيف كتب ق. يوحنا إنجيله بإملاء الروح فجاءت المعارف اللاهوتية عالية رهيبة خطيرة، مَن ذا يستطيع أن يتصوَّرها أو يعيها أو يقترب منها؟ أن نكون واحداً مع الآب والابن كما جاء في (يو ١٧) أمر يفقد العقل ويعطّل الفكر ويجعل الإنسان يصمت لأن

الكلام أعلى من ملكات التفكير. ثمَّ يجيء القديس يوحنا نفسه في رسالته الأولى ويقول نفس الكلام بصورة تجعل الإنسان يتعجَّب: «أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح». هكذا، عمليًّا وبالخبرة، بلغ القديس يوحنا الوحدة التي تكلَّم عنها لاهوتياً فما أدركناها. ولكن هنا على مستوى الخبرة، خبرة مَنْ رأى وسمع ولمس الحياة الأبدية، الكلمة المتجسِّد الذي كان عند الآب وأُظهر لنا بالتجسُّد، لكي ليس فقط نراه ونسمعه وندركه بل ونأكله أكلاً حقيقياً: «جسدي مأكلٌ حقٌّ ودمي مشربٌ حقٌّ» (يو ٦: ٥٥)، لتصبح لنا شركة روحية عالية وفائقة على مستوى الوحدة فيه، فكما أراد هو أن يكون أكمله بنفسه ومن جسده ودمه، وهذه هي الشركة وهذه هي الوحدة.

الإنجيل الذي كتبه ق. يوحنا كان إملاءً من روح المسيح، أمَّا الرسالة التي كتبها ق. يوحنا فهي إدراكه السر إدراكاً واعياً عاملاً فعَّالاً ملأ فكره وقلبه ووعيه وكل كيانه، فأخذ المسيح أخذاً سريًّا فعَّالاً غيَّر كل ما كان ليوحنا فصار المسيح حيًّا في يوحنا، ومن سر المسيح أُعطي أن يكتب لنا هذه الرسالة ليستودعها خزانة الكنيسة الملء الذي يملأ الكل.

وهذه الرسالة في الاعتبار الكنسي تُحسب أقوى تقليد مُسلَّم، فهي خبرة أقوى التلاميذ روحانية يُسلِّمها بعد أن بلغ مائة سنة في حقل الكنيسة الحافل بالقديسين والشهداء والخبرات. وهو تقليد قائم على نصوص إنجيلية حيَّة. والذي كتب الإنجيل هو بعينه الذي كتب الرسالة، فهي خبرة إنجيلية خالصة كما رأينا، وتطبيق عملي على أقوال المسيح التي كان يخاطب بها الآب معبِّراً عن قمة مطالبه من الآب من جهة الإنسان الذي كان قادماً من أجل فدائه. كما أنها تعطينا صورة حيَّة مفرحة لحال الكنيسة حتى بزوغ القرن الثاني مُقادة بأحد التلاميذ، يرن فيها صوت الإنجيل مع صوت الرسولية يقودها نور المسيح. ولكن الظلمة تحاول أن تعرقل مسيرة النور، ويحارب ق. يوحنا حروب الرب وسيف المحبة يقطع بالكلمة ليفرِّق بين مَنْ هو للمسيح ومن هو لعدو المسيح، واضعاً المحبة كحجر المحك ليجتثّ العداوة من أصولها، فيغلب أولادُ الله.

معالم الرسالة وتفاصيلها:

إذا استثنينا مقدِّمة الرسالة وخاتمتها، يمكن بسهولة تمييز قسمين يتّصفان بالمجادلة والنقاش:

القسم الأول: (٢: ١٨-٢٧)

القسم الثاني: (٤: ١-٤)

القسم الأول	القسم الثاني
+ «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة. وكما سمعتم أن ضدَّ المسيح يأتي، قد صار الآن أضدادٌ للمسيح كثيرونَ. مِنْ هنا نعلم أنها الساعةُ الأخيرةُ. منَّا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منَّا، لأنهم لو كانوا منَّا لبقوا معنا. لكن لِيُظهَروا أنهم ليسوا جميعهم منَّا. وأمَّا أنتم فلكم مسحةٌ من القدوس وتعلمون كل شيء. لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق، بل لأنكم تعلمونه، وأن كلَّ كذبٍ ليس من الحقِّ. مَنْ هو الكذاب، إلاَّ الذي يُنكر أن يسوع هو المسيح؟ هذا هو ضد المسيح، الذي ينكر الآبَ والابن. كل مَنْ ينكر الابن ليس له الآب أيضاً، ومَنْ يعترف بالابن فله الآب أيضاً. أمَّا أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبت إذاً فيكم. إن ثبت فيكم ما سمعتموه مِنَ البدء، فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآبِ. وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به: الحياة الأبديَّة. كتبتُ إليكم هذا عن الذين يضلونكم. وأمَّا أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتةٌ فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلِّمكم أحدٌ، بل كما تعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حقٌّ وليست كذباً. كما علَّمتكم تثبتون فيه».	+ «أيها الأحباءُ، لا تصدِّقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح: هل هي مِنَ الله؟ لأن أنبياءَ كذبةً كثيرينَ قد خرجوا إلى العالم. بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو مِنَ الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فليس مِنَ الله. وهذا هو روح ضدِّ المسيح الذي سمعتم أنه يأتي، والآن هو في العالم. أنتم منَ الله أيها الأولادُ، وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم مِنَ الذي في العالم».

والذي ينير أمامنا البحث هو أن مجال المحبة يسود على الجزء الأوسط من الرسالة وخاصة من (٣: ١١ – ٤: ٢١)، بينما الجزء الأول يهتم أكثر بالبر والطاعة، والجزء الذي يختم الرسالة يهتم

بالإيمان والثقة، ولو أن كل هذا يأتي معاً مترافقاً. والقارئ يلاحظ أن الفكرتين المختصتين بقلب الرسالة تتكرَّران:

(أ) الشركة الحقيقية مع الله تحتاج إلى البر وهذا يأتي منذ بدء الرسالة.

(ب) المؤمنون قد أُعطوا تأكيداً متكرِّراً من جهة نصرتهم فوق العالم ولهم أساس الثقة في وجه الله الديَّان.

ويمكن تقسيم الرسالة للشرح كالآتي:

١ ـ بداية الرسالة: (١ : ١ـ٤).

٢ ـ اختبار الشركة أخلاقياً مع الله: النور والسائرون فيه. والظلام والمتخبِّطون فيه (١: ٥ـ٢: ١٧):

(أ) الشركة مع الله واختبارها (١: ٥ـ١٠)

(ب) معرفة الله والطاعة (٢: ١ـ٦)

(ج) المحبة والنور الحقيقي (٢: ٧ـ١١)

(د) الحث للأولاد والآباء لمحبة الآب إزاء محبة العالم (٢: ١٢ـ١٧)

٣ ـ منكرو الإيمان. الحق والكذب: (٢: ١٨ـ٢٧):

(أ) الضد للمسيح والساعة الأخيرة (٢: ١٨ـ٢٣)

(ب) الثبوت في الإيمان (٢: ٢٤ـ٢٧)

٤ ـ أولاد الله والذين للشرير: الحياة والموت (٢: ٢٨ـ٣: ٢٤):

(أ) أولاد الله والمجيء الثاني للمسيح (٢: ٢٨ـ٣: ٣)

(ب) أولاد الله وأولاد الشيطان (٣: ٤ـ١٠)

(ج) البغضة والموت في العالم والحياة والحب في الإيمان (٣: ١١ـ١٨)

(د) الثقة أمام الله في الحق (٣: ١٩ـ٢٤)

٥ ـ الأرواح الكاذبة وروح الله: (٤: ١ـ٦):

(أ) إنكار المسيح آتياً في الجسد (٤: ١ـ٣)

(ب) نصرة أولاد الله (٤: ٤ـ٦)

٦ ـ محبة الله وثقتنا ـ شهود الروح: (٤: ٧ـ٥: ١٢)

(أ) محبة الله ومحبتنا لبعضنا البعض (٤: ٧ـ١٢)

(ب) أساس ثقتنا (٤: ١٣-١٨)
(ج) أولاد الله ووصاياه (٤: ١٩-٥: ٥)
(د) شهادة الروح (٥: ٦-١٢)

٧ - الخاتمة: تأكيدات ختامية وتوصية بالتمسُّك بالله الحقيقي والحياة الأبدية (٥: ١٣-٢١)

تركيب الرسالة وأسلوبها:

لا تحمل الرسالة الأُولى البادئة المعتادة للرسالة، وهكذا تشبه هذه الرسالة الرسالة إلى العبرانيين. ولكن بعكس الرسالة إلى العبرانيين، فإنها تحمل سمات الرسالة، خاصة وأن كاتبها رسول وتلميذ. وتركيب الرسالة ومخاطبة الذين يكتب لهم تعطيها أحقية أن تكون رسالة. ولا توجد أيَّة ملامح توضِّح مَنْ هو الكاتب، ولا حتى المُرسَل إليهم، ولو أن الكاتب يتصوَّر أمامه مَنْ يكتب إليهم وحالهم بحرارة وسلطان. وتكرار قوله: «يا أولادي أكتب إليكم هذا» (٢: ١) وتكرار: "أنا" و"أنتم" تعطي الصفة الشخصية للتواصل. أمَّا الظروف المذكورة (٢: ١٩-٢٦، ٤: ٤) والحث الموجَّه للمؤمنين (٣: ١٧و٢٠، ٥: ١٦و١٧) فإنها توضِّح اهتمام الكاتب بالموقف الحادث في الكنائس لمنطقة معيَّنة، ففكره منشغل بالحياة المسيحية ككل وخاصة ما يدور في تلك الأيام. فالرسالة على أي حال كما يقول العالِم وستكوت هي رسالة رعوية، أو كما يقول وندش Windisch رسالة دينية. أو كما يقول العالِم Dodd دود: "مقالة محذِّرة" مرسلة لعدة جماعات مسيحية في هذه المنطقة يمت إليهم القديس يوحنا بصلات.

أمَّا أسلوب الرسالة فهو متميِّز بالوضوح والبساطة في التعبيرات بعد المقدِّمة، شديدة الوقع. ولكن مثل الإنجيل الرابع فتجد عبارة مضافة لعبارة، وحقيقة مضافة لحقيقة بأقل ما يمكن من الربط أو الاتصال ليعتمد الواحد على الآخر. كذلك حركة الفكر وتتابع المواضيع مربوطة ببعضها برؤية عميقة شخصية. فهنا نوع من الوعظ بأسلوب مناسب لكل قارئ في صميم العبادة وهو أسلوب مناسب لِسِنِّ الكاتب، ولكن يتَّسم بالتعبير الشخصي، مقارناً البر بالشر، والحق بالكذب، وأسئلة ذات أسلوب أدبي بلاغي. واستخدام الكاتب للتوازي واضح جزئياً ولكن له رنَّة الوعظ وله سمة الكاتب الشخصية.

والرسالة تمتاز عن الإنجيل بلفت نظر السامع إلى الكلام باستخدام الأسلوب المنبِّه للفكر:

+ «وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به: إن الله نورٌ وليس فيه ظلمةٌ البتَّةَ.» (١: ٥)

+ «ومَنْ يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا.» (٣: ٢٤)
+ «في هذا هي المحبةُ: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا.» (٤: ١٠)

وهكذا يحاول أن يوضِّح الكلام بما يشبه الحوار مع نفسه.

ويمتاز ق. يوحنا في رسالته باستخدام حقيقة إيجابية في صيغة سلبية:
+ «لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق، بل لأنكم تعلمونه، وأن كلَّ كذبٍ ليس من الحقِّ.» (٢: ٢١)

كما أن أسلوب ق. يوحنا من جهة استخدام الجمل الشرطية في مختلف الأشكال البلاغية في رسالته واضح وهذا غير موجود في الإنجيل مثل:
+ «يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البارُّ.» (٢: ١)
+ «إن علمتم أنَّه بارٌّ هو، فاعلموا أن كل مَنْ يصنع البرَّ مولودٌ منه.» (٢: ٢٩)
+ «لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا، ويعلم كل شيءٍ.» (٣: ٢٠)
+ «إن كنَّا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم، لأن هذه هي شهادة الله التي قد شَهِدَ بها عن ابنه.» (٥: ٩)

كذلك فإنه يستخدم ذكر الأشياء العامة المعروفة والمشروحة هكذا: «نحن نعلم»، «أنتم تعلمون»، «إن علمتم»، «كما سمعتم»، «الذي سمعتموه منذ البدء».

والذي يشدّنا أكثر إلى أسلوب ق. يوحنا هو الشكل والبلاغة في الكلام، فهو يعطي المعلومة كاملة ثمَّ يأخذ جزءًا منها ويضخِّمه. كذلك فإن المقدمة التي يقدِّمها توضِّح انطلاقة رؤيوية مضيئة تمسك الحق مسكاً وتخضعه للكتابة بأسلوب وكلمات هنيَّة بسيطة مذهلة. لذلك فالقديس يوحنا في الرسالة الأُولى يتيمَّز بتركيباته الخاصة وإليك بعض النماذج:
+ «أن كل مَنْ يصنع البرَّ مولودٌ منه.» (٢: ٢٩ ب)
+ «كل مَنْ يفعل الخطية يفعل التعدِّي أيضاً.» (٣: ٤)
+ «كل مَنْ يثبت فيه لا يُخطئُ.» (٣: ٦ أ)
+ «كل مَنْ يُخطئُ لم يُبصره ولا عرفه.» (٣: ٦ ب)

+ «مَنْ يفعل البر فهو بار.» (٣: ٧)
+ «من يفعل الخطية فهو من إبليس.» (٣: ٨ أ)
+ «كل مَنْ هو مولودٌ من الله لا يفعل خطيةً، لأن زرعه يثبتُ فيه.» (٣: ٩ أ)
+ «كل مَنْ لا يفعل البرَّ فليس من الله.» (٣: ١٠ ب)
+ «كل مَنْ يبغض أخاه فهو قاتل نفسٍ.» (٣: ١٥)

وبدراسة هذا الأسلوب ينكشف لنا توازن مدهش في تفكير ق. يوحنا ببساطة مشتبكة مع فن رفيع وعمق في التفكير.

كذلك يعترض هذا الأسلوب أسلوب آخر يزيده عجباً وعمقاً:

+ «مَنْ قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذبٌ وليس الحق فيه.» (٢: ٤)
+ «وأمَّا مَنْ حفِظَ كلمته، فحقًّا في هذا قد تكمَّلت محبة الله.» (٢: ٥ أ)
+ «مَنْ قال إنه في النور وهو يبغض أخاهُ، فهو إلى الآن في الظلمةِ.» (٢: ٩)
+ «مَنْ يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرةٌ.» (٢: ١٠)
+ «وأمَّا مَنْ يبغض أخاه فهو في الظلمةِ، وفي الظلمةِ يسلك، ولا يعلم أين يمضي، لأن الظلمة أعمت عينيه.» (٢: ١١)

هنا أسلوب ق. يوحنا يوضِّح كيف يضع المتساوي مع المتعارض في جمل منسَّقة لتظهر المعرفة واضحة. فهنا بيان شعري موزون يجمع المتعارض مع المتساوي في انسجام بليغ. وقد بدأ هذا الأسلوب السلس من بدء القول: «أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة».

ومن أهم الدعائم التي تقوم عليها الرسالة هي جحد ومقاومة الأفكار "الدوسيتية" أي الشبهية، إذ كانت قد زادت جدًّا في أيامه، حيث يقول عنهم ق. إيرينيئوس إن هذه المنظومات الهرطوقية التجديفية كانت تُقسِّم الرب بكل قوتها قائلة إنه كان مكوناً من شخصين مختلفين انضما ثمَّ افترقا[٢٦]. هذه الهرطقة سادت في زمن القديس يوحنا وفي منطقته التي كان يبشر فيها كما انتشرت أيضاً الغنوسية في أيامه. لهذا جاهد ق. يوحنا في رسالته لكي يحفظ الكنيسة غير منقسمة، وألقى بكل ثقله الرسولي في مقاومة هذه البدع وليمسك بزمام وحدة الكنيسة ويضعها في وضعها الصحيح بالنسبة لحياة المسيح وصلبه وموته وقيامته.

---

(٢٦) ضد الهرطقات ٣:١١:١

وقد استطاع أن يحفظ التقليد الإنجيلي المسيحي الرسولي حتى آخر لحظة من حياته على مستوى الإيمان والسلوك المسيحي الصحيح المُسلَّم من المسيح.

الغاية والقصد والعقيدة:

رسالة القديس يوحنا الأُولى تجاهد لحفظ وحدانية الإيمان الرسولي الإنجيلي المسلَّم من المسيح رأساً، ولكنها كانت محكومة بالحالة التي كانت سائدة في أيامها داخل الكنيسة التي كُتبت من أجلها مع احتفاظها بوجهة نظر الإنجيل الرابع الذي كُتب بواسطة المؤلِّف نفسه. وقد واجه ق. يوحنا الحياة المسيحية من منظور أخلاقياتها وما انطوت عليه من إيمان وعقيدة، كما واجه ق. يوحنا الانقسام الشديد الذي كان حادثاً بين الكنيسة والعالم. لذلك نجد من البداية إلى النهاية القديس مهتماً ليقدِّم الله الحقيقي في مقابل الادعاءات الهرطوقية التي ابتدأت تطغى على الإيمان الحق. وأول أساس ما وضعه يوحنا الرسول كان: مَنْ هو الله الحقيقي: وضعه كنور حقيقي يضيء الظلمة «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (١: ٥)، ثمَّ تدرَّج إلى الوضع الحياتي السلوكي، فوضع الله الحقيقي على أنه المحبة: «إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب» (٢: ١٥). والله هو المعرفة بالحق والذي يحب يعرف الله ويعرف الحق. ثم ينتقل إلى معرفة الحق «لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تعلمونه وأن كل كذب ليس من الحق.» (٢: ٢١)

وبعد ذلك يدخل في أخطر أقسام الرسالة وغرضها: «الذي يُنكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو ضد المسيح، الذي ينكر الآبَ والابن.» (١يو ٢: ٢٢)

فغرض الرسالة العقيدي الأول هو التعريف بالله وبالمسيح أنه كلمة الحياة (١:١)، «بهذا أُظهِرَت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به» (٤: ٩). وهنا الحياة الأبدية والغلبة على العالم. ففي ضوء الإنجيل الرابع للقديس يوحنا نستطيع أن نرى في الرسالة الأُولى أنها تربط الغلبة على رئيس هذا العالم بظهور المسيح وموته: «مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يُخطئُ. لأجل هذا أُظهِرَ ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (٣: ٨). فإنكار ظهور المسيح بالجسد هو إنكار للمحبة التي من أجلها صُلب، وبقاء للكراهية والغضب. لذلك يقارن ق. يوحنا بين أولاد الله وأولاد إبليس: أولاد الله يحفظون الوصية «الله محبة» و«أحبوا بعضكم بعضاً»، فلهم المعرفة ولهم المسحة ولهم الشهادة في الداخل من الروح القدس، ولهم مغفرة الخطايا خاصة بالمعمودية وعشاء الرب، لأن أولاد الله لهم شركة مع الله، والمسيح الوسيط، والروح القدس.

والرسالة تحمل بوضوح التقليد الإنجيلي لكل أعمال المسيح الخلاصية ومجيئه الثاني. والرسالة مدموغة بالروح الرسولية وكل عناصر الإيمان والسلوك وتعاليم المسيح.

علاقة رسالة يوحنا الأُولى بإنجيل القديس يوحنا:

قامت أبحاث مضنية من كبار الباحثين والعلماء لبحث علاقة الرسالة الأُولى للقديس يوحنا مع إنجيل الرب لنفس الكاتب. ولا نملك أن نعطي للقارئ فكرة عن هذه الأبحاث وما انتهوا إليه، ولكن نستطيع أن نقدِّم جدولاً بالآيات ومدى تطابقها بين الرسالة والإنجيل ونترك للقارئ أن يقول كلمته.

	الرسالة الأُولى للقديس يوحنا		الإنجيل للقديس يوحنا
(٥: ٢٠):	«ونعلم أن ابن الله قد جاء إلى العالم وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح هذا هو **الإله الحق والحياة الأبدية**».	(١٧: ٣٠):	«وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».
(٤: ٩):	«بهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه **الوحيد** إلى العالم لكي نحيا به».	(١: ١٤):	«والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما **لوحيد** من الآب مملوءًا نعمة وحقًّا».
		(٣: ١٦):	«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد».
(٤: ٦):	«نحن من الله. فمن يعرف الله يسمع لنا ومَنْ ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف **روح الحق** وروح الضلال».	(١٤: ١٧):	«روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم».
(١: ٦):	«إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا **نعمل الحق**».	(٣: ٢١):	«وأمَّا مَنْ **يفعل الحق** فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة».
(١: ٨):	«إن قلنا إن ليس لنا خطية نضل أنفسنا **وليس الحق فينا**».	(٨: ٤٤):	«ذاك كان قتَّالاً للناس من البدء ولم يثبت **في الحق لأنه ليس فيه حق**».
(٢: ٤):	«مَنْ قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب **وليس الحق فيه**».		

الرسالة الأولى للقديس يوحنا		الإنجيل للقديس يوحنا	
(٢١:٢):	«لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تعلمونه. وأن كل كذب ليس من الحق».	(٣٧:١٨):	«ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق كل مَنْ هو من الحق يسمع صوتي».
(١٩:٣):	«وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكّن قلوبنا قدّامه»		
(٣: ٨):	«من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ».	(٨ : ٤٤):	«أنتم من أب هو إبليس».
(١٠:٣):	«بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس. كل مَنْ لا يفعل البر فليس من الله وكذا مَنْ لا يحب أخاه» راجع: (٤: ١-٤و٦)، (١٩:٥)	(٨ : ٤٧):	«الذي من الله يسمع كلام الله لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله».
(٤: ٧):	«أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً، لأن المحبة هي من الله، وكل مَنْ يحب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله».	(١٧:٧):	«إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلّم أنا من نفسي».
(١٦:٢):	«لأن كل ما في العالم، شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظُّم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم».	(٢٣:٨):	«فقال لهم أنتم من أسفل أمَّا أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم أمَّا أنا فلست من هذا العالم».
(٢٩:٢):	«إن علمتم أنه بار هو، فاعلموا أن كل مَنْ يصنع البر مولود منه».	(١٣:١):	«الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله».
(٣: ٩):	«كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه. ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله» (انظر: ٤:٧، ٥:١).	(٣ : ٨):	«الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح».
(٥ : ٤):	«لأن كل مَنْ وُلِدَ من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا».	(١: ١٢):	«أمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه».
(٣ : ١):	«انظروا أيّة محبة أعطانا الآب حتى		

الرسالة الأولى للقديس يوحنا		الإنجيل للقديس يوحنا	
	نُدعى أولاد الله. من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه».		
(١٨:٥)	«نعلم أن كل مَنْ وُلِدَ من الله لا يُخطئ بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسّه».		
(٣ : ٢):	«أيها الأحباء الآن نحن **أولاد الله** ولم يُظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو».	(١١:٥٢):	«وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرِّقين إلى واحد».
(١١:٢):	«وأمَّا مَنْ يبغض أخاه فهو **في الظلمةِ**، وفي الظلمةِ يسلك، ولا يعلم أين يمضي، لأن الظلمة أعمت عينيه».	(٨: ١٢):	«ثم كلَّمهم يسوع أيضاً قائلاً: أنا هو نور العالم مَنْ يتبعني **فلا يمشي في الظلمة** بل يكون له نور الحياة».
(١: ٦):	«إن قلنا إن لنا شركةً معه **وسلكنا في الظلمةِ**، نكذب ولسنا نعمل الحق».	(١٢:٣٥):	«فقال لهم يسوع النور معكم زماناً قليلاً بعد فسيروا مادام لكم النور لئلاَّ يدرككم الظلام والذي **يسير في الظلام** لا يعلم إلى أين يذهب».
(٤:٢٠):	«إن قال أحدٌ: إني أُحبُّ الله وأبغض أخاه، فهو كاذبٌ. لأن مَنْ لا يُحب أخاه الذي أبصره، كيف يقدر أن يُحبَّ **الله الذي لم يبصره؟**»	(٦: ٤٦):	«**ليس أن أحداً رأى الآب** إلاَّ الذي من الله. هذا قد رأى الآب».
(٤:١٢):	«الله لم ينظره أحدٌ قط. إن أحبَّ بعضنا بعضاً، فالله يثبت فينا، ومحبته قد تكمَّلت فينا».	(١: ١٨):	«الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر».
		(١٤:٩):	«الذي رآني فقد رأى الآب».
(٣:١٦):	«بهذا قد عرفنا المحبة. أن ذاك وضع **نفسه لأجلنا** فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة».	(١٠:١١):	«أنا هو الراعي الصالح والراعي الصالح **يبذل نفسه** عن الخراف».

	الرسالة الأولى للقديس يوحنا		الإنجيل للقديس يوحنا
		(١٠:١٧):	«لهذا يحبني الآب **لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً**».
		(١٠:١٨):	«ليس أحد يأخذها مني بل **أضعها أنا من ذاتي**».
(١: ٨):	«إن قلنا إنه **ليس لنا خطيةٌ** نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا».	(٩: ٤١):	«قال لهم يسوع: لو كنتم عمياناً لما **كانت لكم خطية** ولكن الآن تقولون: إننا نبصر فخطيتكم باقية».
(٥:١٣):	«كتبت هذا إليكم، أنتم المؤمنين باسم ابن الله، لكي تعلموا أن **لكم حياة أبديةً**، ولكي تؤمنوا باسم ابن الله».	(٣: ١٥):	«لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل **تكون له الحياة الأبدية**»
		(٣: ١٦):	«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل **تكون له الحياة الأبدية**».
		(٣:٣٦):	«الذي يؤمن بالابن له **حياة أبدية**. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله»، (وأيضاً ٥:٢٤، ٦:٤٠و٤٧ و٥٤، ٥:٣٩).
(٣:١٤):	«نحن نعلم أننا **قد انتقلنا من الموت إلى الحياة**، لأننا نحب الإخوة. مَنْ لا يحب أخاه يبقَ في الموت».	(٥: ٢٤):	«الحق الحق أقول لكم: إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل **قد انتقل من الموت إلى الحياة**».
		(١٣: ١):	«أمّا يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت **لينتقل من هذا العالم إلى الآب** إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبّهم إلى المنتهى».
(٥: ٤):	«لأن كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الله **يغلبُ العالم**. وهذه هي الغلبة التي **تغلب العالم** إيماننا».	(١٦:٣٣):	«قد كلّمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق

الرسالة الأُولى للقديس يوحنا	الإنجيل للقديس يوحنا
	ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم».
(٥: ٥): «مَنْ هو الذي يغلِبُ العالم، إلاَّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله؟»	
(٥: ٩): «إن كنّا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم، لأن هذه هي شهادة الله التي قد شَهِدَ بها عن ابنه».	(٣٢: ٣٤): «وما رآه وسمعه به يشهد وشهادته ليس أحد يقبلها. ومَنْ قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق. لأن الذي أرسله الله يتكلّم بكلام الله لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح».
	(٥: ٣٤): «وأنا لا أقبل شهادة من إنسان».
(٣: ٥): «وتعلمون أن ذاك أُظهر لكي يرفع خطايانا، وليس فيه خطيةٌ».	(١: ٢٩): «وفي الغد نظر يوحنا يسوعَ مقبلاً إليه فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم».
(٥: ٦): «هذا هو الذي أتى بماء ودم يسوع المسيح لا بالماء فقط بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق».	(١٩:٣٤): «لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء».
(٣: ٩): «كل مَنْ هو مولودٌ من الله لا يفعل خطيةً، لأن زرعه يثبتُ فيه، ولا يستطيع أن يُخطئَ لأنه مولودٌ من الله».	(٨: ٤٣): «لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي».
(٣:٢٠): «لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا، ويعلم كل شيء».	(١٠:٢٩): «أبي الذي أعطاني إيّاها هو أعظم من الكل».
	(١٤:٢٨): «لأن أبي أعظم مني».
(٤ : ٤): «أنتم مِنَ الله أيها الأولادُ، وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم مِنَ الذي في العالم.»	
(٥ : ٩): «فشهادة الله أعظم».	(٥:٣٦): «أمّا أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا».
(٢ : ٦): «مَنْ قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما	(١٥: ٤): «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. كما أن الغصن

	الرسالة الأُولى للقديس يوحنا		الإنجيل للقديس يوحنا
	سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً» (انظر: ٢:٢٧،٣:٦و٢٤،٤:١٢و١٣و١٥ و١٦)		لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ».
(٢:٢٤):	«أمَّا أنتم فما سمعتموه من البدء **فليثبُت إذاً فيكم**. إن ثبت فيكم ما سمعتموه مِنَ البدء، فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآبِ».	(١٥: ٧):	«**إن ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم** تطلبون ما تريدون فيكون لكم».
(٢:٢٨):	«والآن أيها الأولاد، **اثبتوا فيه**، حتى إذا أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه».	(٦: ٥٦):	«مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي **يثبت فيَّ وأنا فيه**».
(٤:١٢):	«الله لم ينظره أحد قط. إن أحب بعضنا بعضاً **فالله يثبت فينا** ومحبته قد تكمَّلت فينا».		
(٣ : ٤):	«**كل مَنْ يفعل الخطية** يفعل التعدِّي أيضاً، والخطية هي التعدِّي»، (٣:٨و٩)	(٨: ٣٤):	«**إن كل مَنْ يعمل الخطية** هو عبد للخطية».
(٤:١٦):	«**ونحن قد عرفنا وصدَّقنا** المحبة التي لله فينا. الله محبةٌ، ومَنْ يثبت في المحبة، يثبت في الله والله فيه».	(٦:٦٩):	«**ونحن قد آمنا وعرفنا** أنك أنت المسيح ابن الله الحي».
(٢ : ٣):	«وبهذا نعرف أننا قد عرفناه: **إن حفظنا وصاياه**.»	(١٤:١٥)	«إن كنتم تحبونني **فاحفظوا وصاياي**».
(٢ : ٥):	«وأمَّا مَنْ حفِظَ كلمته، فحقًّا في هذا قد تكمَّلت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه»	(١٤:٢١):	«الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي».
(٣:٢٣):	«وهذه هي وصيته: أن نؤمنَ باسم ابنه يسوع المسيح، ونحبَّ بعضنا بعضاً كما أعطانا وصيَّةً».	(١٤:٣١):	«ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب وكما أوصاني الآب هكذا أفعل»
		(١٢:٤٩):	«لأني لم أتكلَّم من نفسي لكن الآب

الرسالة الأُولى للقديس يوحنا		الإنجيل للقديس يوحنا	
			الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلَّم».
		(١٣:٣٤):	«وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً».
(٢:١١):	«وأمَّا مَنْ يبغض أخاه فهو في الظلمةِ، وفي الظلمةِ يسلك، ولا يعلم أين يمضي، لأن الظلمة أعمت عينيه».	(٣ : ٨):	«لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب».
		(٨: ١٤):	«لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب وأمَّا أنتم فلا تعلمون ...».
		(١٣:٣٦):	«يا سيد إلى أين تذهب».
		(١٦: ٥):	«وليس أحد منكم يسألني أين تمضي».
(٢:١٧):	«والعالم يمضي وشهوته. وأمَّا الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد».	(٨: ٣٥):	«... فيبقى إلى الأبد»، (١٢:٣٤)
(٢:٢٧):	«وأمَّا أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتةٌ فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلِّمكم أحدٌ، بل كما تعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حقٌّ وليست كذباً. كما علَّمتكم تثبتون فيه».	(٢: ٢٥):	«لأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان».
		(١٦:٣٠):	«الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد».
(٣ : ٣):	«وكل مَنْ عنده هذا الرجاء به يطهِّر نفسه كما هو طاهر».	(١١:٥٥):	«... قبل الفصح ليطهروا أنفسهم».
(٥:١٠):	«مَنْ يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. مَنْ لا يصدِّق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه».	(٣: ١٨):	«الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد».

وهكذا نرى أن كل آية مستخدمة في الرسالة مستخدمة في الإنجيل، فالصلة بينهما واضحة.

ولكن من الجدول السابق نرى أن التساوي أو التشابه لا يقتصر على الآيات المكتوبة، ولكن يمتد إلى النمط والصورة العامة. حيث نجد الفكرة هنا وهناك متساوية ولكن الكلمات قد تتغيَّر، أما المعنى والقصد والغاية والحق فواحد.

وكان يمكن الاستمرار في تسجيل التضاهي والتساوي بين الرسالة والإنجيل أكثر من ذلك، ولكننا أعطينا المَثَل المقنع أن الرسالة والإنجيل من فم وقلب وفكر واحد.

كما يلاحظ التساوي في استخدام الوصل بين الجمل بصيغة "لم ... بل". «لم يكن هو النور بل ليشهد للنور» (يو ١:٨)، «ليس من دم ولا من مشيئة جسد ... بل من الله» (يو ١:١٣)، والمساوي لذلك في الرسالة: «وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (٢:٢)، «كل ما في العالم شهوة الجسد ... ليس من الآب بل من العالم» (١٦:٢)، «لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تعلمونه» (٢١:٢). كذلك الإيجابي يأتي مع السلبي في فكر الرسول: «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (٥:١)، هذا نجده في أسلوب الإنجيل: «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.» (يو ٣:١)

كذلك يلاحظ كثرة استعمال اسم الإشارة "هذا ..." أو "هذه ..." كمدخل للجملة:

الرسالة	الإنجيل
(٥ : ٤): «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا».	(١٢:١٥): «هذه هي وصيتي، أن تحبوا بعضكم بعضاً».
(١١:٣): «لأن هذا هو الخبر الذي سمعتموه من البدء، أن يحب بعضنا بعضاً».	(٢٩:٦): «هذا هو عمل الله، أن تؤمنوا بالذي هو أرسله».
(٥ : ٩): «إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم، لأن هذه هي شهادة الله».	(٣: ١٩): «وهذه هي الدينونة، إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة».
(٤ : ٩): «بهذا أُظهرت محبة الله فينا، أن الله قد أرسل ابنه الوحيد».	(٩ : ٣٠): «إن في هذا عجباً، إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عينيَّ».
(٢ : ٣): «وبهذا نعرف أننا قد عرفناه، إن حفظنا وصاياه».	(١٣: ٣٥): «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض».
(٢:٥و٦): «بهذا نعرف أننا فيه. مَنْ قال إنه ثابت	(٤ : ٣٧): «لأنه في هذا يصدق القول، إن واحد

الرسالة		الإنجيل	
	فيه، ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً».		يزرع وآخر يحصد».
(١٧:٤):	«بهذا تكمَّلت المحبة فينا، أن يكون لنا ثقة في يوم الدين».	(١٥ : ٨):	«بهذا يتمجد أبي، أن تأتوا بثمر كثير فتكونوا تلاميذي».
(٥ : ٢):	«بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله، إن أحببنا الله وحفظنا وصاياه».	(٥ : ١٦):	«لهذا كان اليهود يطردون يسوع ... لأنه عمل هذا في سبت».
(٣ : ٨):	«لأجل هذا أظهر ابن الله، لكي ينقض أعمال إبليس».	(١٨:٣٧):	«لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم».

وفي كلا النصَّين: الرسالة والإنجيل، نجد كلمات ذات رنين خاص: العالم، الروح. وكلمات أخرى لا توجد في أي رسالة أخرى في الكتاب المقدَّس مثل الباراكليت، وقاتل نفس ἀνθρωποκτόνος.

كذلك نجد أن الأفكار والمبادئ اللاهوتية مشتركة معاً:

١ - في تجسُّد ابن الله:

(١يو ٤ : ٢): «كل روحٍ يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو مِنَ الله».

(يو ١ : ١٤): «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًّا».

٢ - الحياة التي تنبع منه:

(١يو ٥:١١) «وهذه هي الشهادةُ: أن الله أعطانا حياةً أبديةً، وهذه الحياةُ هي في ابنه».

(يو ١ : ٤): «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس».

٣ - وتوصف الحياة أنها هي والمسيح واحد:

(١يو ١:١و٢): «مِنْ جهة كلمة الحياةِ. فإن الحياة أُظهرت ...».

(يو ٥ : ٢٦): «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته».

٤ - الثبوت في الله أو في المسيح:

(١يو ٢:٢٤): «أمَّا أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبُت إذاً فيكم. إن ثبت فيكم ما سمعتموه مِنَ

البدء، فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآبِ».

(يـو ٣ :٦٥): «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه».

٥ ـ كلمة الله التي تثبت فينا:

(١يو ٢ :١٤): «كتبت إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي مـن البـدء. كتبـت إليكـم أيهـا الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير.»

(يو ٥: ٣٧و٣٨): «... لم تسمعوا صوته ولا أبصـرتم هيئتـه قـط وليسـت لكـم كلمتـه ثابتـة فيكم».

٦ ـ محبة الله أُظهرت بإرسال الابن:

(١يو ٤ : ٩): «بهذا أُظهِرَت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به».

(يـو ٣ :١٦): «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَـنْ يؤمـن به بل تكون له الحياة الأبدية».

٧ ـ ونتيجة لذلك أعطى الله الأمر بمحبة الإخوة:

(١يو ٣ :٢٣): «وهذه هي وصيته: أن نؤمنَ باسم ابنه يسوع المسيح، ونحبَّ بعضنا بعضاً كمـا أعطانا وصيَّةً».

(يو ١٣ :٣٤): «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتـم أيضاً بعضكم بعضاً».

٨ ـ المؤمنون هم أولاد الله:

(١يو ٥ : ١): «كل مَنْ يؤمن أن يسوعَ هو المسيح فقد وُلِدَ مـن الله. وكـل مَـنْ يُحـبُّ الوالـد يُحبُّ المولود منه أيضاً».

(يو ١ :١٢و١٣): «وأمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصـيروا أولاد الله أي المؤمنـين باسمـه، الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله».

٩ ـ الأهمية العظمى تقع على الشهادة:

(١يو ٥ : ٦): «هذا هو الذي أتى بماء ودم، يسـوع المسـيح. لا بالمـاء فقـط بـل بالمـاء والـدم، والروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق».

(يو ٥:٣٦و٣٧): «وأمَّا أنـا فلـي شـهادة أعظـم مـن يوحنـا. لأن الأعمـال الـتي أعطـاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسـلني. والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته».

١٠ ـ المتقابلات المزدوجة:

النور والظلمة، الحياة والموت، الحق والكذب، الآب والعالم، أن نكـون مـن الله وليس من العالم، الله والشيطان، أولاد الله وأولاد إبليس، نعـرف أو لا نعـرف الله، أن نكون رأيناه أو لم نره قـط، أن تكـون لنـا حيـاة وأن يكـون ليـس لنـا حياة. هذه كلها جاءت مترادفة في الرسالة وفي الإنجيل.

ومن السهل أن نمتد في هذه المتشابهات بين الرسالة والإنجيل، وسيأتي ذلـك في الشـرح، ولكـن أن نكتب هنا كل ما هو كائن ومتساوي في الرسالة والإنجيل فسـوف نكتـب كـل الرسـالة وأكـبر جزء من الإنجيل، لأنه في كل الرسالة لا يوجد فكر واحد ليس موجـوداً في الإنجيـل. هـذه الشـهادة يقدِّمها أكبر عالِم ألماني المدعو هولتزمان Holtzmann، ويقرِّر هـذا العـالِم: [أنـه لا يوجـد إنسـان يستطيع أن يراجعني في هذا القول، فالمتشابه والمتساوي بين رسالة يوحنا الأُولى والإنجيل الرابع أكثر مما هو موجود بين سفر الأعمال وإنجيل لوقا وهما من قلم واحد!](٢٧).

ونحن نسأل: هل يمكن أن أمانة رجل عظيم قديس مثل يوحنا تجعلـه ينقـل مـا كتبـه في الإنجيـل ليكتبه في الرسالة؟ ولكن الظروف والزمن والوسط وتطور أحوال الكنيسة هو الذي حتَّـم علـى ق. يوحنا أن يعيد ما سبق وكتبه في الإنجيل من على المنبر ولكن دون أن ينظر حتى للإنجيل. والواضـح أن الإنجيل قد كتبه ق. يوحنا تحت تأثير غامر من الروح القدس لمنفعة الكنيسة على مـدى الأجيـال كلها، أمَّا الرسالة فقد آزره الروح القدس ليقـدِّم مـا يليـق بالإيمـان للشـعب الـذي دخـل في عصـر الهرطقات، فكان يكتب أو يتكلَّم بغيرة وحماس ووعي بالحادث مربوطاً بالنظرة إلى الخطورة التي قد أحدقت بالشعب. لم يعد لدى ق. يوحنا بعد أن كتب الإنجيل الكامل والمملوء روحانيـة أي مجـال آخـر يتكلم منه إلاَّ ما رسخ في وعيه بالروح القدس من الإنجيل الذي كتبه، ولكن بفكر جديـد ولغـة جديـدة تناسب الوضع الجديد. وواضح أن التكرار في الرسالة يوضِّح التلقائية التي كان يتكلَّم أو يكتب بها.

وإن كان الإنجيل والرسالة اللذان كتبهما ق. يوحنا مدينين شكلاً ببعض المبادئ التي يتلاقى فيها تماماً مع بولس الرسول فهذا ليس أخذاً من ق. بولس ولكن أخذاً من الذي أعطى بولـس. فـالروح واحد والحق واحد والظروف واحدة، ولكن شيئاً واحداً يفرِّق بين ق. بولس وق. يوحنا، فبـالرغم من أن مصدر الإلهام والعطاء الروحي واحد إلاَّ أن لكل منهما انطلاقه الروحي وسـعة وعيـه وعينـه

(27) Cited by A. E. Brooke, *op. cit.*, p. ix.

المفتوحة على الحقائق الإلهية الواحدة هنا وهناك. غير أن للإنجيل دفعاً روحياً إلهياً عبَّر عنه بطرس الرسول بأن القديس كان "مسوقاً" بالروح (٢بط ١: ٢١) لتكميل رسالة سماوية من فم الله كما كان مع موسى. أمَّا في الرسالة فكان الإلهام هو الدافع، يتغيَّر بتغيُّر أحوال الناس ويتركَّز على الإجابة على أخطاء، وإصلاح اعوجاج حدث للإيمان القديم في زمن معيَّن. فكان ق. يوحنا يقول أو يكتب في الرسالة وعليه حمل ثقيل وواجب رسولي يريد أن يتمِّم عمله في هذا الوقت مذكِّراً الشعب بما سبق أن عرفوه وسبق أن علَّم به في الإنجيل. فالإنجيل والمسيح حاضران في الرسالة حتماً لأنها توعية بما سبق وأن تمَّ. من هنا جاء التوافق بين الرسالة والإنجيل في النقاط الهامة المتعلِّقة بالموضوع الذي حتَّمته الرسالة فقط. أمَّا باقي الأمور الأخرى في الإنجيل فلا نجد لها وجوداً مماثلاً في الرسالة.

أسبقية الإنجيل على الرسالة:

لقد بذل العلماء المشهورون المدقِّقون قصارى جهدهم في إثبات أن الرسالة كانت أسبق من الإنجيل، ولكن بعد أن أضنكوا أنفسهم مطولاً في هذا الأمر علَّق أحدهم على أن هذا الفكر غير مقبول لأن القديس يوحنا في رسالته كان معتمداً أشد الاعتماد في تعليمه على أن الشعب له سابق معرفة ودراية بالأمور الإلهية الخاصة بصحة العقيدة:

+ «وأمَّا أنتم فلكم مسحةٌ من القدوس وتعلمون كل شيء.» (١يو ٢:٢٠)
+ «لم أكتب إليكم لأنكم لستم تعلمون الحق، بل لأنكم تعلمونه ...» (١يو ٢:٢١)
+ «أمَّا أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبُت إذاً فيكم ...» (١يو ٢:٢٤)
+ «وأمَّا أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتةٌ فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلِّمكم أحدٌ، بل كما تعلِّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيءٍ، وهي حقٌّ وليست كذباً. كما علَّمتكم تثبتون فيه.» (١يو ٢:٢٧)
+ «انظروا أيَّةَ محبةٍ أعطانا الآبُ حتى نُدعى أولاد الله!» (١يو ٣:١). أليس هذا تعليم الإنجيل؟
+ «وهذه هي وصيته: أن نؤمنَ باسم ابنه يسوع المسيح، ونحبَّ بعضنا بعضاً كما أعطانا وصيَّةً» (١يو ٣:٢٣). من أين جاءت هذه الوصية، أليست هي التي أعطانا المسيح من عند الآب في الإنجيل؟
+ «أيها الأحباءُ، إن كان الله قد أحبَّنا **هكذا**...» (١يو ٤:١١). من أين نعلم أن الله أحبنا **هكذا** أليس من الإنجيل الذي بين أيديهم؟

وكل الرسالة من أولها إلى آخرها قائمة على الإنجيل الرابع ومن الإنجيل الرابع وعلى أساسه يعظ

ق. يوحنا شعبه وهو واثق من التعليم السابق الذي أعطاه وعلّمه بالإنجيل.

غرض الرسالة:

إن الرسالة حسب شكلها ليست للمحاجاة ولكن قيام الهراطقة حتّم بهذه الرسالة، وهي أساساً للتعليم ضد هذه الانحرافات وتوعية بحقيقة الإنجيل وعقيدة الكنيسة وتقليدها، لكي يثبّت أولاده المؤمنين في الحق كما سبق وعلّمهم في الإنجيل وفي الإيمان الحقيقي بالمسيح أنه هو يسوع الذي أتى بالجسد لدحض القائلين بغير ذلك.

فالهراطقة في هذه الرسالة لا يكوّنون الخطر الأكبر لأنه يخاطب أولاده بأنهم قد غلبوا، ولكن الخطر الذي يتهدّد المؤمنين هو تعاطف الهراطقة في ذلك المكان وذلك العصر مع الأفكار الفلسفية التي انتشرت ضد الإيمان الحقيقي بيسوع المسيح وبصلبه كحقيقة لا شبهاً. فالإيمان المسيحي عندهم مزعزع من الأساس، وهو يعيد بناء ما سبق أن بناه في البدء لأن الديانة قد خرجت عن تقليدها الكنسي الرسولي الصحيح، وأصبح الانحراف العقائدي انحرافاً سلوكياً نحو العالم بأكثر مما يحتمل الإيمان المسيحي، وأصبح الوعي الإيماني العقائدي غير قادر أن يفرّق بين الحق والكذب، بين العالم والله الآب، بين المحبة الأخوية الصادقة وبين التكالب وراء مباهج الحياة والتضحية بوصايا الإيمان التي تحد من نشاط الذات للمجد الفارغ.

لقد فقدوا الأصول الأُولى للمسيحية التقليدية التي ينحاز فيها المؤمنون لله والمسيح والإيمان والحق والمحبة مهما كانت التضحيات، ففقدوا الحس الإيماني الذي استلموه في السابق. تسع مرّات في الرسالة ينبّه القديس يوحنا الشعب لوضعهم المسيحي وحقيقة إيمانهم ومحبتهم لله والقريب، وبرودة وضعهم كمؤمنين حقيقيين. لذلك يذكّرهم بغلبتهم للعالم التي غلبوها بإيمانهم السابق وغفران خطاياهم وطهارتهم الأُولى ووعيهم بالحق والحب والحياة الأبدية، ويذكرهم بالمسحة التي أخذوها بالروح القدس وما تعلّموه منها، وانتصاراتهم على كل الإيحاءات المريضة التي صادفتهم، وكانت المعرفة الصحيحة بالحق والحب الصادق القلبي هي صميم إيمانهم. والآن هو يشدّدهم لتجديد حياتهم لئلا يداهمهم الموت الروحي وتجذبهم الخرافات. ولقد أثبت العالِم "هولتزمان" أنه واضح من تعليم ق. يوحنا أنها ضد الاتجاهات الغنوسية وانحرافاتها، فقد حوّل الوعظ كله إلى الإيجابيات التي تدحض هذه الانحرافات والتعاليم الكاذبة والسلوك غير المسيحي الذي لا ينطبق إلاّ على المنحلين الذين نسوا خلاصهم وإيمانهم وتراثهم وعقيدتهم. فهو يحث ويوعّي ويذكّر ويُعلّم كراعٍ حقيقي وكلاهوتي أرثوذكسي من أعلى طراز، مركز التعليم الرسولي وحافظ التقليد

المسيحي. وقد جمع العقيدة مع السلوك كما دأب المسيح في تعليمه وعينه مثبّتة على الحياة الأبدية. وكانت المسيحية عند ق. يوحنا هي شركة حقيقية مع الآب والابن والروح القدس، يعيشها المسيحيون في حب وأُلفة ومودة وإيمان وحرارة الروح. وغاية قصد ق. يوحنا من الرسالة معروف من أول الكلمات فيها، فإنها دعوة لشركة الآخرين مع ق. يوحنا وبقية الرسل في حياة الإيمان والحب والثقة في الآب والابن بالروح القدس. لذلك فإن كان ق. يوحنا يكرِّس بعض الآيات للمقاومين والمبتدعين فلكي يحفظ الإيمان الصحيح ويضمن خلاص أولاده الذين دعاهم الله ليكونوا أولاداً له، أولاداً حقيقيين. هذا هو الفهم الحقيقي لغرض الرسالة.

لِمَنْ أُرسلت رسالة يوحنا الأُولى:

من محتوى الرسالة وصفاتها يتضح أنها مُرسلة لجماعة من تلاميذ ق. يوحنا الذين استمعوا له في السابق وقبلوا الإيمان والخلاص على يديه، إمَّا في كنيسة أو عدة كنائس، بمناسبة قيام مخالفين للإيمان ومنادين بتعاليم ضد المسيح شخصياً وبالتالي ضد الإيمان. والرسالة هي جهد مبذول لحفظ هذه الكنائس في دائرة الإيمان الصحيح وإعادة إيمانهم القديم الحار ومحبتهم وسلوكهم في المسيح بالحق. وواضح أن هذه الكنائس هي في محيط أفسس أُم البدع، والتي لاقى منها ق. بولس المتاعب الكثيرة وأخيراً وبكل أسف بعث إلى تلميذه تيموثاوس يقول له إن جميع مَنْ في آسيا ارتدوا عنه (عن بولس). وهكذا وفي حياة ق. يوحنا قابل هؤلاء المرتدين وحاول جذبهم للإيمان الصحيح لأن ق. يوحنا الرسول خدم في أفسس بعد بولس الرسول. والمعاناة هي المعاناة ـ كوعد المسيح ـ لكل الذي يمسك ويتمسَّك بالحق والإيمان الصحيح. وكانت آسيا الصغرى في هذا الإقليم تحت يد الرومان. وتوجد ترجمة قديمة لعالِم قديم اسمه كاسيودوروس (*Instit. Div. Lit.* 18) فيها رسائل يوحنا الثلاثة مرسلة لعنوان: "Ad Parthos" كذلك وُجدت عشر مقالات لأغسطينوس يشرح فيها هذه الرسالة عنوانها هكذا: "*In epistolam Ioannis ad Parthos*"

أي أن أوغسطينوس أيضاً يقول إن رسالة يوحنا الأُولى كانت مُرسلة إلى بارثوس: مَنْ هذا؟ أو ما هي بارثوس؟ لا أحد يدري. مع أن هذا الاسم تكرر كثيراً في المخطوطات القديمة، حتى أن ق. أثناسيوس ذكر هذا الاسم وكذلك كليمندس الإسكندري.

والرسالة لا تفصح إطلاقاً عن المرسل إليهم أو الذين يخاطبهم بكلمة: «يا أولادي»، ولكن حسب التقليد فإن الرسالة مُرسلة لإقليم أفسس الشرقي الذي كان تحت حكم الرومان وهو منتمي لأفسس وهو الذي يُعزَى إليه إنجيل ق. يوحنا نفسه ورسائله.

الأعداء وأضداد المسيح والمعلّمون الكذبة في الرسالة:

الرسالة لا تصرِّح بنوع معيَّن من الأعداء أو بأنواعهم، ولكن الرسالة تحذِّر من المعلّمين الكذبة. ففي هذه المدة التي يتكلّم فيها ق. يوحنا كان قد ظهر معلّمون كذبة كثيرون من جميع الأصناف. فقد كان يوجد المسيحيون اليهود "كانوا معنا وليسوا منا"، والغنوسيون أصحاب المعرفة والعلم الكاذب، وأتباع باسيليدس وساتورنينوس وفالنتينوس وكيرنثوس والدوسيتيون والأنتينوميان. ولكن تصريح ق. يوحنا في الرسالة «كل مَنْ ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ...» (١يو ٢:٢٣) يجعل الخصومة تنحصر في فئة مسيحية تنكر بنوَّة المسيح للآب، وهكذا يخرج أتباع كيرنثوس من الموضوع إن كانت عقيدتهم هي كما يقررها ق. إيرينيئوس (*Adv. Haer.* I, xxvi, 1). ولكن العالِم Wurm يعتقد أن الذي ينكر الابن ويؤمن بالآب فقط هم يهود ولهم تعاليم مضادة للمسيح. ولكن العالم كليمن Clemen يرى أن أكبر ضلالة في الرسالة هي من الذين لا يؤمنون بأن يسوع هو المسيح، ومعناها إنكار الوجود السابق لابن الله الذي جاء ليُعلن الآب!

ولكن يظل السؤال: هل كانوا كثيرين أم أن العدو كان واحداً فقط؟ فالقديس يجحد المعلّمين الكذبة، ولكن هل كان التعليم لواحد أم أكثر؟ ويرد على ذلك العالِم Wurm إذ يقول إن التعاليم الكاذبة والمعلّمين الكذبة بحسب روح الرسالة هم أصلاً من مصدر واحد، ويتفق معه العالِم كليمن وبقية العلماء. فالقديس يوحنا لا يهاجم أفكاراً مسيحية لمصدرين أو أكثر في الأصحاحات الثاني والرابع والخامس، ولا هو يجحد جماعة مسيحية معيَّنة، والشذوذ الأخلاقي لجماعة أخرى، فربما كل الأخطاء التي يراها ق. يوحنا كانت صادرة من جهة واحدة ولكن ليس لها منهج متكامل يلزم جحده.

ولكن التعبير الذي يستخدمه القديس يوحنا يوحي بأنه يوجد كثرة من المخالفين للإيمان المسيحي أضداد للمسيح كثيرون، وأن ما كانوا ينتظرونه من ظهور الضد للمسيح قد ظهر منه كثيرون في هذه الأيام (١يو ٢:١٨)، وهذا لا يساعد فكرة قائد واحد للمعلّمين الكذبة الكثيرين، والكثرة في الأتباع واضحة «خرجوا منا ولم يكونوا منا»، الذين أنكروا أن المسيح ابن: «كل مَنْ يُنكر الابن ليس له الآب أيضاً ...». والقديس يوحنا يوعِّي أولاده أن يختبروا الأرواح لأن التعاليم الخارجة عن الإيمان كثيرة، لأن المعلّمين الكذبة الكثيرين خرجوا إلى العالم (١يو ٤:١). فكل روح لا يعترف بيسوع المسيح فهو ليس من الله، هذه إشارة إلى الضد للمسيح مباشرة الذي كان يعمل في العالم آنئذ في أتباعه. ولكن يعود الكاتب في الأصحاح الخامس ويركِّز على مقاوم واحد. والذي يركِّز عليه ق. يوحنا هو أن الحق واحد والباطل كثير ومتعدد.

الاقتباسات التي للعلماء والآباء الأوَّلين:

للاختصار سنذكر اسم الأب وأمامه مواضع الاقتباس من رسالة يوحنا الأُولى. وسنكتفي باقتباس واحد:

كليمندس الروماني:	رسالته الأُولى ٤٩:٥
بوليكارب:	رسالته إلى أهل فيلبي ٧:١
بابياس:	في التاريخ الكنسي ليوسابيوس القيصري ٣:٣٩:١٦
الديداخي:	فصل ١٠
الرسالة إلى ديوجنيتوس:	الرسالة ١٠:٣
إيرينيئوس:	ضد الهرطقات ٣:١٦:٥
كليمندس الإسكندري:	المتفرقات (*Stromata*) ٢:١٥ (٦٦)
أوريجانوس:	شرح إنجيل يوحنا الكتاب الخامس فصل ٣ وقد استخدم الرسالة استخداماً كاملاً

المخطوطات التي احتفظت برسالة القديس يوحنا الأُولى:

ℵ	01	Codex Sinaiticus, London, Brit. Libr., Add. 43725	القرن الرابع
A	02	Codex Alexandrinus, London, Brit. Libr., Royal 1 D. VIII	القرن الخامس
B	03	Codex Vaticanus, Roma, Vat. Gr. 1209	القرن الرابع
C	04	Codex Ephraimi, Paris, Bibl. Nat., Gr. 9	القرن الخامس
P	025	St. Petersburg, Ross. Nac. Bibl., Gr. 225	القرن التاسع
Ψ	044	Athos, Lavra, B´ 52	القرن التاسع
L	020	Roma, Bibl. Angelica, 39	القرن التاسع
	049	Athos, Lavra, A´ 88	القرن التاسع
	33	Paris, Bibl. Nat., Gr. 14	القرن التاسع
	81	London, Brit. Libr., Add. 20003; Alexandria, Bibl. Patr., 59	١٠٤٤
	104	London, Brit. Libr., Harley 5537	١٠٨٧
	398	Cambridge, Univ. Libr., Kk. 6.4	القرن العاشر
	1175	Patmos, Joannu, 16	القرن الحادي عشر

الترجمات القبطية:

– القبطية الصعيدية:

- G. Horner, *The Coptic Version of the New Testament in the Southern Dialect, Otherwise Called Sahidic and Thebaic,* 7 vols, Oxford 1911-1924.
- K. Schüssler, *Die Katholischen Briefe in der Koptischen (sahidischen) Version* [Pierpont Morgan M 572], CSCO 528/529, Louvain 1991.

– القبطية البحيرية:

- G. Horner, *The Coptic Version of the New Testament in the Northern Dialect, otherwise Called Memphitic,* 4 vols, Oxford 1898-1905.

تاريخ شرح رسالة القديس يوحنا الأُولى من قديم الزمان وحديثه المبكّر:

شروحات قديمة باللغة اليونانية:

شرح كليمندس الإسكندري وموجود فقط في ترجمة كاسيودوروس باللاتيني.
شروحات إيوكومنيوس، ثيوفيلاكتس، وشرح "السلاسل" Catena الذي نشره Cramer.

شروحات باللغة اللاتينية: أغسطينوس وبيدا Bede.

شروحات حديثة:

وتستين، بنجل، لووكه (بالألماني ١٨٢٠–١٨٥٦ وترجمه للإنجليزية توماس كلارك ١٨٣٧)، هوثر في مجموعة ماير (١٨٨٠–١٨٩٥)، ف. د. موريس (١٨٥٧)، ايبرارد (١٨٥٩)، إيوالد (١٨٦١) هويت (١٨٦٩)، روث (أقيم شرح ١٨٧٨)، وستكوت (١٨٨٣)، بلومر (١٨٨٤) لياس (١٨٨٧)، ب. فايس (١٨٩٩)، لوثاردت (١٨٩٥)، بوجل (١٨٩٦) كارل (١٨٩٨)، بلسر (١٩٠٦)، بومجارتن (١٩٠٧)، هولتزمان (١٩٠٨) د. سمث (١٩١٠)، وندش (١٩١٨).

الفكر اللاهوتي للرسالة:

عقيدة القديس يوحنا في الرسالة توضّح إدراكه الروحي العميق لله الآب ولابنه يسوع المسيح قبل وبعد التجسُّد بنظرة رؤيوية خارقة. فهو يرى الله هو المحبة وهو النور، والآب عُرف ويُعرف فقط بواسطة الابن يسوع المسيح. ومحبة الآب هي الأصل وهي السبب في خلاص الإنسان، ولو أنه يقدِّمه كقاضٍ حق وعادل إلاّ أنه أرسل ابنه ليخلِّص الإنسان ويفتقده من الظلمة والخطية إلى الحياة والنور.

ويقدِّم المسيح يسوع كابن الله صاحب التجسُّد وهو الكلمة الذي كان مخفيًّا عند الآب كحياة أبدية غير معروفة وغير منظورة فصار بالتجسُّد معروفاً ومسموعاً ومنظوراً وملموساً. ويقدِّمه ق. يوحنا كنموذج واحد للمؤمنين للأخلاق والمحبة. ووصاياه نابعة من أعماق حبه وحياته فهي تضفي على الإنسان الحب المجاني وتهبه الحياة الأبدية. وموته كان ذبيحة الكفّارة من أجل خطايا العالم كله. وبالنظرة الأخروية ينتظر ظهور واستعلان الرب وحينئذ يستعلن عمله الخلاصي فينا: كيف أنه وهبنا ذاته في كل شيء، حينئذ سنراه كما هو ونظهر نحن مثله، كالمثيل للمثيل. وهنا سر الشركة التي يعيشها الآن ويقدِّمها لكل مَنْ يؤمن به، كشركة حياة في حياة، ونور في نور.

لذلك يرى أن السلوك المفروض على المسيحي المدعو لشركة الآب والرب يسوع يكون مضيئاً بنور الرب، وهو طريق واحد اسمه طريق الحق والحياة وليس فيه شبه كذب. لأن النور لا يحتمل أي ظلمة، فهو إمَّا انحياز للنور والحياة أو للظلمة والموت. ومن هنا يتدخَّل العدو، إبليس الظلمة الذي يدعو إلى الظلمة، المعاكس للمسيح، والذي من يتبعه يسير في الظلمة وتنعمي عيناه عن الحق فلا يدركه بل ويتبنَّاه إبليس فيصبح داعية للظلمة وطريق الظلمة. أمَّا السائر في النور فهو يُدعى ابن الله ويدل على أنه مولود من الله. وكما لا يمكن أن تختلط الظلمة بالنور، هكذا أولاد الله لا تدركهم الظلمة، أي لا يخطئون، لأن المولود من الله هو نور ولا يدركه الظلام. والنور والمحبة هما صفتا الله الأُولى والعظمى. فالظلمة أخت البغضة والموت هو الكفن الذي يلفّهما معاً. فمن أبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الموت كائن، ومَنْ أحبَّ أخاه أثبت أنه نور ومولود من الله وله الحياة الأبدية. لذلك أصبحت عملية محبة الإخوة طريقاً يؤدِّي من الموت والظلمة إلى الحياة والنور، وبالتالي خروجاً من عالم الدينونة إلى الأبد. وما أرخصه طريقاً ولكن يحتاج إلى غلبة العالم لأن العالم لذيذ والخطية لذيذة، ومَنْ ذا الذي يُبغض اللذة ويتعفَّف عنها إلاَّ الذي أصبحت عيناه نوراً به يعاين الله، والذي سدَّ مسامعه لكي لا يسمع لرقي (من رقية) الحية التي تسحر القلب وتجذبه بحبال الهاوية، والذي فتح أذني قلبه للحق الإلهي الذي به يسمع الكلمة فيدركها ويحيا بها.

والعقيدة الإيمانية عند ق. يوحنا مربوطة بالسلوك، فالعقيدة الحقَّة مربوطة بالسلوك الحق، والحق لا يقبل الكذب بأي حال. والواضح أنه قد ظهر معلمون كذبة لمبادئ وعقائد كاذبة حتى أن ق. يوحنا قد اعتقد أن الضد للمسيح قد جاء ومعه معلِّمو الظلمة، فترجَّى أولاده أن يمتحنوا الكلام ولا يقبلوا الإيمان الذي لا يقول بأن يسوع المسيح هو ابن الله وأنه أتى بالجسد وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ومسحته تعلِّمنا بالروح القدس كل ما للحياة والتقوى.

شرح الرسالة

الأصحاح الأول

١ – بداية الرسالة

[١: ١–٤]

١:١ «الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ».

«الذي كان من البدء»: Ὃ ἦν ἀπ᾽ ἀρχῆς

وكأنما يقدِّم ق. يوحنا كاكتشاف أو استعلان للبشرية عن الذي كان في البدء. هكذا بدأ الرسالة معلناً عن كلمة الله.

والقديس يوحنا أجدر مَنْ يتكلَّم عن الذي كان في البدء، فهو معاصر للمسيح منذ البدء، معاين وخادم للكلمة بلغة ق. لوقا (لو ١: ٢). وهو يتكلَّم بصيغة الجمع لأن التلاميذ هم الذين عاينوا المسيح منذ البدء. والبدء بهذا المعنى قد يعني بدء إعلان يسوع المسيح ابن الله أي بدء الإنجيل. فالتلاميذ رأوا وسمعوا وعاينوا:

+ «ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر. ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم إن أنبياءَ وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا.» (مت ١٣: ١٦–١٨)

فالقديس يوحنا يتكلَّم عمَّا رأى وسمع.

وكانت هذه هي إجابة القديسيْن بطرس ويوحنا لما استجوبهم السنهدرين:

+ «لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلَّم بما رأينا وسمعنا.» (أع ٤: ٢٠)

وقد سمعوا كلماته ورأوا أعماله.

وهكذا بدأ ق. يوحنا الرسالة معلناً عن كلمة الله الذي يقول عنه سفر العبرانيين إنه به خلق الله العالمين: عالم الروح وعالم المادة. فحقًّا كان الكلمة في البدء وهو بداية كل شيء الذي لا يوجد قبله بداية لأي شيء. هذه أول نظرة إيمانية أكَّد عليها المسيح نفسه، وفي سفر الرؤيا يقول عن نفسه: «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية ... الأول والآخر» (رؤ ١: ٨و١١). فالمسيح يحتل البداية في كل شيء، وكل عمل يقوم على اسمه اليوم يبتدئ به، والسنة تبتدئ به، وكل ما يُقال عن اكتشافات جديدة هو مجرد تصور لأن العالم كله ابتدأ به وليس تحت الشمس شيء لم يأخذ بدايته

من المسيح. فهو أول التاريخ وبداية الإنسان وبداية الأُمم وبداية علم الإنسان لكل شيء وبداية النبوَّة وبداية الناموس الذي انتهى بإعلان يسوع المسيح الذي جاء ليكمل كل شيء.

فَسِرُّ المسيح أدركناه من بولس الرسول أنه قائم في الأزلية عندما بارك اللهُ الإنسانَ في خطة خلقته، باركه بكل بركة روحية في السماويات في المسيح يسوع، ذلك قبل خلقة العالم.

«البدء»: ἀρχῆς

ليس جديداً على القديس يوحنا أن يفتتح الرسالة بالبدء، فقد افتتح به إنجيله كما هو معروف أيضاً بعبارة في البدء. ولكن كلمة ἀρχῆς جاءت غير معرَّفة بأداة تعريف (الـ) anarthrous ولذلك فهي صفة. صفة تختص بإدراك الإنسان أكثر منها حقيقة تختص بالزمن أو الوجود.

«الذي كان من البدء»: بدء إدراك الإنسان كشخص بالكلمة، وقد استخدمها ق. يوحنا هكذا: «وصيةً قديمةً كانت عندكم **مِن البدء**... هي الكلمة التي سمعتموها **مِنَ البدء**» (١يو ٢:٧). البدء هنا يختص بكل وعي لكل إنسان. هنا يبدأ المسيح في وعي الإنسان ليكون البدء لكل شيء ولكل وعي ولكل إنسان. وبدء الوجود الروحي للوعي هو الذي ينشئ في الحال الحياة. هذا هو الكلمة لذلك أسماه: «كلمة الحياة».

هنا القديس يوحنا لا يقصد بالبدء ما نسمِّيه بالأبدي أو ما قبل الوجود، ولو أنه وارد بالضرورة، ولكنه يحدِّد وعي الإنسان الذي سيدخل في استعلان من هو كلمة الحياة، وحينئذ بعد الاستعلان نُدرك أنه سر الحقيقة الأزلية بعد أن ندركه بإحساسنا حتى ندخل هذا السر.

فالقديس يوحنا يهتف كمن أدرك سر الوجود وسر الحق والحياة الأبدية الذي كان مخفياً في الأزلية، الذي يفوق كل وجود. فهو الحق الأزلي والأبدي، هو الحياة الأبدية ذاتها التي كانت مخفية عند الآب. هذا الاستعلان استحدثه الكلمة نفسه لما تجسَّد: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤:٦)، «أنا هو نور العالم» (يو ١٢:٨). وأول ما استُعلن، استُعلن لتلاميذه فأدركوه فكان "البداية" لانفتاح وعي الإنسان على السر الأزلي، فكان هو "البدء" عند ق. يوحنا. والمسيح نفسه هو الذي فتح هذا الوعي على الله لتلاميذه عندما فتح ذهنهم ليفهموا الكتب (لو ٢٤:٤٥) أي ليدركوا الله والمسيح بوعيهم الروحي المفتوح.

«الذي سمعناه»: ὃ ἀκηκόαμεν

الفعل هنا في حالة الزمن التام perfect كفعل ماضٍ يمتد أثره في الحاضر.

الذي من البدء استطاع القديس يوحنا أن يدركه بالوعي الروحي المفتوح. فالمسيح لما دخل حيز الزمان اقترب جداً من الإنسان الذي أخذ جسده، وهو كلمة الحياة، فاستطاع الإنسان الذي آمن به واقتبل منه الحياة أن يدركه إدراكاً روحيًا لا بالحواس اللحمية ولكن بالحواس الروحية التي انفتحت عليه. فابتدأ الرسل يوم أن فتح ذهنهم ليفهموا المكتوب أن يدركوا سر المسيح من خلال كلمة الإنجيل، وانفتحت بصيرتهم وانفتحت آذانهم بعد أن كانت مطموسة باللعنة القديمة التي كانت على اليهود، فاستطاعوا بوعيهم المفتوح على سر الله والمسيح أن يدركوا الأمور الفائقة التي كانت مخفية مدى العصور السابقة. هذه القدرة وُهِبَت مجّاناً للإنسان لما تجسَّد المسيح في عالمنا وصارت الصلة بين الله والإنسان مفتوحة بحلول كلمة الله في الجسد، ولكن ليس بالحواس الأرضية ولكن بالحواس التي للإنسان الجديد والخليقة الجديدة التي أوجدها المسيح بتجسُّده: الأذن المفتوحة والعين المفتوحة على الأسرار السماوية. والوعي إذا انفتح معناه أن الإنسان قد صار خليقة روحانية جديدة سماوية، وبهذا الوعي المنفتح يدوم الإنسان في اتصال دائم وحب حقيقي مع المسيح، لأن الإنسان يبتدئ يعرفه كما هو كما ينظر في مرآة فيتغيَّر إلى صورته من مجد إلى مجد كما يقول بولس الرسول (٢كو ٣:١٨). هذا قاله يوحنا بالحرف في رسالته:

+ «أيها الأحباءُ، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنَّه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو.» (١يو ٣:٢)

هذا هو الوعي الروحي الذي سيدوم معنا، وهذا هو عمل الحواس الروحانية الجديدة التي وُهِبَت للإنسان بتجسُّد المسيح. فطوبى للعيون التي تُبصر والآذان التي تسمع، لأن الإنسان الجديد في المسيح ينظر الآن ويسمع ما لم يره أو يسمعه ملوك وأنبياء مختارون مقرَّبون من الله. وهذا تقوله الكنيسة وقت قراءة الإنجيل في القداس ورفع بخور عشية وباكر مشيرة إلى الوعي المفتوح بالروح الذي يدرك سر المسيح.

وإذا رأى الإنسان بالعين المفتوحة وسمع بالأذن المفتوحة، هذه تكون الرؤية الحقيقية بنور معرفة الحق. ومعرفة الحق هي شركة في الحق وفي النور والحياة: «وتعرفون الحق والحق يحرِّركم» (يو ٨:٣٢)، «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤:٦)، «أنا هو نور العالم» (يو ٨:١٢). هذا هو الاستعلان الفائق بالحواس الفائقة لإدراك طبيعة الله وعلاقته بالعالم، طبعاً منذ البدء غير المقصورة على الحياة الأرضية التي للمسيح والتي لنا.

«الذي رأيناه بعيوننا» ὅ ἑωράκαμεν τοῖς ὀφθαλμοῖς ἡμῶν

يُلاحَظ أن الاستعلان دائماً أبداً يعمل من الناحيتين، فالإنسان ينال هبة الاستعلان بانفتاح الوعي، والاتجاه الآخر ـ أي المسيح ـ يخلي ذاته من المجد الأسنى غير المرئي وغير المُدرك حتى يستطيع الإنسان أن يرى بالعين المفتوحة: «ليتك تشق السموات وتنزل» (إش ٦٤: ١). وليس الطرفان فقط بل ويلزم للطبيعة المحيطة بالإنسان أن تشترك في هذا التقابل بأن يُرفع حجابها الحاجز الذي يمنع الإنسان من الاقتراب إلى الله.

وتتكاثف كل قوى الإنسان وملكاته وحواسه الروحية معاً لتدخل هذا الاختبار الفائق لتدرك هذا الكمال الفائق. وقد أخطأ العلماء الذين يقولون إنه بالحواس الأرضية يمكن رؤية المسيح، وإن ق. يوحنا يتكلَّم عن الحواس الأرضية. هذا يجافي الحق تماماً، فالمسيح تجسَّد ولكن لم يدركه إلاَّ الروحيون أو الذين أوتوا الاستعلان من فوق. فلمَّا قال ق. بطرس للمسيح معلناً ومستعلناً إيَّاه: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ» ردَّ عليه المسيح «إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات» (مت ١٦: ١٦و١٧). هنا لم تتدخل أي حاسة جسدية في المعرفة، ولكن الاستعلان قد تمَّ بواسطة الذهن أو الوعي المفتوح من جهة ق. بطرس، أمَّا من الجهة الأخرى فالآب السماوي تنازل ونطق في الأذن المفتوحة.

وحينما يقولون عن شهود الروح إنهم شهود عيان ففي الأمور الإلهية لا يوجد هنا عين بشرية ترى ولكن عين روحية، حيث الشهادة ليست لأمور جسدية بل للحق، والحق لا يُرى ولا يُسمع بالحواس الأرضية. فيوحنا الرسول شاهد عيان للمسيح ولكن شهادته بالوعي الروحي الفائق الذي به كتب إنجيله ورسائله، وإدراكه للمسيح أنه «في البدء كان الكلمة» أو «الذي كان من البدء» هنا وعي روحي فائق منطلق محلّق في ارتفاعات العلا بالإدراك السامي للروح الذي يتخطَّى الأرض والزمان والكيان ليرى ما لا يُرى.

والعلماء الذين يتشدَّدون كون ق. يوحنا يتكلَّم عن المسيح المتجسِّد بإدراك جسدي وحواس جسدية وإلاَّ فإن دعوته للشركة للآخرين تكون باطلة، مثل العالِم بروك Brooke، فهذا وعي جسدي من هذا العالِم المحترم ويريد أن يتقدَّم لرؤية النور الإلهي بالعين الجسدية أو يمسك الحق بأصابعه؟ هذا هو أسّ الضلال، فالمسيح لما تجسَّد لم يُعرف ولم يؤمن به ولم يتبعه إلاَّ الذين أدركوه بالروح. فعندما تكلَّم عن أكل جسده وشرب دمه تذمَّر التلاميذ الجسديون ذوو البصائر غير المفتوحة الذين ظنوا أنهم يأكلون لحماً ويشربون دماً للإنسان:

+ «فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمَّرون على هذا، فقال لهم: أهذا يُعثركم؟ ... الروح هو الذي يحيي أمَّا الجسد فلا يُفيد شيئاً. الكلام الذي أكلِّمكم به هو روح وحياة. ولكن منكم قوم لا يؤمنون. لأن يسوع من البدء علم مَنْ هُم الذين لا يؤمنون ومَنْ هو الذي يسلِّمه.» (يو ٦: ٦١-٦٤)
+ «فقال: لهذا قلت لكم إنه لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ إن لم يُعط من أبي.» (يو ٦: ٦٥)

كذلك نحن هنا لا نقول كما قال العالِم Karl إن ق. يوحنا قد حصل على ذلك في غيبوبة. هذا هراء! فالرؤية بالعين المفتوحة والسمع بالأذن المفتوحة يتم في حالة وعي جسدي كامل ينتقل منه إلى الوعي الروحي الكامل دون أن يفقد أي قدرة في الجسد. فالإنسان الجديد والخليقة الجديدة التي نلناها بالمعمودية والإيمان وسر العشاء هي قائمة في صميم الجسد العتيق لا تلغي منه أي شيء، وكلاهما يمارسان الحياة: واحد يعمل للحياة الأرضية والآخر يعمل للحياة الأبدية. وبولس الرسول يشتكي من أن الجسد العتيق ثقل عليه ويود أن يخلعه وينطلق بالجسد الجديد إلى موطنه فقال: «فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها (خيمتنا الأرضية ـ الجسد العتيق) مسكننا الذي من السماء ... فإننا نحن الذين في الخيمة (الجسد العتيق) نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها (نموت) بل أن نلبس فوقها لكي يُبتلع المائت من الحياة» (٢كو ٥: ٢-٤). أي أن الإنسان الجديد يعيش مرغماً في الخيمة الأرضية التي هي الجسد العتيق. إذن فالقديس يوحنا يتكلَّم على ما هو في صميم إمكانياتنا الروحية، ولكن يستحيل أن ينزل ق. يوحنا إلى مستوى الجسد المادي وحواسه التي للأكل والشرب والتمتُّع بهذا العالم الفاني.

والقديس يوحنا قد سمع الذي من البدء ورآه وأدركه بالوعي المفتوح أنه هو الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا بالتجسُّد، فأتاحت فرصة للإنسان أن ينفتح على هذا الاستعلان بروحه، الأمر الذي أخضعه المسيح لمن يؤمن ويصدِّق ويطلب ويرجو، لأن المسيح نفسه «هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا» (في ٢:١٣). أي هو البادئ بالاستعلان لمن يقبل ويريد «والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي» (يو ١٤:٢١). والمسيح يحدِّد ما هو للروح وما هو للجسد: «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح» (يو ٣:٦). والذي للجسد يستحيل أبداً أن يدرك ما للروح إن لم يولد من فوق. فملكوت السموات كما شرح المسيح لنيقوديموس يحتاج إلى أن يولد الإنسان جديداً من الروح.

والقديس يوحنا هنا يتكلَّم عن الحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الآب في شخص ابنه الوحيد

وأُظهرت لنا لما تجسَّد، لنكون قادرين وقد صرنا على مستواه أن نبلغ الغاية التي من أجلها جاء، وهي أن نؤمن ونعتمد له ونقبل الروح القدس الذي يهبنا إدراكاً روحياً لسر مجيئه. فإن عرفنا الحق الذي أعلنه في ذاته صرنا شركاء فيه وفي الحياة التي فيه. والقديس يوحنا يصف لنا ما أدركه بالروح لندركه نحن أيضاً بالروح ونكون شركاء فيه، لا كأنه يقدِّم خبرة شخصية بل الذي اقتبله المسيحيون جميعاً الذين دُعوا واختيروا للحياة الأبدية.

«الذي رأيناه»: ὃ ἑωράκαμεν

هنا رؤية العين هي رؤية يزكيها الإيمان، لأن كثيرين رأوه وأنكروه. فهنا العين موسومة بالتفريق بين الحق والباطل، بين ما هو للجسد وما هو للروح. فالرؤيا هنا بحسب زمن الفعل التام، بمعنى الماضي المستمر في الزمان الحاضر، رؤيا لحقيقة مكتملة لها كل ما لها من صفات. لذلك فالرؤيا رؤية فحص قائم دائم، ومعرفة وثبوت دائم ورضى بالحاصل، مبنية على فهم كامل ومناسبات مواتية: «أجاب يسوع وقال له الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى see = ἰδεῖν ملكوت الله.» (يو ٣:٣)

رؤية لا تقتصر على فرصة واحدة كأنها بعد القيامة مثلاً، ولكن الفعل في الماضي التام المستمر في الحاضر، فهي غير مستمدة من الموقف مثل: «انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو» (لو ٢٤:٣٩)، أو ما حدث لتوما أمام التلاميذ «لأنك رأيتني يا توما آمنت» (يو ٢٠: ٢٩). بل هنا الفحص الرؤيوي مستمر وممتد.

«الذي شاهدناه»: ὃ ἐθεασάμεθα

هو فعل آخر استخدمه ق. يوحنا لإدراكه ليسوع "شاهدناه". هنا المشاهدة غير النظر بالعين، فالمشاهدة تختص بالتعرُّف بالذكاء والفهم على ما تقع عليه أعيننا لإدراك قيمته. وقد استخدمها ق. يوحنا في إنجيله لإدراك مجد المسيح:

+ «والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا ورأينا ἐθεασάμεθα مجده ...»

هنا الرؤية هي المشاهدة بالفكر والتمعُّن والإدراك الفائق، لأن المجد لا يُرى بالعين. فهي حالة أسماها المسيح رفع العين لإدراك شيء غير منظور من شيء منظور: «ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا θεάσασθε الحقول إنها قد ابيضَّت للحصاد» (يو ٤: ٣٥). مع أن الذي كان أمامهم هو شعب السامرة يتقاطرون للمجيء لمشاهدة الرب، فكان شكلهم بملابسهم البيضاء كأنها حقول قد

ابيضَّت للحصاد. والكلمة تفيد رؤية التمييز بين ما هو حق أو باطل. فالشاهد لا يرى فقط ولكن يرى ليقدِّر قيمة ما يرى تقديراً صحيحاً.

«ولمسته أيدينا» ἐψηλάφησαν

هنا الكلمة اليونانية لا تفيد مجرَّد اللمس بل التحسُّس للفحص أو الجس باليد: «انظروا يديَّ ورجليَّ إني أنا هو. جسُّوني ψηλαφήσατε فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لو ٢٤: ٣٩). هنا ينتقل القديس يوحنا من استخدام الحواس العليا من الرؤية العينية الروحية المفتوحة لإدراك ما لا يُدرك والمشاهدة الفاحصة بالروح، إلى لمس اليد الذي يواجهنا بظهور المسيح في العلية بجسده القائم من الموت وجروحه عليه ليؤكِّد لنا حقيقة القيامة بالجسد (لو ٢٤: ٣٩). والجس باليد هي وظيفة الأعمى الذي يستخدم يديه عوضاً عن عينيه ليدرك. وهي هنا تفيد امتحان الشيء بدقة أكثر من العين. وقد جاءت نفس الكلمة في سفر التكوين في الترجمة السبعينية بفم يعقوب الذي غشَّ أباه بأنه البكر: «ربمَّا يجسُّني أبي» (تك ٢٧: ١٢) علماً بأن أباه كان قد فقد البصر. وقد جاءت في سفر التثنية هكذا: «فتتلمَّس في الظهر كما يتلمَّس الأعمى» (تث ٢٨: ٢٩) وتفيد الفحص بدقة بالإحساس الجسدي اليدوي ليتحقَّق الإنسان من صدق ما يسمع أو يرى.

ويُلاحَظ أنه يحذِّر من الدوسيتيين الذين يقولون إن التجسُّد لم يكن حقيقياً ولكن شبهاً، وطبعاً الصليب أيضاً والقيامة. فهنا ق. يوحنا من البداية يقطع خط الرجعة على التعاليم المخالفة ويؤكِّد أنه قد رأى بعينيه الروحانيتين التي لا تُخطئان بالرؤية المفتوحة على ما يرى، وسمع سمعاً روحياً لا يخطئ من المتكلِّم، وأخيراً نزل إلى التجسُّد الحقيقي الذي هو ملء اليد، هذا هو الذي كان من البدء وقد صار جسداً. واستخدام هذه الحواس الروحانية والجسدانية يعتبر مقدِّمة لما سيقوله ق. يوحنا في أن إدراكه الكامل بالروح والجسد للمسيح الكلمة الابن المتجسِّد أعطاه هذه النعمة العُظمى والحق الإلهي أن يكون شريكاً روحياً للابن المتجسِّد والآب أيضاً. ويُعتبر شاهد حق بالحقيقة: «والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم.» (يو ١٩: ٣٥)

«من جهة كلمة الحياة»: τοῦ λόγου τῆς ζωῆς

هاتان الكلمتان هما مفتاح إنجيل ق. يوحنا كله، وكلمة الحياة هي رسالة الإنجيل. هنا يقصد ق. يوحنا تماماً استعلان حقيقة الحياة الأبدية، وبهذا تأخذ الرسالة قوة دفعها الحي باستعلان الحياة الأبدية:

+ «فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى مَنْ نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك.» (يو ٦: ٦٨)

لاحِظ هنا كلمة: «كـلام الحيـاة الأبديـة» في إنجيـل ق. يوحنـا، وفي الرسـالة الأُولى لـه يقـول: «كلمة الحياة»، «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس» (يـو ١: ٤). والقديـس يوحنـا يركّـز هنا على الحياة أكثر مِمَّا يركّز على الكلمة.

كذلك عبَّر عنها أيضاً إنجيل ق. يوحنا قائلاً: «لأن الذي أرسله الله يتكلّم بكلام الله» (يـو ٣: ٣٤). والرسالة التي تُعلن الحياة تُعطي الحيـاة: «فتّشـوا الكتـب لأنكـم تظنـون أن لكـم فيهـا حيـاة أبدية.» (يو ٥: ٣٩)

«من جهة»: περί

هنا قصد القديس يوحنا أن رسالته تختص بإعلان كلمة الحيـاة أو إعـلان الحيـاة الأبديـة الـتي في الكلمة. وهنا يخصِّص من الرسالة هذا الجزء الوحيد الذي يريد أن يعطيه ولسـان حالـه: أنـا أتكلّـم وأشرح وأُسلّم كلمة الحياة.

ولكن ما معنى: "كلمة الحياة" عند القديـس يوحنـا؟ الكلمـة الـذي صـار جسـداً (يـو ١: ١٤) و"الكلمة" هو الاسم الذي أعطاه ق. يوحنا لابـن الله: (يـو ١: ١و١٤)، (١يـو ١:١)، (رؤ ١٩: ١٣). فيسوع الذي هو كلمة الله تعني في مضمونها الذي يتكلّم بكلام الله بسلطان مطلـق، بمعنـى أنه يستعلن إرادة الله ويحقّق للإنسـان كـل مـا سمعـه ورآه عنـد الآب (يـو ٣: ٣٢) بوجـود الآب. فالمسيح ليس فقط يستعلن رسالة الحياة بل هو يملك الحياة أيضاً (يو ١: ٤، ١١: ٢٥، ١٤: ٦).

+ «فيه كانت الحياة.» (يو ١: ٤)
+ «أنا هو القيامة والحياة.» (يو ١١: ٢٥)
+ «أنا هو الطريق والحق والحياة.» (يو ١٤: ٦)

وهو يمنح هذه الحياة ليشترك فيها كل مَـنْ يسـمع كلامـه ويؤمـن بـالذي أرسـله فيعطيـه الحيـاة الأبدية ولا يأتي إلى دينونة بل يكون قد انتقل من المـوت إلى الحيـاة (يـو ٥: ٢٤)! فالمسيح يعطي الحياة التي فيه.

١ : ٢ «فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَـاةِ الأَبَدِيَّـةِ الَّتِـي كَـانَتْ عِنْـدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا».

«فإن الحياة أُظهرت»: ἐφανερώθη

هذا توضيح لما فات وتأكيد. وهنا يذكر القديس يوحنا الحياة بتعريف أل، فهي حياة واحدة وحيدة معروفة وهي وحدها التي في المسيح، وهي أبدية، وهي ملء الحياة: «لأن فيه سُرَّ أن يحل كل الملء» (كو ١ : ١٩). وقد أعلن المسيح أنه هو الحياة. فهذا هو ملء الظهور الذي سمعوه ورأوه وشاهدوه وأدركوا قوته ومعناه وطبيعته. ولو أن كلمة ظهور في المعنى الرؤيوي اللاهوتي لا تفيد الظهور العيني للذي لم يكن ظاهراً أو مخفياً عند الآب ولكن الذي كان غير معروف ولا مُدرك:

+ «هذه بداءة الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل **وأظهر** مجده فآمن به تلاميذه» (يو ٢ : ١١). هذا هو الظهور.
+ «وأمَّا مَنْ يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي **تظهر** أعماله أنها بالله معمولة» (يو ٣ : ٢١)
+ «إن كنت تعمل هذه الأشياء **فأظهر** نفسك للعالم» (يو ٧ :٤). هذا الظهور هو بفعل الآيات.
+ «أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن **لتظهر** أعمال الله فيه» (يو ٩ : ٣). هنا الظهور بعمل آية شفاء الأعمى.
+ «أنا **أظهرت** اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم» (يو ١٧ : ٦). هنا ظهور اسم الآب كان على مدى حياة المسيح كلها قولاً وعملاً.

«ونخبركم» ἐπαγγέλλομεν

أي نخبركم بما يخص كلمة الحياة، هذا في سياق الكلام، ولكن الذي يقصده الرسول هو أن يخبر المُرسَل إليهم بخبرته التي سمعها ورآها وشاهدها ولمسها في ضوء الحق الإلهي المُستعلن في الحق والحياة والتي استعلنها في المسيح. وهي خبرة على أعلى مستوى كما هي في الرسالة كلها كأساس للمسيحية.

والحقيقة أن رسالة القديس يوحنا بما حوت من خبرات حيَّة تُحسب رسالة المبادئ التي تعكس فكر الرسول المعروف عنه أنه يحلّق في السموات وأنه مبتلع في حب المسيح. فهي رسالة الحياة والحب والحق والنور والبر والمغفرة الشاملة وطاعة الإيمان ومعرفة الله. كما تظهر فيها روح التجديد والتأكيد وبغضة العالم والمجيء الثاني للمسيح. وهي تقف بجوار الحق الأسمى وصدق الإيمان وخبرة رسول.

«بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب»:

الكلمة فيه كانت الحياة، والكلمة بالحياة التي فيه كان عند الآب، فالآب والكلمة والحياة الأبدية واحد، كيان ذاتي واحد، لا يمكن التفريق بينهم. فالكلمة كان عند الآب، والحياة الأبدية كانت عند الآب والقديس يوحنا يجمعهم في واحد:

+ «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرةً لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية.» (١يو ٥: ٢٠)

وحينما يقول ق. يوحنا إن الحياة الأبدية كانت عند الآب، فإن نفس الحرف "عند" = πρός استُخدم أيضاً في (يو ١: ١و٢): «والكلمة كان عند الله πρός = with». فالحياة الأبدية التي كانت عند الآب أُظهرت لما تجسَّد المسيح، لأن المسيح في شركة حياة واحدة مع الآب. وهكذا لما تجسَّد المسيح أُظهرت الحياة الأبدية التي كانت عند الآب، وأُعطي لنا أن نشترك فيها بسبب اتحادنا في المسيح.

والتركيز هنا على الحياة الأبدية حتى أننا نستطيع أن نقول إن رسالة ق. يوحنا الأُولى هي رسالة الحياة الأبدية.

+ «فمن ثمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب ٧: ٢٥)

هذه خبرة ق. يوحنا في الحياة الأبدية التي أعطته القوة والشخصية أن يتكلَّم عن عطائها بتأكيد ويبلِّغ الآخرين بهذه الخبرة التي عن حق ويقين.

هذا الخبر الذي يقدِّمه ق. يوحنا عن يقين السمع والرؤيا والمشاهدة واللمس، الأمر الذي لا نملكه، فهو يعطينا إيَّاه كتسليم حسب سلطان الكنيسة وتقليدها: "الذي لي أنا أعطيكم".

١ : ٣ «الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضاً شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ».

«الذي رأيناه وسمعناه»:

هنا شهادة رؤية وسماع، هنا يختلف الترتيب عمَّا رأينا في الأول الذي كان سمعاً ثمَّ رؤيا. والسبب أنه في الأول كانت خبرة ق. يوحنا عن طريق الكلمة، فكان السمع قبل التحقُّق بالرؤيا، وأمَّا في هذه الآية (٣) فهنا الرؤيا تأتي قبل السمع بسبب التجسُّد وحياة المسيح الجسدية حيث الرؤيا بدأت قبل سمع الكلمات والعظات.

«نخبركم به»: ἀπαγγέλλομεν καὶ ὑμῖν (καὶ ὑμῖν = أنتم أيضاً)

هنا يتضح أن ق. يوحنا يخاطب مجموعة من السامعين أو القارئين خصوصيين، فالرسالة إلى

جماعة محدودة في آسيا الصغرى لهم صلة بالقديس يوحنا، صلة سابقة. من أجل هذا هو مهتم بتوصيل خبرته لهم ليكون لهم شركة معه ومع بقية الرسل الذين رأوا وسمعوا وشاهدوا ولمسوا.

«شركة معنا»: κοινωνίαν ἔχητε

هذا الاصطلاح مقصور فقط على هذه الرسالة في كل العهد الجديد. والقديس يوحنا يستخدم الفعل ἔχω بكثرة والمعنى "يأخذ ويستمتع"، أمَّا الشركة فهي تشير إلى شركة فعَّالة نشطة حيث النتيجة بالطبع تعتمد على قوة العمل للمستلم بالقدر الذي تعتمد أيضاً على فعل العاطي.

فهي لا تعني مجرد تقاسم الشيء مثل المَثَل الذي قدَّمه ق. بولس: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والإثم. وأيَّة شركة للنور مع الظلمة» (٢كو ٦: ١٤). ولكن الشركة الصحيحة واضحة في:

+ «كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحدٌ، جسدٌ واحدٌ، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد.» (١كو ١٠: ١٦و١٧)

وأيضاً في مفهوم الشركة في المسيحية:

+ «أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن.» (يو ١٧:١١)
+ «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.» (يو ١٧:٢١)
+ «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحدٌ.» (يو ١٧:٢٢)

فالشركة التي يدعو لها ق. يوحنا في رسالته يدركها على مستوى وحدة وشركة الآب مع الابن ولا يعرف غيرها شركة.

«أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح»:

الشركة مع الآب صارت ممكنة عندما استعلنه المسيح للبشر كالآب الذي يستطيع أولاده أن يدخلوا معه في شركة. مثل هذه الشركة التي بين الوالد وابنه تتحقَّق فقط بواسطة المسيح ومن خلال المسيح يسوع الذي أرسله الله ليجعله معروفاً.

لأن اسم يسوع المسيح هنا إنما يؤكِّد هاتين النظرتين: التي للحياة التاريخية والطبيعية البشرية ليسوع الناصري والشركة الإلهية مع مسيَّا الإله. واستخدام كلمة "الابن" تؤكِّد قدرته أن يجعل الله

أباه معروفاً. والقديس يوحنا لا يدرك معرفة أخرى عن الله يمكن أن تُدرك عندنا إلاَّ بأن يُستعلن ابنه كبشر حقيقي له حياة بشرية وهو ابن وحيد لله. فالابن هو الوحيد الذي يستعلن الآب: «ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن.» (مت ١١:٢٧)

فالابن الوحيد الذي يجمع في نفسه كل صفات الآب التي يتوارثها الابن - لأنه الوريث الوحيد ولا يمكن أن توزَّع على أبناء آخرين - يكون في موضع قادر أن يستعلن الآب كلية.

ونحن نشعر أن ثقل مسؤولية كاتب الرسالة يمكن جمعها في آخر آية جاءت في مقدِّمة الإنجيل: «الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر.» (يو ١: ١٨)

فالقديس يوحنا حائز على شركة المسيح، والحب المتبادل يشهد بذلك، وهو يود أن خاصته يكون لهم شركة معه وذلك بواسطة شركتهم في خبرة حياته، وفي نفس الوقت يؤكِّد أن شركته وخبرة حياته هي مع الآب ومع الابن.

وكلمة شركة κοινωνία وكل ما يأتي بمعناها غائب من إنجيل ق. يوحنا، ولكن النظرية نفسها ليست غائبة، فهي واضحة من كلام المسيح للقديس بطرس: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب» (يو ١٣: ٨). ولها أيضاً رنين في سفر العبرانيين: «فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع» (عب ١٠: ١٩). والشركة واضحة ومفصَّلة في مَثَل الكرمة والأغصان (يو ١٥: ١-١٦)، وفي صلاة يسوع (يو ١٧) من أجل الوحدة (يو ١٧: ٢١-٢٣)، وواضحة في وعد المسيح: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣). والمؤمنون الحقيقيون يثبتون في المسيح أي في شركة تجمع كل أعضاء المسيح، التي أول مَنْ دخلها هم الرسل، فأي مَنْ يلتصق بالرسل (ق. يوحنا) ويحيا في شركة معهم فإنه يحيا في شركة مع المسيح، ولأن المسيح هو ابن الآب فالآب يسكن فيه «الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال» (يو ١٤: ١٠) وفي كل مَنْ يثبت في محبة الآب «إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته» (يو ١٥: ١٠). ثمَّ عقب ذلك مباشرة ينتهي بنفس ما انتهت إليه المقدِّمة في الرسالة الأُولى إذ يقول في الآية التالية: «كلَّمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويُكمل فرحكم» (يو ١٥: ١١) كما جاءت في الرسالة: «نكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١: ٤). وبناء على هذا يكتب ق. يوحنا نفس ما قاله في إنجيله: «أمَّا أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبت إذاً فيكم. إن

ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء، فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب.» (١يو ٢: ٢٤)

وهكذا كل مَنْ كان له شركة في المسيح له شركة مع الآب في المسيح. فالشركة مع الابن ومع الآب حقيقة تحتاج إلى طاعة الوصية المؤدِّية إلى هذه النعمة الفائقة وتحتاج إلى أمانة لتفهم تعليمه وتعليم الرسل والالتصاق به. فالذين يستهينون بتعاليم الرسل يفصلون أنفسهم من شركة الآب والابن، لأننا اقتبلنا هذه الشركة عن الرسل ومن الرسل.

فلو أنه لم يذكر هنا عمل الروح القدس إلاَّ أنه مذكور في رسالته بعد ذلك:

+ «مَنْ يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا.» (١يو ٣: ٢٤)

+ «وبهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا: أنه قد أعطانا مِنْ روحهِ.» (١يو ٤: ١٣)

أمَّا الشركة عند القديس بولس فهي شركة الروح كما جاءت في رسائله:

+ «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم.» (٢كو ١٣:١٤)

+ «فإن كان وعظٌ ما في المسيح. إن كانت تسليةٌ ما للمحبة. إن كانت شركةٌ ما في الروح. إن كانت أحشاءٌ ورأفةٌ، فتمِّموا فرحي حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبةٌ واحدة بنفسٍ واحدةٍ، مفتكرين شيئاً واحداً.» (في ٢: ١و٢)

فهي شركة المؤمنين يعيشونها بسكنى روح المسيح!

١ : ٤ «وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً».

«هذا»: ταῦτα

كلمة "هذا" إمَّا تعود على أشياء سبقت أو أشياء آتية، والشُّرَّاح في ذلك منقسمون لأنها وردت في أماكن كثيرة تنص عن الأشياء الآتية، ولكن الأفضل أن نأخذها على الأشياء السالفة.

«نكتب إليكم»:

المعتاد في المخطوطات أن العظات شفاهية ولكنها هنا مرسلة "مكتوبة". وكلمة هذا تفيد الذي سمعناه ورأيناه، هذا يكتبه ق. يوحنا بسلطان مَنْ يُعلِّم عن شهادة رسولية. وهنا يتكلَّم واحد فقط باسم الرسل الذين اشتركوا في السمع والرؤية. وهنا كلمة "نكتب" تأتي بالجمع وقد جاءت هنا

فقط ولم تتكرَّر(١). ومضمون الكلام هو أن الذي سمعناه نحن ورأيناه نكتبه إليكم ليكون لكم ما لنا فتصبحون كمن سمع ورأى، لأن الإنجيل يُنقل كتسليم. فالذي أخذ أو عرف أو سمع أي بشارة إنجيلية عليه أن يوصِّلها ويسلمها للمؤمنين الآخرين وإلاَّ تُحسب عليه.

«ليكون فرحكم كاملاً»:

هنا يختلف الشُّرَّاح مع اختلاف المخطوطات، فبعضهم يجعلها "فرحنا" وبعضهم يجعلها "فرحكم". ولكن البشارة للآخرين تُنشئ فرحاً للسامع حتماً، فهي للمخاطب لأنها بشارة. أمَّا سبب الفرح فهو استعلان محبة الآب والابن والدعوة للشركة فيها. أمَّا كلمة "كاملاً" فهي لأن الفرح بالله هو قمة المنتهى بالنسبة للإنسان المدعو للشركة مع الله، وفرح الله كامل لأنه لا يُسترد: «لا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٢). وكما يقول الكتاب: «لأن فرح الرب هو قوَّتكم» (نح ٨: ١٠). فهو القوة الدافعة لِمَنْ يتبع الرب لاقتحام كل الصعاب، وهي من صميم عطايا الإنجيل: «كلَّمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويُكمل فرحكم» (يو ١٥: ١١). وسيظل فرحنا على مدى الحياة ناقصاً إلى أن نقبل الوصية ونثبت فيه.

والفرح هو ثمرة الشركة مع الرسل في الآب والابن. وهو فرح مقدَّس لأن فيه اكتمال الحب الإلهي وتهليل النفس كفرح عريس وعروس. فهو فرح اللقيا، فرح العِشرة الدائمة، فرح الحديث السرِّي مع الحبيب الذي يدسم النفس ويقوي الروح ويرفع النفس لتلامس السماء. لأن أول انفعال للنفس حينما يستعلن لها الحبيب هو الفرح الذي يؤدِّي إلى ابتلاع العقل والكيان، الفرح المفرط المؤدِّي إلى الدهش الإلهي.

(١) جاءت "أكتب" أو "كتبتُ" بالمفرد بعد ذلك ١١ مرة في هذه الرسالة (٢: ١و٧و١٢و١٣ ثلاث مرَّات و١٤ مرتين و٢١و٢٦، ٥: ١٣).

٢ - اختبار الشركة أخلاقياً مع الله

النور والسائرون فيه، والظلام والمتخبِّطون فيه

[١: ٥-٢: ١٧]

(أ) الشركة مع الله واختبارها: [١: ٥-١٠]

١: ٥ «وَهذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ».

هنا يبدأ القديس يوحنا يدخل في تفاصيل حالة الشركة مع الآب والابن عملياً وما تحمله من حقائق ووصايا. فأول ما يفاجأ به الذي يدخل في عشرة مع الله أنه يرى ويقتنع روحياً أن الله نور، نور الآب ونور الابن، نور من نور. وأول حقيقة يدركها من جهة الحفاظ على هذه الشركة هو السلوك في طريق النور بأخلاق تنبع من الحق وليس فيها شائبة من الكذب أو الظلام، حتى يبقى ويدوم الإنسان في شركة الله. لأن النور هو طبيعة الله، فالشركة هي أولاً شركة في النور، فلكي يستطيع الإنسان أن يحيا في شركة الله يتحتّم عليه أن يأتلف مع طبيعة الله.

«هذا هو الخبر»: ἀγγελία

أبسط تعبير اختاره ق. يوحنا يتناسب مع الرسالة. فالخبر رسالة أيضاً من الله. فهذا الخبر هو من الله للذين يكتب لهم، وككلمة خبر من الله تُدرك في الحال أن الله يريد أن نعرف مَنْ هو، فالخبر إعلان.

«الله نور وليس فيه ظلمة»: φῶς ἐστιν

فالله يُعلن أن طبيعته نور، وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه. فالقديس يوحنا سمع هذا الخبر من المسيح ومن الكتاب ومن المزامير: «بنورك نرى نوراً» (مز ٣٦: ٩)، ومن الأنبياء (إش ٤٩: ٦)، ولمّا أعلن المسيح هذا الخبر للتلاميذ أمرهم أن يوصلوه للناس. لذلك فالخبر في الرسالة ليس للمعرفة فقط بل للسلوك لأنه أمر، فالله يتكلّم والإنسان يسمع، والله يأمر والإنسان يطيع.

+ «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه» (يو ١: ٤و٥)

+ «كان النور الحقيقي (غير المخلوق) الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم.» (يو ١: ٩)

فالنور يصف طبيعة الله كما هو. وأهم صفة للنور أنه يضيء، هذه طبيعة النور، وبهذا يُرى النور ويُدرك من صفاته. هكذا طبيعة الله فإنه يجعل نفسه معروفة ومرئية ومشاهدة ومدركة، ومعرفته كفيلة بأن تكشف كل ما في طبيعة الله وما عند الله «لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥: ١٥)، «بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه ... بهذا نعرف أننا فيه» (١يو ٢:٣و٥)

ويوحنا الرسول يركِّز في الرسالة كلها أن الله يمكن أن يُعرف، وإدراك طبيعة الله أنها نور يُحتِّم أن لا يكون فيها ظلمة البتة، ومن هنا يخرج القديس من شرح طبيعة الله إلى التعامل مع هذه الطبيعة، لأن الظلمة في المفهوم الإلهي هي إبليس ويقابلها في الإدارك البشري الأخلاق الفاسدة أي الخطية. فهنا الحديث عن الخطية يأتي بالنسبة لوصف طبيعة الله كأمر حتمي، فلكي نبقى في النور يلزم أن لا نُخطئ لأن الخطية ظلمة والله ليس فيه ظلمة ولا يقبل أن يتعامل مع الظلمة. ومن هذه النقطة نعود إلى طبيعة الله بالنسبة للخطية فيكون الله قدوساً قداسة كلية وطهارة كلية أي ليس فيه خطية البتة. فطبيعة الله طاهرة طهراً مطلقاً.

هنا تتحدَّد الشركة مع الله القدوس الطاهر كما جاءت في سفر اللاويين: «فتكونون قديسين لأني أنا قدوس» (لا ١١:٤٥). بهذا المعيار تتحدَّد معرفة الله والسلوك أمام الله والشركة مع الله. والشركة مع الآب والابن يتحتَّم أن تعكس طبيعة الله «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥:١٦)، «أنتم نور العالم» (مت ٥:١٤). هذا هو نور الشركة مع النور. فالذي يحيا في النور حتماً يضيء.

١ : ٦ «إِنْ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ»

لا يقصد ق. يوحنا من استعلان الحياة الأبدية والشركة مع الآب والابن أن نزداد فقط تعرُّفاً على الله والحياة، ولكنه ينطلق بعدها مباشرة للحياة والسلوك بمقتضى هذه المعرفة لله والشركة معه.

فأول ما يكشف ق. يوحنا من خطأ الحياة أمام الله هو عدم الاهتمام بالسلوك الأخلاقي بالنسبة لحياة الشركة الروحية. فالشركة مع الله مستحيلة إن كان هناك سلوك في الظلمة. فالعشرة مع النور تحوِّل كل مَنْ يتقبَّله ويحيا فيه: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو ٣: ١٨). أمَّا الذين يعاشرون الظلمة بأعمالهم فلا يمكن أن يكون لهم شركة مع النور.

فإن كان استعلان طبيعة الله أنها نور فقد تأكدنا من ذلك بمجيء ربنا يسوع المسيح من عند الآب، ولكن إدراكنا الحقيقي أن الله نور يظهر في سلوكنا بالحق.

«إن قلنا»: ἐὰν εἴπωμεν

مدخل لتحديد السلوك الكاذب والرد عليه إيجابياً، وهو يضع نفسه هنا مع أولاده ليجعل الافتراض ذا وقع هيِّن لأنه سينقده بشدة، لأن الاستمرار في الخطأ يحرم الجماعة من عِشرة الله، بل من رحمته. لأنه يكتب كل الرسالة تحت تأثير الإحساس بالخطورة المحدقة بأولاده من جهة الانحرافات العقائدية والأخلاقية.

«إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة»:

أي نكون قد توهَّمنا أن لنا شركة مع الآب وفي نفس الوقت نسلك في الخطية أي الظلمة، هذا مستحيل لأننا نغش أنفسنا ويكون هذا ادعاءً. إن ق. يوحنا يرتِّب هذا التحذير بأسلوبه مرتين: «إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة» ثمَّ «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا»، فهو يضع السلبي أولاً ثمَّ يرد عليه إيجابياً ليسيِّج على انضباط الشركة مع الله، كذلك إن قلنا إننا لم نخطئ اعتبره ضلالاً.

«سلكنا في الظلمة»: ἐν τῷ σκότει περιπατῶμεν

هذا التعبير نجده في إنجيل ق. يوحنا:

+ «ثم كلَّمهم يسوع أيضاً قائلاً: أنا هو نور العالم. مَنْ يتبعني **فلا يمشي في الظلمة** بل يكون له نور الحياة.» (يو ٨: ١٢)

«سلكنا»: περιπατῶμεν

الكلمة تعني هنا: "مشينا" ولكنها هنا اصطلاح يستخدمه كل من القديس يوحنا والقديس بولس بمعنى السلوك وموجود بهذا المعنى في (مر ٧: ٥). ومعروف أنه في أيام ق. يوحنا كانت قد انتشرت شيعة الغنوسيين الذين يدَّعون بأنهم يسيرون مع الله ولكن سلوكهم كان خاطئاً ومذموماً، فكانوا يسيرون في الظلمة بالرغم من ادعائهم. والقديس يوحنا يضع الأسلوب السلبي هنا لينبِّه الذهن. فالسالكون في الظلمة، السالكون بالخطية، السالكون بادعاء أنهم ليسوا خطاة، هؤلاء إنما يعاكسون النور ويخرجون عن الطريق ويعادون الله.

والسير في الظلمة يعمي العينين، لأن الظلمة التي يتكلَّم عنها ق. يوحنا هي غمامة داخلية تخفي

النور عن العين، فإذا تعايش الإنسان مع الظلمة طويلاً تصبح طبيعته وتصبح عينه فاقدة رؤية النور، مع أن عين الإنسان الذي يعيش في النور هي سراجه، بمعنى أن العين تصبح كمصباح يمسكه الإنسان ليضيء له الحياة. وذلك لأن معايشة النور تجعل الإنسان يُضيء، ومركز النور يكون العينين اللتين تستمدان الإنارة من القلب ومن النعمة. هكذا الظلمة إذا سكنت في الإنسان فإنها تمنع النور عنه فلا يعرف أين يسير ولا متى يتكلَّم ومتى يقف عن الحركة وعن الكلام، فيسقط في شباك العدو. والعدو يوصف بأنه ظلمة مطلقة ليس فيه بصيص نور، وإذا استولى على الإنسان يجعله ابن الظلام لا يستريح في النور بل ويبغضه.

هنا الشركة مع الله كشركة في النور تكون مباشرة شركةً في الحياة لأن النور هو قوام الحياة كما أن الظلمة هي قوام الموت. فالذي يدَّعي أن له شركة مع الله ويسير في الظلمة ليس فقط يكون كاذباً بل وأيضاً يكون متغرِّباً عن الحق كليَّة.

والتعبير عن الظلمة في السلوك يوجد فقط في رسالة ق. يوحنا وفي إنجيله (يو ٣: ١٩).

«**لسنا نعمل الحق**»: οὐ ποιοῦμεν τὴν ἀλήθειαν

"**نعمل** الحق" "**ونعمل** الكذب" هو الاصطلاح المُستخدم في رسالة ق. يوحنا وبقية كتاباته:

+ «ولن يدخلها شيء دنس ولا مَنْ يصنع رجساً **وكذباً**...» (رؤ ٢١: ٢٧)

+ «لأن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل مَنْ يحب **ويصنع كذباً**.» (رؤ ٢٢: ١٥)

+ «وأمَّا مَنْ **يفعل الحق** فيُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة.» (يو ٣: ٢١)

والحق عند ق. يوحنا لا وجود له في مجرد مستوى الفكر، بل هو يشرح أعلى حالات التوافق مع طبيعة الله وإرادته. فبالنسبة للإنسان يلزم أن تكون طبيعة الإنسان الخاصة بأخلاقه وروحه وتفكيره أي كلامه حقًّا حيث كلام الحق هو نوع من عمل الحق. فأن يعمل الإنسان الحق هو أن يسلك على أعلى ما يمكن من التوافق مع الله ونور الله، فالنور يمت بصلة إلى الفعل والعمل والإحساس والسلوك والفكر.

وهكذا أن يسير الإنسان في النور معناه أنه يعمل الحق ويكون أميناً جدًّا لله والاعتراف به مع التوبة والاتضاع والاعتراف كذلك بالخطية. لذلك كان السلوك في الظلمة هو بجافاة الله والحق والانحلال بعيداً عنه بالكبرياء وعدم الاعتراف بالخطية وبالتالي الامتناع عن التوبة. ولكي نعرِّف

معنى الظلمة روحياً: فهي غياب النور، وغياب النور معناه غياب الله. والذي يعيش في الظلمة معناه أنه فقد الله تماماً، لذلك أصبحت الشركة مع الله تحتِّم الحياة في النور في كل شيء. وبالتالي مَنْ يقول إنه في شركة مع الله ويعمل أعمال الظلمة فهو كمن يجدِّف على الله. وكان هذا هو وضع الغنوسيين.

لذلك لما حمل المسيح خطايا الإنسان في جسده على الخشبة انحجب عنه نور الله فصرخ المسيح: «إلهي إلهي لماذا تركتني!!» (مر ١٥: ٣٤). فمعنى أن الإنسان يخطئ بإرادته فهذا يعني أنها تخلية من الله ولا يعود يحيا في النور فيكتنفه الظلام فيفقد تمييزه بين الحق والباطل، ويعمل الشر مجبراً لأن الشيطان يستولي عليه. فالخاطئ ليس من السهل عليه أن يدرك أنه خاطئ لذلك يبرِّر نفسه، فلا يعود يعرف الله كديَّان ولا يشعر بالحاجة إلى الله كمخلِّص. هذا هو فقدان الشركة مع الله. من هنا كتب ق. يوحنا رسالته فهو يعطي رسالة مباشرة للخاطئ كإعلان أو خطاب أو خبر خاص: «هذا هو الخبر الذي سمعناه منه». وبعد أن يوعِّي الخاطئ أنه قد فقد الشركة الممنوحة له من الله وقد أدركته الظلمة وهو يعيش في الكذب أو الباطل تحت خضوع المجرِّب، يقدِّم له بركة العودة للسير في النور تحت عين الله ليتأهَّل للدخول في شركة الأخوة وتغفر له الخطية بدم المسيح.

والمسيرة في النور أو السلوك في الظلمة تعني ما هو أكثر من مجرَّد العمل سواء الحق أو الخطأ. فالسير في النور يعني أن نضبط حياتنا في حدود الحق والحقيقة والصحيح من كل شيء. فهي تعني الإخلاص في الحياة كما وضعها المسيح في إنجيل ق. لوقا: «سراج الجسد هو العين فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً، ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً. انظر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة. فإن كان جسدك كله نيراً ليس فيه جزء مظلم يكون نيراً كله كما حينما يضيء لك السراج بلمعانه» (لو ١١: ٣٤-٣٦). بمعنى أن العين البسيطة أو المقدَّسة تكون كالسراج تضيء الحياة كلها، ويصير كل شيء في النور، ويكون السلوك في النور وفي حقائق الحياة وليس باطلها. أمَّا إذا كانت العين شريرة ومُحبَّة للخطية فإنها تكون مظلمة، والنتيجة أن الحياة برمَّتها تكون في سواد والإنسان يتعثر حتى في الحق وفي النور. فإن قلنا إن لنا شركة مع الله وعيوننا شريرة وحياتنا مظلمة نكون كذابين ولا نستطيع أن نعمل الحق. لأن من يريد أن يعمل الحق لابد أن تكون عينه طاهرة مقدَّسة، وسلوكه بالتالي يكون في النور والحق. «وأمَّا مَنْ يفعل الحق فيُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة» (يو ٣: ٢١). والذي يلفت نظرنا في رسالة ق. يوحنا أنه لا يتكلَّم عن الأعمال الصالحة ولكن الأعمال المعمولة بالله أو عمل الحق.

١ : ٧ «وَلكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ».

+ «لأن كل مَنْ يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلاَّ توبَّخ أعماله. وأمَّا مَنْ يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة.» (يو ٣: ٢٠و٢١)

«إن سلكنا في النور»: ἐν τῷ φωτί περιπατῶμεν

السلوك أو المسيرة في النور هي ضبط الوعي والجهد المنضبط ليحيا الإنسان حياة متوافقة مع استعلانات الله الذي عرفنا أن طبيعته نور، إذ قدَّم المسيح لهذه الحياة وهذا السلوك والمسيرة نموذجها الأعلى. هذه المسيرة هي شرط أساسي في الشركة مع الله، حيث تتم هذه الشروط كلها، لأن الشركة هي حقيقة والذي يطلبها لا يحيا في الكذب.

فالإنسان الذي يحيا في النور عليه أن يعلم أن الله كائن في هذا النور، فإن سلكنا في النور فنحن نطالَب بالشركة مع الله. ولكن ق. يوحنا يمتد إلى ما بعد الشركة مع الله الفردية لتكون شركة مع بعضنا البعض لأنها تكشف عن حياة روحية أكثر عمقاً كائنة في شركة الله، ولكن كلها قائمة أصلاً على الشركة مع الله. فإن كان لأحد شركة معه وكان له نشاط روحي سلوكي أكثر فإنه ينضم إلى الشركة مع الآخرين، حيث يدخل المسيحيون تحت شركة كاملة بعضهم مع بعض تكشف عن حياة أعمق في الله.

«فلنا شركة بعضنا مع بعض»: μετ᾽ ἀλλήλων

هنا الشركة لا تعني كما كتب ق. أوغسطينوس "شركتنا نحن مع الله" ولا إننا ننضم معاً لنشترك مع الله، ولكن الشركة هنا تجمعنا بعضنا مع بعض.

«ودم يسوع المسيح ابنه»:

فإذا حقَّقنا الجهد أن نسير في النور فإن خطايانا يرفعها المسيح، لأن الخطية تعطِّل الشركة مع الله، ولكن إن سرنا في النور ولنا شركة مع الله فإن دم المسيح يكمِّل شركتنا بفاعلية الدم المسفوك من أجلنا لتطهيرنا، لكل مَنْ يحاول أن يحقِّق الشركة مع الله، والمعنى في التطهير بدم المسيح لا يكون بمفهوم إلغاء الخطية ولكن رفعها ومسحها، لأن الطهارة كما عرفنا في العهد القديم شرط أساسي للاقتراب من الله. هنا دم المسيح يطهِّر ضمائرنا لنستطيع أن نخدم الله بضمير فرح ونشترك معه بلا لوم.

«يطهرنا من كل خطية»: καθαρίζει

تُستخدم في الإنجيل لتطهير الأبرص، ووردت في حديث المسيح أثناء غسل الأرجل (يو ١٣: ١٠). هنا الطهارة ليست طهارة غسل أرجل «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلاَّ إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم. لأنه عرف مسلِّمه» (يو ١٣: ١٠و١١). هنا الطهارة تنصب مباشرة على طهارة القلب والنية والضمير، لأنه في حال شركة مع المسيح حقيقية وفعَّالة بتأثير فعل الدم بأثر رجعي.

«من كل خطية»: πάσης ἁμαρτίας

أي الخطية بكل أشكالها ومظاهرها:

+ «لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يُغفر للناس وأمَّا التجديف على الروح فلن يُغفر للناس.» (مت ١٢: ٣١)
+ «الذي فيه لنا الفداءُ بدمه، غفران الخطايا، حسب غنى نعمته.» (أف ١: ٧)
+ «وتعلمون أن ذاك أُظهر لكي يرفع خطايانا، وليس فيه خطيةٌ.» (١يو ٣: ٥)
+ «مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يُخطئُ. لأجل هذا أُظهِرَ ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس.» (١يو ٣: ٨)
+ «كل مَنْ هو مولودٌ من الله لا يفعل خطيةً، لأن زرعه يثبتُ فيه، ولا يستطيع أن يُخطئَ لأنه مولودٌ من الله.» (١يو ٣: ٩)

والقديس يوحنا ينظر إلى الخطية أنها قوة فعَّالة تُظهر ذاتها بأشكال متنوعة، وقوله «كل خطية» بمعنى كل أنواعها، كذلك يعني أن الخطايا تحتاج إلى شفاعة.

١ : ٨ «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا».

هذا هو الادعاء الثاني، والادعاء الأول هو إن كنا نعيش في الخطية ونقول إن لنا شركة مع الله فنصبح كاذبين. وهنا ندَّعي أنه ليس لنا خطية بالمرَّة، ومعناه أننا ننكر قوة وسلطان الخطية السائدة على البشرية بقوة وإصرار، أي ننكر أنه يوجد هناك قوة للخطية وبآن واحد نُخطئ ونتمادى في الخطية، وكأنما الخطية توقَّفت عن أن يكون لها أهمية. هنا هذا الادعاء يقوم على تزييف الواقع وغش أنفسنا، والذي يسلك هذا السلوك إنما يتعامى عن التعاليم ويضل نفسه، والنتيجة موت. لأنه إمَّا أن نعترف بخطايانا ونتشفَّع في الذي عمل الكفَّارة عن خطايانا بدمه وندقِّق في سلوكنا لنكتشف

عيوبنا، وإمَّا الضلال والهلاك.

«إن قلنا إنه ليس لنا خطية»: ἁμαρτίαν οὐκ ἔχομεν

نلاحظ أن هناك فرقاً بين أن يكون للإنسان خطية وبين عمل الخطية، فليس هو المقصود أن نعمل أو نقترف الخطية. لأن المقصود هنا هو الخطية كأصل ينبع منه أعمال الخطية، لأنه طالما أن الإنسان يعمل الخطية فالخطية كائنة فيه كقوة فعَّالة تعمل فيه، وقوَّتها تستمر في وجودها حتى بعد قبول الغفران في معموديته، لأنها تظل تطل برأسها وتحتاج إلى قطعها أولاً بأول. وعبارة «لنا خطية» ἁμαρτίαν ἔχειν هي محصورة فقط في هذه الرسالة وفي إنجيل ق. يوحنا (يو ٩: ٤١، ١٥: ٢٢و٢٤، ١٩: ١١). والمعنى الوارد في الإنجيل أن أصحاب هذا الفكر إنما يعارضون حقيقة الخطية ويدوسون عليها وعلى الضمير:

+ «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية. ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية.» (يو ٩: ٤١)

وقولهم إننا نبصر يعني أنهم أبرار وفي النور يعيشون، والحقيقة أنهم خطاة وعائشون في الظلمة.

+ «لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. وأمَّا الآن فليس لهم عذر في خطيتهم.» (يو ١٥: ٢٢)

بمعنى أن المسيح كشف أصل الخطية وأعمالها فليس للخاطئ بعد ذلك أن ينكر الخطية.

+ «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية. وأمَّا الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي.» (يو ١٥: ٢٤)

والمعنى هنا أن المسيح قد عمل أعمالاً هي حجة للذين يطلبون وجه الله والسير في النور، فالذي ينكر هذه الأعمال ينكر الحق والنور والطهارة والبر والله!!

وهذه الآيات كلها توضِّح جرم الخطية، فإن أنكرنا الجرم لا يكون علينا مسؤولية كمن يشطب من قوانين المحكمة نصوص القوانين ليعيش في براءة. والحقيقة أن الخاطئ يُجرم ويتحمَّل المسؤولية معاً. فإن مَنْ يقترف الخطية هو مسئول عن عمله، وبالأكثر أن من يخطئ ينبغي أن يشعر أن هناك قوة داخله تدفعه لعمل الخطية. لذلك يؤكِّد في هذه الحالات «الآن ليس لهم عذر في خطيتهم» (لأنهم إذا كانوا جهلة ولا يدرون ما يعملون، ويشعرون في داخلهم ويعترفون بضمائرهم أنهم جهلة، فإن قوة الخطية فيهم تكون قد فقدت قوتها، أي على حد قول المسيح يكونون بلا خطية)

ولكن برفضهم لقبول الحق والتعامل معه حينما قُدم لهم واستُعلن واضحاً وهم يرفضونه ويصرون أنهم يعرفون بالرغم من ذلك، فقد جعلوا لخطيتهم قوة تسكن فيهم وتسود عليهم. وهذا واضح من (يو ١٥: ٢٢)، لأن رفضهم لكلام المسيح كمقاومين أعطى الخطية قوة فوقهم لتسود عليهم، لأن الخطية قد تمكّنت منهم بسبب رفضهم للمسيح بالرغم من كل ما قاله وعمله. فالخطية حبلت وولدت البغضة في قلوبهم حتى الموت! والمسيح يضع أصبعه على جرم الخطية التي اقترفوها بقوله لبيلاطس «لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم» (يو ١٩: ١١). وهذا يعني القوة التي أخذتها الخطية لتسود عليه، التي سمح لها بالفعل حتى القتل، فالخطية عملت عملها بقوة مميتة في رئيس الكهنة الذي كان يعلم مَنْ هو الله ولكنه أسلم المسيح نفسه للحاكم الروماني، فخطيته التي دفعته للإجرام ضد العدالة كانت أكثر من خطية بيلاطس، الذي كان في وضع مَنْ يجهل الحقيقة أكثر من اليهود.

وهنا في الرسالة، ولو أن الوضع مختلف نوعاً، إلاَّ أن ق. يوحنا يستخدم نفس الكلمات: فإن قلنا إنه ليس لنا خطية فنكون إذاً بلا عذر إذا كانت لنا خطية بالرغم من إنكارنا هذه الحقيقة.

«نضل أنفسنا»: πλανῶμεν

نكون قد انسقنا للضلال عن الطريق الحقيقي:

+ «كتبت إليكم هذا عن الذين يضلُّونكم.» (١يو ٢: ٢٦)

+ «أيها الأولاد، لا يضلكم أحدٌ. مَنْ يفعل البرَّ فهو بارٌّ، كما أن ذاك بارٌّ. مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يُخطئُ ...» (١يو ٣: ٧و٨)

فالخطأ أو الخطية لابد أن تنتهي بالموت إلى أن نعود إلى طريق الحق. لأنه ماذا يكون لنا إذا لم يكن المسيح قد سفك دمه ليطهرنا من كل خطية، أليس أن الخطية تكون ذات وجود وذات عمل؟ بل إن كنا نقول إنه ليس لنا خطية فليس فقط نضل أنفسنا بل نكون قد أنكرنا النعمة التي في الإنجيل وأنكرنا صليب المسيح، بل وننكر أمانة الله وعدله الذي جعل لنا في غفران الخطايا خلاصاً وقبولاً.

«وليس الحق فينا»: ἀλήθεια

لأنه إن قلنا إنه ليس لنا خطية فنحن ننكر ونجحد الحق ويكون غائباً عنّا جملة، هنا الحق يتعدَّى معناه كإحساس بالحق فهو أيضاً الاستقامة والأمانة، وهو امتحان النفس التي ستقف أمام الله يوماً. هو وقفة الضمير أمام الله الذي سيقف يوماً أمام محكمة الله. وقديماً قالها سليمان الحكيم في سفر الأمثال: «مَنْ يكتم خطاياه لا ينجح ومَنْ يُقر بها ويتركها يُرحم.» (أم ٢٨: ١٣)

١: ٩ «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ».

على قدر ما رأينا أن الخطية جرم يؤدِّي إلى الموت، على قدر ما قدَّم الله لنا الوسيلة حتى نتخلَّص منها وندوسها بأرجلنا. فالخطية كما عرفناها في آدم قد خرَّبت العالم وأدخلت الأرض بكل ما فيها وما عليها في حالة لعنة يئن منها الإنسان والحيوان، وقد أفنت في يوم من الأيام العالم كله في الطوفان، إلاَّ أن الله في النهاية بعد أن رأى الإنسان يئن تحت ثقلها بالدموع ويستصرخ رحمة الله، تحنَّن من أجل رحمته ومحبته وأرسل لنا مَنْ يُخلِّصنا من سلطان الخطية ومن سلطان مَنْ يستخدمها لإذلال الإنسان.

والعجب حقًّا إذا قسنا الأهوال والأوجاع التي يمكن أن يدخلها الإنسان برجليه من جراء الخطية، مع بساطة وسهولة الخلاص النهائي منها بواسطة التوبة والاعتراف.

«أمين وعادل»: πιστὸς καὶ δίκαιος

هاتان الصفتان متلازمتان، فأمانة الله تظهر في تكميل وعوده، وعدل الله أنه بالرغم من تعدي الإنسان في أن يتمِّم واجبات وعود الله وعهوده، فإن الله يبقى أميناً لمواعيده وعهوده التي يقطعها مع الإنسان وينسى تعديات الإنسان. وعلى مدى الإنجيل يظهر الله أميناً لمواعيده بالرغم من عدم أمانة الإنسان الذي ينتفع بها.

+ «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو **أمين**.» (عب ١٠: ٢٣)
+ «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجَّاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو ٣: ٢٣-٢٥)

«حتى»: ἵνα

توضِّح المجال الذي تعمل فيه الأمانة والعدل لتظهر، وتتبعها عادة جملة إخبارية قوية. ويستخدمها ق. يوحنا بكثرة:

+ «(حتى) أحل سيور حذائه.» (يو ١: ٢٧)
+ «لم يكن محتاجاً (حتى) أن يشهد له أحد.» (يو ٢: ٢٥) (الترجمة الأدق)
+ «انظروا أية محبَّة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله.» (١يو ٣: ١)

«يغفر»: ἀφῇ

تأتي من مفهوم السياق اليوناني بمعنى "يرسل بعيداً" بمعنى يرفع أي يجعل العقوبة ملغية أي "يلغي الدين"، وهي هنا بمعنى رفع الحاجز الفاصل بين الإنسان والله الذي صنعته الخطية. إذ لا يستطيع الله بحسب طبيعته أن يعتبرها غير موجودة: «غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكن لا يبرئ إبراءً» (خر ٣٤: ٧) إلى أن تُرفع الخطية بواسطة قوة تزيلها.

«ويطهِّرنا من كل إثم»: καθαρίσῃ ... ἀδικίας

لا تُفهم كمجرد تطهير. ولكن لأن التطهير من الخطية، والخطية سلوك أخلاقي، أصبح بالضرورة التطهير تطهيراً أخلاقياً: أولاً تطهير الضمير «يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة» (عب ٩: ١٤). ثمَّ تطهير العين التي تشتهي والسمع الذي ينشغل عن الكلمة والقلب الذي يتصوَّر. فالتطهير تطهير لا يخص غفران خطية الخاطئ فحسب بل ليجعله صالحاً ومهيَّئاً للشركة مع الله، وهذا يعني أنه يصبح له طبيعة تقابل طبيعة الله من كافة الوجوه. ويلاحظ القارئ اللبيب أن القديس يوحنا لا يذكر التطهير فقط ولكن التطهير من كل إثم، فغاية التطهير أن يتراءى الإنسان أمام الله بلا لوم.

فالغفران هو من نصيب الإنسان لكي يحيا في الإيمان المسيحي، ولكن التطهير لكي يحيا في الحياة الأبدية. والغفران والتطهير أكملهما المسيح معاً بسفك الدم بآن واحد. والغفران يختص بإلغاء الدين أمَّا التطهير فيختص بالتقديس ليصبح الإنسان على مستوى التراثي أمام الله. لذلك يقول «يطهِّرنا من كل إثم»، فهذا يعني أن الإنسان يصبح بطبيعة جديدة وأخلاق جديدة تناسب عطية الله التي أعطاها، وهي خليقة الإنسان الجديد بخلقة جديدة حيث لا يمكن أن نجد إنساناً ما مهما غفرت خطيته لائقاً أن يتراءى أمام الله إلى أن تتطهَّر طبيعته وهذا لا يتحقَّق إلاَّ بالخلقة الجديدة.

ويلزم أن يفهم الإنسان أن الخلقة الجديدة للإنسان هي عمل الله مائة بالمائة «ينبغي أن تولدوا من فوق» (يو ٣: ٧) حيث لا يتدخَّل إنسان في هذه الولادة الجديدة بطبيعتها الطاهرة وخلُوها من كل إثم، هذا لأنها تهم الله جدًّا، حيث أن الإنسان مدعو للشركة معه والحياة الأبدية معه، فالله وحده يقوم بهذه الخلقة وهذا الميلاد: «أمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١٢). هنا الميلاد الجديد بسلطان الله الذي يمنحه للإنسان ليصير خلقة جديدة: «ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله.» (يو ١: ١٣)

ويزيد ق. يوحنا توضيحاً لهذا السر الرهيب ويقول إن المولود من الله يحمل زرع sperma الله

بمعنى واقعي أن الله قد تدخَّل في الخلقة الجديدة موازياً لحبل القديسة مريم العذراء:

+ «وإذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس.» (مت ١: ٢٠)
+ «فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظلّلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله.» (لو ١: ٣٥)

وكيف يتجرَّأ ق. يوحنا ويقول: «كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه sperma يثبت فيه، ولا يستطيع أن يُخطئ لأنه مولود من الله» (١يو ٣: ٩)؟ هذا ليس بمجرَّد توفيق في المعرفة بالكلام، ولكن ق. يوحنا يستعلن طبيعة المولود من الله من زرع الله، فهي خليقة جديدة رأسها المسيح الذي وُلِدَ من الروح القدس والعذراء مريم. فالمسيح هو رأس الخليقة الجديدة، رأس الكنيسة، رأس الإنسان الجديد النازل من حضن الله لكي يرفع الإنسان المغضوب عليه إلى حضن الله. ولكن لكي يبقى الكلام هنا في محيط ودائرة اللاهوت الصحيح فإن ميلاد الإنسان الجديد لا يدخل فيه أي شيء جسدي مادي، هو روحي صرف، والمولود من الروح هو روح، فالخلقة الجديدة المدعوة للحياة والشركة مع الله الآب والابن هي من عمل روح الله.

فعبارة «يطهِّركم من كل إثم» هي الحصول على طبيعة الإنسان الجديد اللائق للشركة مع الآب والابن.

١ : ١٠ «إِنْ قُلْنَا: إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا»

هذا هو الادعاء الثالث: أن ننكر أننا أخطأنا، هذا يُحسب إنكاراً للحقيقة التي على أساسها نتعامل مع الله ويتعامل الله معنا. لأن الله يتعامل مع الإنسان على أساس أنه خاطئ، للدرجة التي جعلت الله بسبب حبِّه للإنسان الساقط في الخطية أن يبذل ابنه الوحيد لكي بالإيمان به ينعتق الإنسان من الهلاك:

+ «هكذا أحب الله العالم (الخاطئ) حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو ٣: ١٦)

فإنكار الخطيئة إنكار للصليب والموت الذي ماته المسيح، لأن المسيح مات من أجل خطايانا وقام من أجل تبريرنا. إن قلنا إننا لم نُخطئ نجعل أعمال الله والمسيح كأنها لا تخصنا، ونزدري بالصليب والدم، لأن الصليب ثمن الخطية والدم للتطهير منها.

ففي الآية (٨) يقول الإنسان غير المؤمن إنه ليس له خطية، وفي هـذه الآية يقول إنه لم يخطئ حاسباً نفسه كاملة، بينما الوحيد الذي بلا خطية هو المسيح. ولكن الله وروح الله عمله في العالم أن يبكّت على الخطية، فإذا اعتبرنا أن الإنسان لم يخطئ فإننا نلغي كل العهد الجديد بكل عطاياه ودينونته ونجعل الله كاذباً والإنجيل شهادة زور:

+ «مَنْ يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. مَنْ لا يصدق الله، فقد جعله كاذباً، لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه.» (١يو ٥: ١٠)

+ «لأننا نحن أيضاً قد بُشِّرنا كما أُولئك لكن لم تنفع كلمة الخبر أُولئك إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا.» (عب ٤: ٢)

حيث لم يقدر غير الطائعين أن يدخلوا راحة الأرض الجديدة بسبب عدم الإيمان.

«لم نخطئ»: οὐχ ἡμαρτήκαμεν

أي أننا لم نقترف أي خطية لا في الماضي ولا في الحاضر، شيء لا يقبله مَنْ له ذرة إيمان بالمسيح، لأن الإيمان بالمسيح معناه أنه صُلب ومات وقام من أجل الخطاة، كل الخطاة. فمن يقول هذا القول لا يمكن أن يكون إلاَّ الفلاسفة المدَّعين الكذبة، وهذا عمى روحي وعمى ديني لأن الخطية تقلق بال العالَم كله ولا يوجد إنسان حيّ إلاَّ ويئن من فزع الخطية. فعدم الإحساس بالخطية مصدره عدم الإحساس بالله والمسيح. وإنكار الخطية بالرغم من ثقل وجودها هو تحدِّي لكلمة الله. فإن قلنا إننا لم نخطئ نجعل الله ليس فقط كاذباً (كما تقول الآية) بل وغير موجود، لأنه إن وُجدَ الله وُجد التمييز بين الظلمة والنور والباطل والحق. فإذا لم نميِّز الخطية فالإحساس بالله يكون غائباً أو كما تقول الآية «كلمته ليست فينا».

«كلمته»: ὁ λόγος

مساوية للحق: «إن قلنا إن لنا شركةً معه وسلكنا في الظلمةِ، نكذب ولسنا نعمل الحق» (١يو ١: ٦). والكلمة هنا ليست الكلمة التي نبشِّر بها بل قوة الله الساكنة في الداخل والعاملة فينا:

+ «لأن كلمة الله حيَّة وفعَّالة وأمضى من كل سيف ذي حدّين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، **ومميِّزة أفكار القلب ونيَّاته**.» (عب ٤: ١٢)

+ «كتبت إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء. كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير.» (١يو ٢: ١٤)

+ «أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم.»

(يو ٨: ٣٧)

وهذه الآية تكشف عن وجود الإنجيل حيًّا في صدر ق. يوحنا وأن لكلامه رنيناً في قلبه.

مراجعة للجزء ٢ (أ): [١: ٥-١٠]:

يُلاحَظ أن القديس يوحنا قد اهتم بإظهار أن الله نور (١:٥) قبل أن يصل إلى الله محبة (٤:١٦)، وقد جعل النور أولاً لأن النور يمثل الحق والمعرفة الحقيقية ويكشف المستورات وخبايا الظلام، والنور هو أساس العلاقة التي تربط الله بالإنسان، أي الشركة التي اهتم بها ق. يوحنا كأول ما يريد أن يمنحه لأولاده.

ففي شركتنا مع الله من غير المعقول وغير الممكن أن نخفي خطايانا عنه، لأن الخطية ظلمة والله نور ليس فيه ظلمة البتة.

ثمَّ تطرَّق القديس يوحنا إلى كيف يغفر الله الخطية ويمحوها، فدم المسيح أساس التطهير. ولكن في هذا لا يغفل دور الإنسان الذي وُضع عليه أن يعترف بخطاياه. فأمام عناية الله بالإنسان يُلقى على الإنسان مسؤولية الاعتراف بخطاياه. وإن اعترفتُ بخطاياي معناه أنني أحدِّد أمام الله الجزء الفاسد في حياتي وأطرحه أمامه لكي يتولّى رفعه عن ظهري، لأن الخطية ثقل يعرقل الإنسان عن الانطلاق نحو الله. فإن لم أضع خطاياي محدَّدة أمامه طالباً الغفران والصفح، فهو لا يعمل عمله.

وهكذا يكون الإنسان قد تأهَّل أن يسير في نور الله.

وفي هذه الآيات يكون القديس يوحنا قد وفَّى بداية طيبة لإنسان يطلب أو يُدعى إلى الشركة مع الله. فالمقدِّمة هي أمام عين القديس يوحنا يكمِّل فعلها وواجباتها على مستوى الرسالة. والجزء الأول الذي افتتح به الرسالة هو أن الله نور. وهكذا يتحتَّم على طالب الشركة أن يتوافق مع نور الله ويسير في هداه.

الأصحاح الثاني

(ب) معرفة الله والطاعة: [٢: ١–٦]

في هذا الجزء يعطي حقائق تُحسب كشروط للشركة: المعرفة الصحيحة، والطاعة.

(١و٢): علاج الخطية للذين على استعداد أن يعترفوا بها.

(٣–٥): الطاعة هي باب المعرفة.

(٦): التشبُّه بالمسيح واقتفاء أثره.

٢: ١ «يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ».

الإدراك بأن الخطية هي مشكلة عامة حتى للمسيحيين يجعل الوعي بطبيعة الخطية يتعثَّر، فكثير من الناس لا يحكمون على شناعة الخطية ويتجاهلون المسؤولية المترتِّبة على مَنْ يقترفونها. لأنه إذا كان من المستحيل أن يوجد إنسان بلا خطية فلماذا ندينها هكذا بقسوة؟ ولماذا نجاهد بشدة من أجل أمر لا يمكن أن نتحاشاه؟ لهذا أسرع ق. يوحنا لِيُعلن الحق لأولاده ويرد على هذا الحكم الباطل.

فالخطية تقف مضادة للمُثُل المسيحية، ويدور الموضوع كله حول إقامة الحق المسيحي بأوضح صورة لكي يبطل الخطية لا أن يتجاوزها. فغرضه الأساسي في الكتابة هو لكي ينهي على صورة الخطية وأثرها «لكي لا تخطئوا». والمنهج المسيحي فيه الوسائل التي توصّله إلى هذا الغرض على أن يتحقّق تدريجيًّا. فأينما وُجد الشخص الذي يُسهِّل الطريق للخطية فمثل هذا ينبغي أن يوقف في الحال لأنه يزعزع العلاقة بين الإنسان والله. وهذه العلاقة هي التي بدأ بها الرسالة على مستوى الشركة، وهي غرض المسيح الذي جاء ليؤسِّسه بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك. فالمسيحيون لهم الشفيع (الباراكليت) مع الآب أو عند (πρός) الآب، القادر والمريد أن يشفع فيهم ليقدِّم دعواهم بالحق كاملاً متكلِّماً من أجلهم كمهمته الأُولى. فتوسطه لدى الآب على مستوى الشفاعة والتوسُّل كما يشتهون ويودُّون وأكثر حتى تعود شركتهم مع الآب والمسيح على أُسس يحبها الله وخاصة برفع الخطية من الوسط.

«يا أولادي»: τεκνία μου

هنا يبدأ الإقناع. فالقديس يوحنا الشيخ يمثل الجيل الأول المعاصر للمسيح، الذي سمع ورأى وشاهد ولمس. الجيل الذي لم يتبقَّ منه إلاَّ كاتب هذه الرسالة. لهذا يهتم بالجيل الناشئ فدعاهم «يا أولادي» ليحبِّبهم إلى نفسه وليزيد الرسالة جراءة وأهمية، وبآن واحد هم أيضاً أولاده في الإيمان بالمسيحية التي يدينون له بها. إنه الإنجيلي المحبوب للمسيح وللكل.

«أكتب إليكم هذا»: ταῦτα

هذه الرسالة فيما هو آت منها وليس ما فات، ولو أن الذي فات هو مضمون الآتي.

«لكي لا تُخطئوا»: ἵνα μὴ ἁμάρτητε

جاء الفعل في زمن الماضي البسيط الذي يعني هنا أعمالاً معيَّنة ومؤقَّتة للخطية، وليس الخطية كحالة عامة مستمرة، إذ أن هذه غير واردة في حالة المسيحيين الذين يعيشون الحق. فالذين اغتسلوا ليسوا في حاجة إلاَّ إلى غسل أرجلهم بل هم أطهار (يو ١٣: ١٠).

«وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار»:

«شفيع» παράκλητον

آية محكمة متكاملة حيث يأتي اسم الشفيع بصورة فريدة توجد في كتابات القديس يوحنا فقط ولكنها لا توجد في بقية أسفار الكتاب المقدس. فهي في كتابات ق. يوحنا نجدها في: (يو ١٤: ١٦و٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ٧)، (١يو ٢: ١).

ومعناها المباشر الشفيع، وقد وضعها ق. يوحنا هنا في الرسالة في موضعها الصحيح المشجِّع. أمَّا في (يو ١٤: ١٦و٢٦) فمعناها متّسع وتفهم كأنه واحد يُدعى للمساعدة.

ولكن الفعل παρακαλέω يعني "يُعزِّي" (مت ٥: ٤)، (إش ٦١: ٢)، (٢كو ١: ٣و٤) حيث يتّسع معناه ليكون أكثر من شفيع، خاصة في اللاتينية. ولكن في رسالة ق. يوحنا هنا تأتي بمعنى "الشفيع". وفي التلمود أيضاً يأتي المقابل العبري لهذه الكلمة بمعنى "المحامي". وقد أتت عند القديس أوغسطينوس بمعنى "المعزِّي أو الشفيع"، وعند القديس يوحنا ذهبي الفم أتت بمعنى "المعزِّي"، وعند القديس كيرلس الأُورشليمي أتت بمعنى "الذي يشجِّع ويعضِّد".

«لنا»: ἔχομεν

ويقصد المسيحية كلها، الكنيسة، فالكل له هذا الاختبار الذي يُحسب كقوة تشفع لكل العالم، والكنيسة هي في أمسّ الحاجة إليه لأن السقوط في الخطية وارد في كل لحظة. فإذا أخطأ واحد من الكنيسة فالأمر يخص الكنيسة كلها.

«يسوع المسيح البار»: Ἰησοῦν Χριστὸν δίκαιον

كإنسان حقيقي (يسوع) ومسيح الرب المُرسل للبشرية (المسيح)، وهو لائق ونافع ومناسب

ليعمل هذا العمل أي الشفاعة لأنه بار. له أن يحضر حيث لا يحضر آخر قط في حضرة الرب، وهو لا يحتاج لأي شفيع له فهو البار.

٢: ٢ «وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً».

وهو نفسه αὐτός كفّارة وشفيع من أجل خطايانا، ومحاماته حق لأنه حاصل الشهادة في نفسه، على أنه يوفّي الشرط الوحيد القائم للشركة بين الله والإنسان بسبب قدرته على رفع الخطايا التي كانت السبب في تعطّل العلاقة بين الله والناس. وهو ليس فقط الكاهن الأعظم المناسب بحق لتقديم الكفّارة ولكن هو نفسه الكفّارة التي يُحضرها أمام الآب في صف مَنْ يتشفّع فيهم، هذا على نور العهد القديم الذي استلمه الرسل كأساس. لذلك ينطلق القديس يوحنا بإدراكه أن المسيح جاء ليخلّص العالم كله، فهو يقدّم المسيح للآب كمن يتشفّع بإرادته مقدّماً نفسه بخضوع كلّي لإرادة الآب لتكميل فعل البر، هكذا فشفاعته مقبولة لكل العالم برفع خطية العالم، الخطية التي حرمت الإنسان من الله. وهكذا على قدر ما يلتجئ الخاطئ إلى الله فإن خطاياه تُغطّي في الحال، فالدم حاضر حيّ فعّال.

٢: ٣ «وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ».

لقد سجّل الكاتب أن القصد من كتابته هو تأسيس مبدأ الكف عن الخطية، ولكن إن دخلت الخطية لتعترض حياة الإنسان مع الله فهناك الدواء (٢: ١و٢)، ولكنه انطلق هنا لكي يضع علامات الحياة المسيحية كما تحقّقت بمعرفة الله والشركة مع الله، فهي قائمة في الطاعة والتمثّل بسلوك المسيح. ومعرفة الله تحوي ما هو أكثر من الطاعة لوصاياه، فأصالة التعرُّف على الله ينبغي أن تُختبر. والقديس يوحنا يرى هنا أن المعرفة الحقيقية والأساسية لا تُدرك بالطاعة إلاّ بعد أن تُدرَك مشيئة الله بمفهومات محدَّدة.

فعند ق. يوحنا المعرفة ليست هي الفهم والإدراك فقط مهما ارتفع، ولكنها تُقتنى باستخدام كل ملكات الإنسان الفكرية والقلبية والإرادية عملياً. فالشركة مع الله هي أساس معرفته، وقد عبَّر عنها ق. بولس قائلاً: «وأمّا الآن إذ عرفتم الله بل بالحري عُرفتم من الله» (غل ٤: ٩). ففي كتابات ق. يوحنا نجد أن التأكيد على المعرفة الحقيقية لله متصل بكل تأكيد بدفاعه المستميت ضد جماعة الغنوسيين (جماعة المعرفة).

«أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه»:

والمعنى عميق في هذا الاختصار البديع، فنحن ندركه أكثر وأفضل وأوضح وبأصالة عندما نمارس الطاعة الإرادية بتتميم وصاياه. والقديس يوحنا يستخدم الاصطلاح «إن حفظنا وصاياه» في كل كتاباته. فقد أتت في الإنجيل ١٢ مرَّة وفي الرسالة ٦ مرَّات. وفي سفر الرؤيا ٦ مرَّات، لأن حفظ الوصايا وتتميمها بطاعة وإحساس التناغم مع مطالب الله برضى القلب ومسرَّته وفرحه بالروح يقرِّب القلب والذهن من الله، وينير البصيرة ويجلِّي المعرفة، لأن معرفة الله روحية وليست ذهنية، والوعي الروحي المفتوح هو العين المفتوحة والأذن المفتوحة لكلمة الله المسموعة والمكتوبة: «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو ٢٤: ٤٥)

٢: ٤ «مَنْ قَالَ: "قَدْ عَرَفْتُهُ" وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ».

هنا يقدِّم القديس يوحنا اختباراً عملياً يمكن تطبيقه بكل تأكيد، لأنه لا توجد هذه المعرفة التي لا تُطبَّق بالعمل المناسب للمعرفة. فالإنسان الذي يدَّعي أنه يعرف الله ولا يبدي مع المعرفة ما هو خاص بها وضروري من جهة السلوك حسب مشيئة الله في الوصية، والذي يقول إنه قد حفظ الوصايا ولم تظهر هذه الوصايا معمولة في سلوكه، يكون كاذباً وغريباً عن الحق الذي في الوصية. ولكن إن هو بقي بدون تتميم الوصية عملياً فهو يغش نفسه. وإنجيل ق. يوحنا ينص على ذلك: «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته (مشيئة الله) يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلَّم أنا من نفسي.» (يو ٧: ١٧)

«مَنْ قال»: ὁ λέγων

هذه الآية موازية في تركيبها مع الآيات (١: ٦و٨و١٠)، ولكن هنا مقصورة على الفرد. فالقديس يوحنا يوجِّه تحذيره للأفراد لإحساسه بخطورة الوضع، لأن الآية تُنبئ بأن هناك أمثلة رديئة ذات تأثير على أولاد الله.

«فهو كاذب»: ψεύστης ἐστίν

الكذب هنا لا يقع على الشخص بقدر ما يقع على ادعائه، وفيها إحساس بأنه كذب ليس له عذر، بل ويتسحب كذب الادعاء على كل سلوك الشخص، لأن الذي يدَّعي المعرفة لله ولا يُبدي طاعة له فكذبه صارخ، لأنه إذا رُئي النور ولا نتبعه فإن الحياة كلها تكون معرَّضة للضياع.

«وليس الحق فيه»:

ليست هذه العبارة تكراراً للجزء الإيجابي السابق، وقد جاءت بالصورة السالبة، ولكن الحق هنا تعبير عن القوة كمبدأ غائب. فالكذب هو حصيلة الفكر، ولكن غياب الحق هو تعبير عن غياب كل ما يملك الإنسان من المبادئ الإيجابية المتصلة با لله: «وتعرفون الحق والحق يحرِّركم.» (يو ٨: ٣٢)

٢: ٥ «وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللهِ. بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا فِيهِ».

هنا حفظ الكلمة شمل العمل بها، لأنها دخلت إلى الإدراك الكامل لله الذي كان من نتيجته أن المعرفة أنشأت محبة ا لله. حفظ الكلمة والعمل بها يُنشئ معرفة، والمعرفة الكاملة تُنشئ حبًّا، لأن المحبة أعلى من المعرفة، ولكن المعرفة هي باب المحبة السرِّي، لأنها معرفة بالروح والقلب وليست بالفكر.

والذي بلغ إلى معرفة ا لله وحبه يكون قد بلغ الشركة. ولكن ما يكشف حقيقة البلوغ إلى هذه الشركة المعرفة المتحصِّلة من العمل بوصاياه، لأنها أنشأت سرًّا حالة حب صادق، والحب الصادق هو حب من الطرفين حتماً، لأننا إن أحببنا ا لله فلأنه هو أحبنا أولاً. والحب المتبادل حالة شركة بالروح.

«وأمَّا مَنْ حفظ كلمته»: αὐτοῦ τὸν λόγον

هنا "الكلمة" هي تعبير جامع عن الوصايا، والوصايا تقدِّم الاختبار الكامل للحقيقة وممارستها للتعرُّف على الله. ولكن لكي تبلغ الطاعة لله حقيقتها يلزم أن تبلغ حالة الحب.

«تكمَّلت محبة الله»: ἡ ἀγάπη τοῦ θεοῦ

هنا التركيب اللغوي لا يحتمل إلاَّ محبتنا لله. ومحبة الله التي يستطيع الإنسان بلوغها تتحقَّق فقط في الطاعة الكاملة أو الكلية. لماذا؟ لأن أصل المحبة نابع من الله، وكوننا نحن نحب الله فهذا أمر فائق على مقدرتنا، ولكن إن نحن أطعنا الله طاعة كلية فمحبة الله تصبح هي محبتنا، لأن الطاعة الكلية تجعل كل ما لله وما عند الله مِلْكَنا أو فينا «في هذا هي المحبةُ: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا» (١يو ٤: ١٠). هذا ما يقوله القديس يوحنا أيضاً في رسالته أن محبة الله للإنسان هي التي تدعو الإنسان للاستجابة ليعطي حبه لله، ويشرحها: «فإن هذه هي محبة ا لله. أن نحفظ وصاياه.» (١يو ٥: ٣)

فإذا تكمَّلت محبة الله فينا، فإن هذا يكون أبلغ تعبير عن الشركة مع الله، لأنها قبل أن تكون

شركة حياة هي شركة محبة.

«فحقًّا»: ἀληθῶς

هنا يذكر أن المحبة قد تكمَّلت بالحق. هنا كمال المحبة ليس حبًّا فكريًّا ولكنه حب سلوكي أخلاقي بعيداً عن العاطفة، ردًّا على الادعاء بمعرفة الله التي أنشأت حالة كذب لأنها كانت بدون طاعة في حفظ وصاياه. وهذا التعبير «فحقًّا في هذا قد تكمَّلت محبة الله» يعتبر إحدى العلامات الموجودة في هذه الرسالة، التي بها تبدو مشاعر يوحنا الرسول أنها متجهة بشدة لتشجيع أولاده بتأكيد حقيقة امتياز المسيحية التي تبلغ بالإنسان إلى حالة حب أخلاقي ثابت وحقيقي مع الله، كنتيجة للجهد المطالب به في حفظ وطاعة وصايا الله.

+ «إن ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي.» (يو ٨: ٣١)

«بهذا نعرف أننا فيه»: ἐν αὐτῷ ἐσμεν

هذا التعبير يشابه تعبير بولس الرسول "في المسيح" من حيث الوجود المتبادل، ولكن عين القديس يوحنا على حالة الشركة الجماعية. فهذا الجزء من الآية جاء بصيغة الجمع. هنا المعرفة عملية سلوك وأخلاق وحب بمعرفة صادقة تعلن أننا حقًّا نعيش فيه.

٢: ٦ «مَنْ قَالَ: إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضاً».

ينبغي أن يُضاف إلى هذه الآية الجزء الأخير من العدد السابق: «بهذا نعرف أننا فيه». هنا دعوة ضمنية أن نعيش متمثّلين بالمسيح في سلوكه الذي قدَّم المسيح نفسه المنهج اللازم لذلك بتقديم وصاياه. والوصايا التي قدَّمها المسيح هي المثل الكامل الذي إذا اتَّبعناه تكون حياتنا حسب مشيئة الله.

هذه الحقيقة تشرح نفسها، لأن الثبوت في المسيح معناه حياة سعيدة هنيَّة كلها تسابيح وتهاليل الليل والنهار كما قال إشعياء: «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس. بنفسي اشتهيتك بالليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦: ٨و٩). فالثبوت المتبادل حياة شركة فيها المسيح هو العامل والمريد، لا يجد فيها الإنسان أي فرصة للتراخي، فالروح يشدّه، والنعمة تقوده، واسم المسيح لهجه ومسرَّته في الضيقات حيث يختبر شدَّة الله وبأسه: «في الضيقات وُجدَ شديداً» (مز ٤٦: ١)، من كل ضيقة ينقذه وفي الأتعاب هو راحته وأنشودة نصرته، يشتهي أن يتألَّم من أجل اسمه ليتقدَّس في صليبه وتنعكس عليه نصرته وغلبته. يذوق بعده القيامة من موت مثل هذا فيحيا في نور بهجته،

يحلِّق قلبه في السماء لأن حبيبه جالس وسط تسابيح قديسيه وألوف ملائكته وربوات ربوات جنود النعمة يقدِّمون له الخدمة، يحسب نفسه مع السمائيين فما يكف عن السجود والصلاة باكياً مع الباكين وعوناً للبائسين، يشد من أزر السهارى، ويطوف لعلَّه يجد مسكيناً يحنو عليه، أو فقيراً يشاركه اللقمة، يبحث عن الغرباء ويأوي الذين ليس لهم مأوى. يبذِّر ما يقع في يديه فيذوق ستر النعمة. يعيش بلا هم ويحمل كل هم. حَمَل نير المسيح فما استثقله يوماً. فرحة قلبه لا تغادره ويوزِّع الحب على البائسين. ما كلَّت عيناه من قراءة الإنجيل، وكتب الآباء هي مدَّخراته. يتودَّد إلى أعدائه ولا يئن من مضطهديه، يبارك لاعنيه ويُصلِّي من أجل المسيئين إليه، قلبه ثابت في المسيح بثبوت المسيح فيه، يأخذ منه ويعطيه ولفرحه يشتهي الانطلاق فيزيده المسيح أيَّاماً وسنين. هذا مَنْ يثبت في المسيح ومَنْ يسلك بسلوك المسيح.

(ج) المحبة والنور الحقيقي: [٢: ٧-١١]

٢: ٧ «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لَسْتُ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً، بَلْ وَصِيَّةً قَدِيمَةً كَانَتْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ. اَلْوَصِيَّةُ الْقَدِيمَةُ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا مِنَ الْبَدْءِ».

«الكلمة التي سمعتموها من البدء»: ὁ λόγος ὃν ἠκούσατε

كل شيء قد صار جديداً عند القديس يوحنا حتى القديم، القديم كان يوصي بمحبة القريب، والجديد جعل الحب للإخوة والأعداء سواء. فالحب يتجدَّد بتجدُّد قلب الإنسان، وروحه ما تَعْتُقُ وما تَقْدَمُ فهي جديدة كل صباح. السائر بالحب أشرق عليه نور المسيح يسير أينما سار المسيح. والمسيح ينتقل بين بيوت الخطاة يوزِّع الغفران والكفَّارة على الباكين منهم والسائلين، والسائر بالحب خلفه يمسح كل دمعة من عيونهم ويقسِّم ويملأ أيديهم. سمع الوصية منذ البدء وكل يوم هي لهجه وعمله. سمعها من خدَّام الكلمة الذين كانوا، الذين شهدوا والذين عاينوا، لها قوة ثبوت الأرض والسماء، ما تركها من قلبه وما تركت هي قلبه. كلمة الحب تسكن في الحضن وإن خرجت فهي تخرج كل يوم لتعود وقد ملأت كل حضن. وصية الحب بهجة في ذاتها لا تسير وحدها بل الفرح والإسعاد في يمينها والعطاء والبذل في يسارها. يجري وراءها الصبيان لأنها تسعدهم والشبان جعلوها صنعتهم، فملأت بيوتهم وشوارعهم، يتلقفها الشيوخ فيذكرون عزَّها، وأمجاداً امَّحت، جدَّدوها ووقفوا ينشدون لمجد المسيح الذي لا يزول. المحبة تبقى جديدة لأنها سكنت قلب المسيح فانتقلت إلى قلوبنا جديدة، لتبقى كما هي، نحن تهدّنا السنين أمَّا المحبة فتطوي

السنين وما تبلى.

لقد أبدع القديس يوحنا إذ ذكّرنا بالمحبة الأُولى، لأن هناك وصايا كثيرة نافعة جدًّا أمَّا المحبة فأعظمها بلا قياس. كل وصية فيها القديم وفيها الجديد إلاَّ المحبة فهي بذرة التجديد، أينما حلّت أَضْفَت جدَّتها على كل قديم.

لقد أراد القديس يوحنا مرَّة أن يرفع من قدر المحبة فصوَّرها طائراً سريًّا يعبر الأجيال حاملاً غصناً نضراً، أوراقه يتهافت عليها الشبان، لأن مَنْ يأكلها ينتقل من الموت إلى الحياة وكأنها تعبر بهم الدينونة، كل واحد على صدره نيشان الحب، فلا شيء يعادل الغفران إلاَّ الحب. فالذي يحب وأتقن فن الحب بأسراره البديعة يكون قد انتقل من الموت إلى الحياة. هذا هو سر الأسرار تتوارثه جماعة الإخوة يزكّيهم ويزكّونه. فالحب الفادي للشباب، والشباب للحب الفادي. فالحب عندهم هو نور الحياة، هو قوة الحياة.

٢: ٨ «أَيْضاً وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ، مَا هُوَ حَقٌّ فِيهِ وَفِيكُمْ: أَنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ مَضَتْ، وَالنُّورَ الْحَقِيقِيَّ الآنَ يُضِيءُ».

لها مثيل في إنجيل ق. يوحنا: «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبُّون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً» (يو ١٣: ٣٤). وهي حقًّا جديدة لأنها قد وُضعت في نموذج آخر غير الناموس، نموذج إلهي يسوع المسيح، بقوة روحية جديدة وفعَّالة لم تكن لتُمتلك قديماً، وقد نفَّذها المسيح كنموذج قبل أن يطرحها عليهم فصارت حقًّا ونوراً. فهي جديدة لأنها تتبع عهداً جديداً، الروح يكتبه على قلوبهم:

+ «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأمَّا الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف ٥: ٨)
لأن الله قد أعطى شعبه ميراثاً جديداً في النور.

+ «جميعكم أبناء نور وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة.» (١تس ٥: ٥)
+ «شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين في النور. الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو ١: ١٢و١٣)

والانتقال من الظلمة إلى النور عند القديس يوحنا هو انتقال من عصر الخطية إلى عصر القيامة، عصر الحياة (لو ٢٠: ٣٦) هو عمل المسيح، هو فاعلية عصر المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء

القادرة أن تنقل الإنسان من الموت إلى الحياة، هو انعكـاس النـور المنبعـث مـن الملكـوت مـن وجـه الرب. هي أيام المسيَّا، أيام إخضاع الأعداء تحت قدميه (١كو ١٥: ٢٥). والقديم دائمـاً يشـير إلى الظلمة والموت، والجديد يشير إلى النور والحياة. فالمحبة الوصية القديمـة دخلـت عصـر النـور والحيـاة فأصبحت نوراً وحياة. جديدة كل يـوم وإلى آخـر يـوم في المسـيح. جديـدة كلمـا طلبناهـا وكلَّمـا نفَّذناها تبدو حيَّة خارجة من فم المسيح وقلبه كقوة تظلِّلنا لأن المسيح حيّ دائمـاً، فـالحب الخـارج من قلبه حيّ دائماً، وحب المسيح لنا الذي نحسّه ونفرح به يشهد أنه حيّ قـائم فينـا حسـب وعـده الأقدس. وهو الذي يثبِّت إحساسنا وإيماننا أننا نحيا فيه وهو فينا، لأن المسيح هو المحبـة، فطالمـا نحبـه فهو يحبنا حسب الوعد «والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي» (يـو ١٤: ٢١). فحينمـا يلتهب القلب بشعور من نحبه تنحبس الكلمات في فمنا ولا نستطيع أن نعبِّر، لأن المسيح يكون قـد تمَّم الوعد وبدأ يُستعلن للقلب فتتوقَّف كل حركاته ويندهش الفكـر وتُبتلـع الحـواس. لأن بدخـول المسيح حياتنا يملك كل زمامها فلا نعود نعرف ولا نُفسِّر ولا نفهم مـا الـذي حـدث، لأن المسـيح يكون الكل في الكل، فنكتفي براحة تعمّ النفس والروح وهدوء وسكينة وسلام. فالوصايـا ملكـت وصار المحب والمحبوب وكأنهما ليسا من هذا العالم، لحظات خارج عـن الزمـان وعـن هـذا الدهـر. يذوب فيها القلب ذوباناً ولا يدرك مـاذا حـدث. فـالحب إذا ملـك لم يعـد وجـودٌ إلاَّ لله القـدوس وكل ما هو قديس «فتكونون قديسين لأني أنا قدوس» (لا ١١: ٤٥). آية لا يفهمها ولا يمارسـها الإنسان إلاَّ إذا بلغ إلى دهش المحبة. فالمحبة هي قداسة الله.

٢: ٩ «مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ τὸν ἀδελφὸν αὐτοῦ ، فَهُـوَ إِلَـى الآنَ فِـي الظُّلْمَةِ».

النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان دخل إلى العالم. وبالتالي انقشعت الظلمة، ولكن هذا الجمال الفائق في الوصف عن النور هو مقصور على الذين آمنوا به فصاروا أبناء النور يعيشون في النور. أمَّا الذين رفضوه فهم يعيشون في الظلام. وهنا يضع ق. يوحنا المثل والنموذج الذي يشرح عليه، وهـو مثل سلبي: إنسان يقول إنه يعيش في النور وبـآن واحـد يبغـض أخـاه، مثـل هـذا الإنسـان وقـع في تزييف الواقع، والسبب هو أن الظلمة قد أعمت عينيه عن حقيقـة الواقـع. هنـا ق. يوحنـا يكشـف الستار عن أن البشرية دخلت بواسطة المسـيح في أخـوَّة واحـدة فـأصبحت الآيـة القديمـة: محبـة الله ومحبة القريب المربوطة معاً قد تجلَّت في المسـيح، فـالقريب يمثِّـل البشـرية كلهـا المتجـدِّدة في المسـيح والمتحدة معه. فأصبح مَنْ يحب المسيح يحب أخاه، ومَنْ يُبغض أخاه يُبغض المسيح، أي يُبغض النـور

والحق. والفرق واضح لأن المحبة في القديم كانت تُقدَّم لله كمحبة أولاً والوصية الثانية مثلها تحب قريبك كنفسك، ولكن في المسيح أصبحت محبة واحدة لله وللأخ، فالذي لا يحب الأخ لا يحب الله. وهنا يضع البغضة وهي عدم المحبة في المقابل، أي مَنْ لا يحب أخاه يُبغض الله ويُبغض النور، ومَنْ يحب أخاه يحب الله ويحب النور. فمَنْ قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو يكذب لأنه في الواقع يحيا في الظلمة. لأن مَنْ يُمارس البغضة يكون قد تعاهد مع الشيطان فيهرب منه النور وتهرب المحبة، فالقلب لم يعد يطيقها لأنه استضاف الشيطان وقدَّم له ذبيحة البغضة موقَّعة ومُمارسة في إنسان. لذلك قال القديس يوحنا إن مَنْ يُبغض أخاه يُحسب قاتل نفس يُمَثِّل بها ويقطِّعها تقطيعاً بكل مذمَّة واغتياب ويساعده الشيطان ويفرح به. لأنه قتَّال منذ البدء. فلا يعود يطيق الله أو اسم المحبة، ونور المسيح يؤذي عينيه ويبحث عن الظلمة ليختفي فيها.

٢: ١٠ «مَنْ يُحِبُّ أَخَاهُ يَثْبُتُ فِي النُّورِ وَلَيْسَ فِيهِ عَثْرَةٌ σκάνδαλον ἐν αὐτῷ οὐκ ἔστιν».

الحب يمثِّل الثبات، فالثبات في المحبة ثبات في الحق، والحق نور. والذي يثبت في النور أي في الحب الصادق الدائم لا يكون فيه ظلمة التي تمثِّل العثرة، والعثرة هي أن يوقع الإنسان أخاه في خطية. فأصبح الذي يحب أخاه بثبات وصدق يسير في النور ولا يخاف العثرات. والعثرة في النور تساوي البغضة في المحبة. هذه غير ممكنة، وتلك غير ممكنة. فغياب العثرة معناه السير في النور، والسير في النور معناه المحبة الصادقة للمسيح وللأخ. فالمحبة هي حبال الحياة الأبدية تجذب المُحب ليُسرع الخطى أو يجري، لأن المحبة تعطي المعيي قدرة ولعديم القوة تُكثر شدَّة. الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثَّرون تعثُّراً وأمَّا الذين يعيشون في ستر المحبة فيجدِّدون قوة، يرفعون أجنحة الحب كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون بل يجرون ولا يعيون (إش ٤٠: ٢٩-٣١).

والنور مؤذي للعين المريضة، هكذا القلب إن كانت البغضة قد أمرضته فإنه لا يقوى أن يواجه المحبة، أمَّا الذي أخلص للمحبة فهو يحدِّق في النور بثبات، لأن قلبه لا تلوِّثه عثرة البغضة. والرسول هنا يركِّز على الثبات في المحبة كثبوت العين السليمة في النور لأنها ليست مريضة. هكذا الحب تماماً لا يقوى أن يثبت فيه إلاَّ القلب الذي قد خلى تماماً من عثرات البغضة.

لذلك فالمسيح كعالِم بكل ما في الإنسان أوصى أن نُحب أعداءنا ونبارك مبغضينا ونُحسن للمسيئين إلينا ونصلِّي من أجل الذين يطردوننا. ولماذا هذا التدقيق الشديد في قطع دابر العداوة

وشبه العداوة من القلب؟ أليس ليكون القلب قد خلي تماماً من العثرات وطبيعة العثرات مهما كان نوعها حتى ولو كانت ضد الأعداء؟ ولماذا أصرَّ المسيح على القلب الوديع المُحب للأعداء؟ أليس لأن الوقوع في البغضة من أي نوع تلوِّث القلب المسيحي وتحرمه من الثبات في الله والحق والنور والحب؟ المسيح يُصرّ أن لا تكون لنا خبرات سلبية إطلاقاً لأن القلب إذا تلوَّث بالبغضة عسير عليه أن يقوى على المحبة الصافية. لذلك وبحسب الخبرة فإن محبة الأعداء أعظم خبرة مسيحية لنصرة القلب ضد الشيطان نفسه! والذي أحبَّ عدوه ومارس هذا الحب بالحق يصبح من العسير عليه أن يعادي من أراد أن يقتله: «اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.» (لو ٢٣: ٣٤)

٢: ١١ «وَأَمَّا مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ».

استخدم القديس يوحنا فعل οἶδεν = يعلم وليس الفعل γινώσκει ليؤكِّد معنى العلم الداخلي. كذلك استخدم ἐτύφλωσεν من الفعل τυφλόω في قوله «إن الظلمة **أعمت** عينيه» في زمن الماضي البسيط ليقرِّر أمراً واقعاً أي أنه قائم في عمى الظلمة.

هنا يتعرَّض ق. يوحنا إلى ما يحدثه السلوك في العقل والفكر والتمييز، أي الحالة الروحية بجملتها. فمعاكسة الوصية هي معاكسة لله ولغرضه من خلقة الإنسان وفدائه، فالمحبة تسير متوازية مع أغراض الله من الخلقة ومع نعمته ومساعداته في تتميم القصد لأن غاية حياة الإنسان تدخل في اهتمام الله لأنها تخصّه. فمقاومة وصايا الله تَجرِف الإنسان بعيداً عن الله ومقاصده، وتوقعه حتماً كفريسة للشيطان، فتغشاه ظلمة العقل وتغادره قوة التمييز ويفقد رؤية الله والنور، فيسير ولا يعلم إلى أين يسير. لأن الذي يضبط مسيرة الإنسان لتبلغ القصد والغاية هي نعمة الله وحدها، لأن السير في طريق الله وسط طرق العالم أمر عسير جدًّا على الإنسان، لأن طرق العالم كلها تغري وتحث الإنسان على مجافاة الحق والاستقامة والعدل ومناصرة الضعيف والمظلوم، فيختار الأسهل والأكثر ربحاً والأكثر لذة والأكثر تمتعاً بأكاذيب العالم. وهكذا يسير في العالم فاقد الهدف، فاقد صوت الله لأنه يكون قد فقد نور الحياة!! والظلمة ليست ظلمة بصر بل ظلمة بصيرة وإدراك ووعي للروحيات، فهو يرى في العالم كل شيء إلاَّ الله وما يخص الله، بل وكل ما يخص منفعته الروحية وغاية حياته. والذي يسير في الظلمة أي في غياب الحق والنور الإلهي فهو معرَّض لضربات الشيطان من كل جهة، فهو فريسة سهلة لنقمة الشيطان لينكِّل به. والذي يبقى في الظلمة كثيراً

يفقد عينيه تماماً فلا يحس ولا يؤمن أنه يوجد الله أو نـور «لهـم عيـون مملـوءة فسـقاً لا تكـف عـن الخطية» (٢بط ٢: ١٤)، «لتظلم عيونهم عن البصر = (داود يدعو على أعدائه)» (مـز ٦٩: ٢٣). والمسيح يحذِّر: «فسيروا ما دام لكم النور (الله والإنجيـل) لئـلاَّ يُدرككـم الظـلام، والـذي يسير في الظلام لا يعلـم إلى أيـن يذهـب» (يو ١٢: ٣٥). المسيح هنـا يوعِّـي ويـترجَّى ويتوسَّـل أن يقتـني الإنسان كلمة الله وروحه القدوس لتقوده في الحياة في وسط عالم الظلمة «بنورك نرى نـوراً» (مـز ٣٦: ٩). ولكن القديس يوحنا يركِّز على أن المحبة الإلهية هي أعظم مصباح ينير أمامنا طريق الحيـاة دون أن نحمل همّ إضاءته، فهو مصباح الله ونوره لا ينطفئ، ونوره ليس من نور العالم.

ولكن احذر أيها القارئ اللبيب فالمحبة ليست هي أن لا نبغـض أحـداً أو نعـادي أحـداً ونطيـع الكـل ونبذل من جهدنا وعافيتنا في خدمة الكل – ولكن المحبة إيجابية، هي فعل إيجابي خلاَّق لا ينبغي ولا يقبل أن يكون بدون محبة، فكل عمل الإنسان يجب أن يكون صادراً مـن محبـة سـاكنة في القلـب لا تهـدأ ولا تكف عن عمل المحبة. وأولى علاماتها غياب الذات وإخضاع المشيئة كلية لصـوت الله حتـى نميِّز فعل المحبة، حتى لا يسرق العدو ذخيرتنا الروحية في أعمال تظهر أنها للمحبة وهي لحسـاب الـذات والظهـور واكتساب مديح الناس وجيوب الناس. فكل أعمال المحبة الصادقة لا تُحسب لمنفعة الإنسان إطلاقـاً، بـل هي تضحيات وخسارات وبذل النفس والجسد والجهد والصحة والمال والسمعة لإرضاء حب الله مهمـا عانينا من مقاومة وصدود واضطهاد. لأن المحبة تُختبر بالنار كالذهب والفضة إذا دخلت النـار تُنقَّـي مـن الزغل. والشيطان لا يطيق أعمال المحبة الصادقة المخلصة التي بدون ثمن، فهو يقيـم عليهـا جيـوش الظـلام لإبطال فعلها، لأن فعل المحبة الخالصة الطاهرة هـو لتمجيـد الله ورفـع اسمـه وتعظيمـه، وهـي أثمـن مـا في العبادة المسيحية إن كانت بلا غرض وبلا لوم.

(د) الحث للأولاد والآباء لمحبة الآب إزاء محبة العالم: [٢: ١٢–١٧]

٢: ١٢–١٤ «أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، لأَنَّهُ قَـدْ غُفِـرَتْ لَكُـمُ الْخَطَايَـا مِـنْ أَجْـلِ اسْـمِهِ. أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الآبَاءُ لأَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي مِنَ الْبَـدْءِ. أَكْتُـبُ إِلَيْكُـمْ أَيُّهَـا الأَحْدَاثُ، لأَنَّكُمْ قَدْ غَلَبْتُمُ الشِّـرِّيرَ. أَكْتُـبُ إِلَيْكُـمْ أَيُّهَـا الأَوْلاَدُ، لأَنَّكُـمْ قَـدْ عَرَفْتُمُ الآبَ. كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الآبَـاءُ، لأَنَّكُـمْ قَـدْ عَرَفْتُـمُ الَّـذِي مِـنَ الْبَـدْءِ. كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ، لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ».

الأولاد	الآباء
«أكتب إليكم أيها الأولاد لأنه قد غُفرت ἀφέωνται لكم الخطايا من أجل اسمه».	«أكتب إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء τὸν ἀπ᾽ ἀρχῆς».

الأحداث

«أكتب إليكم أيها الأحداث لأنكم قد غلبتم الشرير νενικήκατε τὸν πονηρόν».

الأولاد	الآباء
«أكتب إليكم أيها الأولاد لأنكم قد عرفتم الآب».	«كتبت إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء».

الأحداث

«كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير».

لقد جمع القديس يوحنا الثلاث قامات التي في الكنيسة، فهو يخاطب عائلة الإيمان المتدرجة، أعضاء النور. ويلاحظ القارئ تغيير زمن الفعل من (أكتب) إلى (كتبت) ليفيد المتابعة كرسول وشيخ يهتم بعائلته التي هي الكنيسة كلها. وهو يوزِّع مواهب الإيمان على القامات الثلاثة: فالأولاد خصَّهم بالاعتراف ومغفرة الخطايا التي هي بداية الإيمان، والآباء خصَّهم بالمعرفة التي هي خلاصة الكرازة منذ البدء، أي عرفوا الرب وعرفوا وصاياه وهي أمنية الكارز الرسول. ولما جاء إلى الأحداث خصَّهم بأنهم متقوُّون بالنعمة والروح وكلمة الله ثبتت فيهم ولذلك قد غلبوا الشرير. هي كلمات تعزية يتقرَّب بها الرسول إليهم ويقرِّبهم إلى نفسه وإلى عمله، لأن إيمانهم وتمسُّكهم بالكلمة هو غاية ما يتمنَّاه ق. يوحنا في حياته. لأنه قد رأى في أحبَّائه كل الصفات التي يكرز بها ويدعو إليها. فالأولاد قد بلغوا البراءة الحقيقية وصار اعتمادهم على الآب السمائي، والآباء قد بلغوا معرفة الإيمان منذ البدء فنضج الإيمان وأثمر أولاداً وشباباً حيًّا مجاهداً، والشباب خصَّهم ق. يوحنا بالغلبة على الشرير لأنهم قد صاروا أقوياء في الإيمان متمسِّكين بكلمة الله.

وهو ضمناً يذكر الجميع بما لهم وما عليهم ليسيروا في نور معرفة الله ويغلبوا أفكار وإغراءات المعلِّمين الكذبة وأضداد المسيح. وهذا الأسلوب الأخير الذي لجأ إليه ق. يوحنا هو نوع من المديح الذي يمتدح أعمالهم: فالأولاد مشغولون بخطاياهم يعترفون بها وينالون الغفران، والآباء مشغولون

بالمعرفة ويزدادون منها كل يوم، والأحداث قد غلبوا الشرير بعفّتهم وتمسُّكهم بالحق وكلمة الحياة. فهو غاية ما يتمنّاه الكارز لكنيسته.

٢: ١٥ «لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ».

دائماً الإيجابي يمنع السلبي، فالذي أحبَّ الله لا يميل إلى العالم ومحبته تلقائيًّا. فالرسول يعطي هنا الأمر لقوم قد أحبُّوا الله فعلاً. فإذا أحبَّ أحد ἐάν τις ἀγαπᾷ العالم هذا معناه أن محبة الله قد انسحبت من قلبه. وهنا حقيقة لاهوتية وهي أن الذين آمنوا بالمسيح وسكن المسيح في قلوبهم صارت محبة الآب عندهم غالبة بطبيعتها لكل إغراء من العالم. لأن الآب هو الذي يقدِّم محبته للذين آمنوا بالمسيح: «الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت» (يو ١٦: ٢٧). فحينما نحب ابنه حقًّا وبالفعل، فالله كآب للمسيح يسكب علينا محبته لابنه، لأننا نُحسب أمامه كأبناء: «أمَّا كل الذين قبلوه (آمنوا به) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو ١: ١٢). هنا السرّ كله أن الآب يحب الابن جدًّا حبًّا لا يمكن توصيفه، فمحبة الآب للابن ومحبة الابن للآب بالحب الإلهي المطلق هي سر وحدانية الله. فالآب والابن واحد بالحب المطلق. فكون الإنسان يقبل الابن إلهاً ومخلِّصاً هو بآن واحد يقبل محبة الآب للابن فيصير ابناً متبنًّى بالحب الأبوي. المسيح نفسه عبَّر عن هذا الحب في آخر كلمة في صلاته في إنجيل ق. يوحنا: «وعرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو ١٧: ٢٦). ومعروف أن الله قد بذل ابنه من أجل محبته للعالم، عالم الإنسان الذي أخفق أن يكون أميناً لله في آدم: «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية = (حياة الآب)» (يو ٣: ١٦). فالإنسان الذي يخرج من عبودية الخطية في العالم وينضم إلى المسيح يُحسب في الحال أنه أحبَّ الآب أكثر من العالم. فإذا عاد الإنسان وانجذب إلى محبة العالم تتخلَّى عنه محبة الآب تلقائياً.

محبة العالم شيء ومحبة الأشياء التي في العالم شيء آخر، فمحبة العالم هي شهوة انتماء، هي مسرَّة قائمة بذاتها، فالتلميذ يهرب من الكنيسة ويسرع للتمتُّع بالدنيا. وإذا سألته سؤالاً مخلصاً: لماذا تهرب من الكنيسة وتذهب خارجاً؟ يقول لك صراحة إن العالم لذيذ يمتص انتباه الإنسان ويملأ فكره وقلبه بسحره. فكل ما في العالم جميل للنفس التي لم تذق النعمة وتتهذَّب بروح المسيح.

فالعالم، كعالم، غريم قوي لله والعبادة لأنه مسلّي ولذيذ. فإذا جئنا إلى الأشياء التي فيه فجميعها يجذب قلب الإنسان الأحمق: شهوة العيون وشهوة البطن ومسرات الجسد. فإذا انحرف نحوها الإنسان لا تعود له مسرَّة لله ولا للعبادة - ومتى تصبح المسرَّة لله والعبادة أقوى من العالم ومسرَّاته؟ حينما يذوق الإنسان هيبة الله وجلاله، في الحال يصغر أمامه العالم كشيء حقير ودنيء لا يمكن أن يُقارن بعظمة الله وهيبته. وإذا ابتدأ الله يهب الإنسان هباته الروحية من معونة وقت الضيق وحفظ ورعاية وقت الخطر أو في المواقف الصعبة ويشعر بيد الله الممدودة نحوه خاصة ليجتذبه من وسط الموت، يبتدئ يندهش ويتعجَّب من محبة الله ويبدأ يمجِّده ويعظِّمه ويهتف له، فتبدو الأشياء الأُولى التي كانت تستأسره في العالم من ملذات وشهوات الجسد أنها حقيرة ومرذولة.

ففي الحقيقة إن النصيحة أو التحذير الذي يضعه ق. يوحنا أمامنا: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم» لا يقدِّرها قدرها الصحيح ويقول آمين إلاَّ مَنْ ذاق ا لله ومحبته، وعاش العبادة وأمجادها.

٢: ١٦ «لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ».

القديس يوحنا في هذه الآية يخصِّص الأشياء التي في العالم من ملاهٍ وشهوات. وتعليق ق. يوحنا على الشهوات التي في العالم بكل أشكالها أنها فانية توجد اليوم ولا توجد غداً، تفنى قبل أن يموت الإنسان، ويراها في أواخر أيامه ويتحسَّر على الشباب الذي ضاع، ويتذكر المفاسد والعثرات وفاعليها، ويندم أشد الندم على عشرة خاسرة وسنين ضاعت في الفارغ ولا أي أثر لها إلاَّ الحزن. وكما انسحب العالم من تحت أرجل الذين ماتوا ينسحب من تحت أرجل الملتصقين به المغرمين بأوهامه. العالم يمضي بمضي الأيام والليالي، والأشياء التي فيه تزول زوال الساعات والأيام من أمام عين الإنسان وهو لاهٍ عن المستقبل وعن الثوابت التي لا تزول. يحدِّدها القديس يوحنا بشهوة الجسد الخالي من روح الله، والجسد يمرض ولا يعود له قدرة على الشهوة ثمَّ يموت وتموت فيه ومعه الشهوات التي انغمس فيها والتي تحمل معها دينونته. أمَّا شهوة العيون فهي أسرع زوالاً من شهوة الجسد، لأن الجمال ابن ساعة وابن يوم يذبل وفي سنة أو اثنتين يتلف وينتهي كل ما تشتهيه العين. يوجد الآن وغداً لا يوجد. وتعظُّم المعيشة من ملبس ومسكن وقنية من كل أسباب الرفاهية تحمل زوالها فيها، والزمن يعطي باليد ويخطفه باليد الأخرى. وكم من أغنياء أخنى الدهر عليهم وعاشوا فقراء يتسوَّلون.

أعرف إنساناً كان يقول: لو جري الفقر ورائي بطيارة لن يحصِّلني. وفي صفقة فقد كل ما له وهرب من بيته وعاش في القاهرة يبيع فراخاً و لم يحتمل كثيراً ووقع ومات. وكنت أنا من الذين ساعدوا أولاده في البحث عنه. إزاء هذا انظر إلى الذي احتقر الدنيا وأوهام العالم الباطلة والتصق بالرب وأعطاه الحياة بكل ما فيها وما عليها، وعاش يُسبِّح ويمجِّد العلي كل أيامه. فقول القديس يوحنا هنا هو عن خبرة كل أولاد الله الذين احتسبوا أن العالم بأباطيله فان والذي يعمل مشيئة الآب لا يُحسب من العالم بل من الله. وهو يوعِّي الأولاد والآباء والأحداث معاً أن ينتصحوا من أخطاء الذين زلّوا وسقطوا بعيداً عن الله لكي يتمسَّكوا بالحياة الأبدية وشركة الآب والابن.

٢ : ١٧ «وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ».

القديس يقصد عالم الخطية، أمَّا العالم الذي يُسبِّح الله ويمجِّده ويرفع إليه التشكُّرات ليل نهار فهذا هو عالم الله: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يو ١٧: ١٥). فعالم الخطية سريع الزوال والفساد ويترك وراءه صرعى يئنون. عالم الأمجاد الباطلة والكبرياء والعز والانتفاخ عالم خدَّاع لا يبقى على حاله: «وأمَّا الآن فإنكم تفتخرون في تعظُّمكم. كل افتخار مثل هذا رديء» (يع ٤ :١٦). وهي ليست من الله في أحسن حالها بل هي البديل الغاش لمجد الله وحده. هنا مشيئة الإنسان تتعارض مع مشيئة الله، فمشيئة الإنسان أن يهتم بنفسه، أمَّا مشيئة الله فهي أن نمجد الله فنحيا في مجد الله، نبارك الله فيباركنا الله. نضحِّي بأعظم ما في العالم يعطينا الله ما هو أعظم من العالم. نبيع العالم فينفتح باب الملكوت أمامنا. ندوس على شهوات العالم فترفعنا أجنحة النعمة لنحيا في مسرات الروح.

وهكذا يكون المسيحي تاجراً ماهراً حكيماً يبيع الفاني ليقتني الباقي، يستهين بمشيئة الجسد الزائل فيرث مشيئة الله الثابتة إلى الأبد. هي عملية بيع وشراء، مقايضة رابحة، البيع فيها بالدموع والميراث بفرحٍ يدوم. وكل قيم العالم زائفة فانية وكل قيم الله حقائق ثابتة باقية.

٣ - منكرو الإيمان. الحق والكذب

[٢: ١٨-٢٧]

(أ) الضد للمسيح والساعة الأخيرة: [٢: ١٨-٢٣]

٢: ١٨ «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ ἐσχάτη ὥρα. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ ἀντίχριστος يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ ὅθεν γινώσκομεν أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ».

هنا بحسب معظم الآباء فإن ق. يوحنا لا يخاطب أولاده ولكن المسيحيين عموماً. فعندما كان ق. يوحنا يتكلّم عن الزوال السريع للعالم ورأى أضداد المسيح يزدادون اعتبر أن هذه هي الساعة الأخيرة للعالم. إنها نظرة صحيحة أن نعتبر كل يوم أنها الساعة الأخيرة حتى نكف عن الجري وراء العالم الفاني ونلتفت إلى الآتي، لأن ازدياد الإثم وبرودة العبادة والمحبة والإيمان دليل على أن العالم قد دنا من نهايته، وهذا أصبح سمته اليومية خاصة إن كان هناك معلّمون كذبة كثيرون وأضداد للمسيح.

ويُلاحَظ أنه قد ذكر كلمة الساعة الأخيرة بدون تعريف (الـ) حتى تفيد الزمن عامة (الأيّام أو الزمن). على أن مجيء المسيح بحسب تعليم المسيح نفسه يجب أن يُحسب أنه في كل لحظة في نصف الليل أو في صياح الديك حتى نسهر على الدوام. وتعليم ق. يوحنا يروحن كل تعاليم العهد الجديد، أي يأخذها على مستوى الروح وخاصة بالنسبة للأمور الأخروية.

وحينما يستخدم عبارة "الساعة الأخيرة" فهو يقصد أن الوقت مقصَّر والأيّام قليلة. واصطلاح "اليوم الأخير" ἡ ἐσχάτη ἡμέρα جاء في إنجيل ق. يوحنا سبع مرّات ولكن دائماً بالتعريف بالألف واللام (الـ) كما جاء أيضاً في (أع ٢: ١٧)، (٢تي ٣: ١)، (١بط ١: ٥)، (يه ١٨) (الزمن الأخير).

والساعة الأخيرة هي المدة الأخيرة في الفترة ما بين المجيء الأول والثاني. وقد ورثت الكنيسة من اليهودية أن هذه المدة "يوم الرب" سيكون في منتهى الضيق قبل مجيء الرب، حيث يظهر فيها عداء قوات العالم. والكنيسة لها روح وثّابة تنتظر مجيء الرب بالفرح والتهليل. ففي القدّاس بحسب

الديداخي يُختَم بدعاء: «لينقضِ العالم ويجيء الرب. تعالَ سريعاً أيها الرب يسوع». ولكن الاعتقاد الراسخ أن المسيح لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً ويُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك (٢تس ٢: ٣). هذا هو تعليم الرسل. على أن الضد للمسيح يأتي وهو يدَّعي أنه المسيح وهو يعمل ضدَّه. والقديس يوحنا هو الوحيد الذي قال عن الضد للمسيح أنه قد أتى (٢: ١٨و٢٢، ٤: ٣)، (٢يو ٧) ولكن البقية تكلَّموا عنه مثل ق. بولس وسفر الرؤيا.

والقديس يوحنا لا يُفسِّر ولا يشرح أكثر من ذكر الاسم والعمل، ولكنه أكَّد أنه قد أتى أضداد للمسيح γεγόνασιν = have come to be أو have arisen. ومن هذه الحقيقة نستخلص أنها الساعة الأخيرة. ولكن يلزم أن ننبِّه أن ق. يوحنا لم يقل إنها الساعة الأخيرة بل إنها ساعة أخيرة دون تعريف بها. وبولس الرسول ينوِّه عن ذلك (٢تس ٢: ٣) ويعطي أوصاف هذا الضد للمسيح.

ولكن العالِم ماير يقول إن الكلام عن الضد للمسيح لا يصح إلاَّ عند ظهور المسيح. فضد المسيح لا وجود عاملاً له في ظهور المسيح الأول أي عصر الإنجيل، ولكن فقط في الباروسيا παρουσία أي استعلان المسيح في مجيئه الثاني. هنا كان تقدير ق. يوحنا مثل ق. بولس أن الباروسيا قد قربت "الرب قريب". وظلَّت الكنيسة بالرغم من عدم ظهور المسيح متعلِّقة بسرعة ظهوره:

+ «أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة.» (٢بط ٣: ٤)
+ «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنَّى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة.» (٢بط ٣:٩)

والقديس إغناطيوس اعتقد أنها الساعة الأخيرة في رسالته إلى أفسس (فصل ١١).

٢: ١٩ «مِنَّا خَرَجُوا، لكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لكِنْ لِيُظْهَرُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا».

يشرح بهذا علاقة هؤلاء الأضداد للمسيح بالكنيسة أصلاً.

«منّا خرجوا»: ἐξ ἡμῶν ἐξῆλθαν

والكلمة تُظهر أنهم أي الأضداد للمسيح أصلاً كانوا أعضاءً في جماعتنا لأنهم أخذوا بدايتهم منّا، ولكنهم فصلوا ذواتهم عن الجماعة، أي أن خروجهم كان من عملهم وليس عقاباً منّا. والأمر معروف للكاتب وللمرسل إليهم لذلك لم يوضّح لا أسماء ولا ظروفاً. لذلك يقول ق. يوحنا إن المعلّمين الكذبة كانوا من جماعتنا ولكنهم لم يكونوا أعضاء صادقين في جماعتنا، و لم يكونوا مشاركين لحياتنا الداخلية، ويظهر ذلك من قوله «لو كانوا منّا لبقوا معنا». والواضح من قوله لم يكونوا منّا أنه لا يقصد اليهود ولكن كانوا مسيحيين عموماً ولكنهم أظهروا بخروجهم أنهم لم يكونوا منّا أي أخذوا موقفاً معارضاً للإيمان العام. وخروجهم كان ليظهروا ἵνα φανερωθῶσιν أنهم ليسوا منّا. ويبدو أن ق. يوحنا يعتقد أنهم خرجوا بتدبير الله: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأمّا عندنا نحن المخلّصين فهي قوة الله.» (١كو ١: ١٨)

وفكر الرسول يمكن شرحه روحيًا: أن الذين هم حتماً أعضاء في كنيسة الله يستحيل أن يغادروها إلاّ إذا كان الله لا يريد وجودهم، فهو يريد خروجهم فيشعرون بذلك فيصيرون ضد المسيح. هذا يتمشّى مع محبة الله التي لا تنفصم أبداً وأمانة المخلّصين لمخلّصهم. ولكن هؤلاء هم الذين تكلّم عنهم سفر العبرانيين قائلاً: «لأن الذين استنيروا مرّة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوّات الدهر الآتي وسقطوا لا يمكن تجديدهم ...» (عب ٦: ٤-٧)

وواضح من كلام ق. يوحنا أن الذي لا يثبت بكل قلبه في الشركة مع أعضاء الكنيسة والمسيح، ولا تكون المحبة قد تمكّنت في قلبه للمسيح والإخوة، مهدّد بخروجه من الكنيسة ووقوفه ضد المسيح. كما ينوّه ق. يوحنا أن التجربة بترك المسيح والكنيسة لا تصيب إلاّ مَنْ كان في داخل أعماقه غريباً عن المسيحية. والضد للمسيح ليس وحشاً ولكنه إنسان مسيحي يتكلّم بالصلاح وهو شرير ونجس، ولكن يعمل معجزات خارقة تضل حتى المختارين. فالمسألة مسألة الحكمة والإفراز لفصل أقوال وأعمال المعلّمين والأنبياء والمسحاء الكذبة لأن أعمالهم شريرة ومقاصدهم أشر.

٢: ٢٠ «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ».

«مسحة»: χρῖσμα

الجزء الأخير من الكلمة (μα-) يفيد الفعل، فمعنى الكلمة يفيد فعل المسحة ولا يفيد زيت

المسحة، وهي ليست المعمودية لأن أضداد المسيح كانوا معمَّدين ولهم مسحة أيضاً.

ومسحة الزيت يُذكر فيها الزيت أثناء العمل وكانت في العهد القديم للكهنة والأنبياء، وكانت تحمل معنى أن الشخص يكون حاملاً للروح القدس وموهبة العمل المكرَّس له. ولكن المسحة التي يقصدها ق. يوحنا هي مسحة الروح القدس التي تعطي انفتاح الذهن والمعرفة لفهم كل شيء وخاصة ما يخص الروح والله من وسط الكتابات «فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤: ٤٥). وهي التي قال عنها إرميا النبي إنها موهبة العهد الجديد لتعطي المعرفة لكل واحد ولا يحتاج الإنسان أن يعلِّم صاحبه لأن الجميع يكونون متعلِّمين من الله. أمَّا المضادون للمسيح فيدَّعون المعرفة الأعمق والأسرار الخفية ليضلُّوا عامة الشعب، والمسيح فضحهم حينما قال: «... لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» (مت ١١: ٢٥). فكل عقائد الإيمان المسيحي يلزم أن تكون على مستوى السهولة لكي يدركها المسيحي العادي، وكل مَنْ يدَّعي المعرفة الأكثر والأعمق والدراية بالأسرار العويصة هي تجارة بالدين للتضليل. فالمسيحية علم الأطفال والمساكين: «مسحني لأُبشِّر المساكين» (لو ٤: ١٨) وليس الحكماء والفهماء. ويوضِّحها بولس الرسول هكذا: «السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال لكنه الآن قد أُظهر لقديسيه. الذين أراد الله أن يعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأُمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد. الذي ننادي به منذرين كل إنسان ومعلِّمين كل إنسان بكل حكمة لكي نحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع.» (كو ١: ٢٦-٢٨)

فكل كنوز الحكمة المخفية ظهرت بظهور المسيح والكل مدعو ليمتلئ من غِنى نعمته مجَّاناً. فمسحة الروح القدس التي استلمها كل إنسان مسيحي من القدوس تفتح ذهنه لمعرفة كل كنوز الحكمة والفهم سواء في المعمودية أو العشاء السرِّي أو بنفخة الفم، فالروح القدس هو أساس المسحة: «روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأُبشِّر المساكين ...» (لو ٤: ١٨)، «ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢كو ١: ٢١و٢٢)

ثلاثة أفعال مفرحة أكملها لنا الله في قلوبنا: χρῖσμα, σφραγίς, ἀρραβών المسحة والختم والعربون.

«وتعلمون كل شيء»: καὶ οἴδατε πάντα

«فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤: ٤٥). الله أعلن لنا معرفته بواسطة المسيح الذي كشف

لنا عن كل شيء: «لكني قد سمَّيتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥:١٥)، والروح القدس «يعلِّمكم كل شيء» (يو ١٤: ٢٦)، فالإنجيل فيه كل ما هو صالح للتعليم والتوبيخ والإنذار. والذي يقرأ الإنجيل بوعي وعمق يصبح عالماً في المسيحية. ومن أقوال القديس أثناسيوس الرسولي أنه كان يرى في الإنجيل كل ما يحتاجه، فلم يكن يرجع لأي كتابات أخرى.

٢: ٢١ «لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ، بَلْ لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَهُ، وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ».

القديس يوحنا يحيِّي في الذين يكتب إليهم تنشيط معرفة الحق الذي فيهم والتي لا تحتاج إلى تعليم، فالذي يعرف الحق يميِّز الكذب. فهم ليسوا في حاجة إلى تعليم بل في حاجة إلى أن يستخدموا معرفتهم في التمييز بين ما هو حق وما هو كذب. فكل ما يقدِّمه القديس يوحنا من تعليم إنما لكي يوقظ ما فيهم من معرفة متأصِّلة بالنعمة ويقيسوا كل ما هو كذب على الحق الذي أدركوه. هنا رجعة على ذكر المسحة لأن المسحة تعلمكم كل شيء وهي موهبة الروح القدس. فهو يقول إني أكتب إليكم وأنتم تعرفون الحق من المسحة عينها ولكني ألفت نظركم عن الكذب الذي تنظرونه في الخارجين عن الكنيسة الذين يُدعون أضداداً للمسيح. فمن المسحة التي أخذتموها ينبغي أن تدركوا أن هؤلاء إنما هم مزيَّفون وليس الحق فيهم. والمسحة التي قبلتموها من المسيح "من القدوس" هي حق كل الحق الذي يكشف كل كذب. وكل ما هو ليس من المسيح هو كذب والكذب ضد الأليثيا ἀλήθεια أي الحق:

+ «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتَّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلَّم بالكذب فإنما يتكلَّم ممَّا له، لأنه كذَّاب وأبو الكذَّاب.» (يو ٨: ٤٤)

والحق هو من الله لأن الله هو الحق، والكذب من الشيطان لأنه ليس فيه حق.

٢: ٢٢ «مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ».

هنا يصرِّح بما يقصده من الكذب والكذَّاب وضد المسيح، الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو الكذاب الذي نصَّب نفسه ضد يسوع المسيح وبهذا يلغي عمل المسيح الحقيقي. فإنكار الابن المتجسِّد إنكار للآب الذي أرسله، هؤلاء هم المعلِّمون الكذبة الذين يعلِّمون عبادة الله ولكن

بطريقة مخترعة ويسمُّون أنفسهم مسيحيين وهم يهود غنوسيون، الذين يدَّعون بأن الله أعظم من أن يُعبد في الابن المتجسِّد، منكرين استعلان الآب في إرساله للابن يسوع المسيح متجسِّداً. أمَّا الاعتراف بالابن الكلمة المتجسِّد الحي فهو المدخل الحقيقي لمعرفة الآب.

«الكذَّاب»: ὁ ψεύστης

والصفة المعرَّفة هنا تمثِّل رئيس الفئة، الذي فيه يسكن الكذب الكامل.

«يسوع هو المسيح»:

المسيح هنا يفيد أكثر من مسيًّا اليهود لأنه يحظى بصلة خاصة جدًّا مع الآب، فهو «الابن الوحيد» وهي صفة غير موجودة في مسيًّا اليهود. وهناك مَنْ يضلون إذ يقولون بأن المسيح يمثِّل "أيون" أعلى حلّ على يسوع في المعمودية وتركه قبل الآلام. وغير واضح إذا كان كيرنثوس مشتركاً في هذه الضلالة مع الغنوسيين أم لا. والضلالة الكبرى هي إنكار تجسُّد المسيح وهنا تدخل هرطقة الكيرنثيين. ولكن كيرنثوس لا يُحسب ضد المسيح. وغير معروف هل أضداد المسيح الكثيرون لهم عقيدة واحدة أم عدة عقائد؟

«ضد المسيح»: ὁ ἀντίχριστος

يحاول القديس يوحنا جعل الصفة عامة وليست شخصية، وروح الضد للمسيح تبلغ قمتها في إنكار الآب والابن. ولكن ق. يوحنا لا يريد أن يتغلغل في الضلالة وأنواعها. وتعاليم كيرنثوس أوضحها هيبوليتس وإيرينيئوس.

وأحد المعلمين الكذبة بلغ به الحد إلى أن قال إن الآب الذي عرفه اليهود كان أحد الملائكة خالقي الكون ἄγγελοι κοσμοποιοί وليس هو الله الأعلى، وهكذا أنكر الابن والآب الذي أعلنه الابن. ولكن ق. يوحنا لم يكن مهتماً بهذه التعاليم ولكنه كان يعالج انحرافاتهم، ويركِّز على أن كل ما عرفناه عن الآب جاء من استعلان الابن يسوع المسيح بواسطة التجسُّد. لذلك يخاطب ق. يوحنا أولاده بأنهم يعرفون الحق وعندهم المسحة التي تعرِّفهم كل شيء وهي تعاليم المسيح التي سلَّمها للرسل وأيَّدها بالروح القدس.

وعندما وصف الضد للمسيح بأنه الكذب والكذَّاب فهو لا يقصد الشخص نفسه ولكن البدعة التي انطلقت منه، فهي الكذب وهي الضد للمسيح. والقديس يوحنا ركَّز على الكذبة التي صدرت في أيامه واعتبرها هي الضد للمسيح، ومنها تفرَّعت إلى أكاذيب ومعلِّمين

للكذب، وأساسها أنهم أنكروا لاهوت المسيح وتجسُّد يسوع معاً فصار هذا تعليم ضد المسيح وهذا يكون معناه إنكار الابن والآب معاً. «ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يُصدِّقوا الكذب. لكي يُدان جميع الذين لم يصدِّقوا الحق بل سروا بالإثم.» (٢تس ٢: ١١و١٢)

واضح هنا أن هناك فرقاً بين مَنْ يُسرُّ بالحق ومَنْ يُسرُّ بالإثم فيُخطئ في معرفة حقيقة الله، فيكون ذلك خطأً يُحاسب عليه وكذباً نابعاً من النفس بسبب الضلال وقبول الضلال، وهذا يُحسب كذباً قاتلاً، لأنهم كذبوا في معرفة الله الذي هو الحق الكلِّي.

والقديس يوحنا يربط ربطاً محكماً بين الابن والآب:

+ «فقالوا له أين هو أبوك. أجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً.» (يو ٨: ١٩)
+ «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه ... الذي رآني فقد رأى الآب ...» (يو ١٤: ٧و٩)

٢: ٢٣ «كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضاً، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضاً».

الأصل هنا عادة لا أن يُقال عن المسيح بدون يسوع أنه الابن، ولكن يُقال عن المسيح يسوع أنه هو الابن:

+ «كل مَنْ تعدَّى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله. ومَنْ يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً.» (٢يو ٩)
+ «لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. مَنْ لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله.» (يو ٥: ٢٣)
+ «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي.» (يو ١٤: ٦)
+ «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً. ومَنْ الآن تعرفونه وقد رأيتموه.» (يو ١٤: ٧)
+ «الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً.» (يو ١٥: ٢٣)

علماً بأن كيرنثوس أنكر أن المسيح مولود من العذراء مريم، وكيرنثوس غنوسي يهودي مصري، والقديس يوحنا كان يكشف تعاليمه للكنيسة كلها مؤكِّداً أن يسوع الناصري إله متأنس لاهوته متحد بناسوته بلا افتراق. وكل مَنْ لا يؤمن بيسوع المسيح الابن المتجسِّد فليس له الآب أيضاً، وإن آمنا به نصير أولاداً لله، وإن أنكرناه فلا يمكن أن يكون الله أبانا.

(ب) الثبوت في الإيمان: [٢: ٢٤-٢٧]

٢: ٢٤ «أَمَّا أَنْتُمْ فَمَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ فَلْيَثْبُتْ إِذاً فِيكُمْ. إِنْ ثَبَتَ فِيكُمْ مَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ، فَأَنْتُمْ أَيْضاً تَثْبُتُونَ فِي الابْنِ وَفِي الآبِ».

+ «ها أنا آتي سريعاً. تمسَّك بما عندك لئلاً يأخذ أحد إكليلك.» (رؤ ٣: ١١)

هكذا يقول ق. يوحنا إلى أولاده أن يتمسَّكوا بما سمعوه من الحق منذ بدء إنجيل يوحنا. فالكلمة يلزم أن تسكن داخل القلب حتى يكون كل فكر وكل قول وكل معرفة نابعة من «الكلمة». فكلمة يثبت أو يدوم في القلب هي أساس التعليم بالنسبة للحق: «خبَّأت كلامك في قلبي لكيلا أُخطئ إليك» (مز ١١٩: ١١). فالقديس يوحنا يودّ لو أن كل مؤمن يكون لهجه بالكلمة ليل نهار حتى يحيا بها، لأنه لو ثبتت كلمة الحق في قلوبهم ستكون لهم شركة مع الآب والابن. فأينما تسكن كلمة الله يسكن الآب والابن «وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣)، وحينئذ تتم الشركة وتتم الحياة الأبدية.

«أمَّا أنتم»: ὑμεῖς

في مقابل الذين خرجوا منَّا وصاروا أضداداً للمسيح، هنا يحجز أولاده ليكونوا من نصيب الحق، لكي يحتفظوا بما سمعوه وآمنوا به وقبلوه، ليملأ قلوبهم وعقولهم وعواطفهم فيثبتوا في الحق والحق يثبت فيهم، وينموا، ويكونوا مستعدين لمجاوبة كل مَنْ يسألهم أو يحاورهم عن سبب الرجاء الذي فيهم، وتكون عندهم التلقائية لرفض كل ما هو ليس من الحق. لأن التمسُّك بالحق هو الثبوت في الابن وفي الآب وتصبح الشركة مع الآب والابن حقيقة معاشة تنمو كل يوم. وكلمة μενέτω (فليثبت) تعني أكثر من "تبقى" كما هي بل تسكن وتدوم وتمتد.

فالثبوت هنا تعامل مع الحق بالروح، والحق والروح إذا تعايش الإنسان فيهما يكون معناه سكنى الروح القدس والمسيح «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). وسكنى المسيح في الإنسان معناه انفتاح على الحق بلا حدود حيث النمو في المعرفة يكون بلا حدود كما يتحفنا ق. بولس بخبرته الحيَّة:

+ «لكي يعطيكم بحسب غِنى مجده أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن (الإنسان الجديد) ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم ... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣: ١٦-١٩)

ثم يعود ويؤكِّد أن هذه العطية معدَّة ومهيَّأة لمن يطلب لكي يأخذ أكثر مما يطلب:

+ «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدًّا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا.» (أف ٣: ٢٠)

فثبوت ق. يوحنا يقابله عند ق. بولس عطايا هائلة يحتاجها كل إنسان مسيحي لكي يكمِّل إدراكه لله، لكي يصير بالنهاية إنساناً كاملاً إلى ملء قامة المسيح.

٢: ٢٥ «وَهذَا هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَنَا هُوَ بِهِ: الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ».

في الحقيقة يتحتَّم أن نؤمن ونعرف ونصدِّق أن الثبوت في الآب والابن هو عملية بقاء ودوام، هو حياة، والحياة مع الآب والابن هي حياة أبدية، وهي نفسها الشركة التي افتتح بها ق. يوحنا رسالته الأُولى: أن ظهور الابن متجسِّداً كان هو بحد ذاته استعلاناً للآب واستعلاناً للحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا. ولكن الذي ينقصنا أن نعرفه ونمارسه هو أن هذه الشركة مع الآب والابن، وهي بآن واحد شركة في الحياة الأبدية، تحتاج منَّا أن نلم ونركِّز كل عواطفنا، كل حبنا، كل رجائنا وأملنا؛ لكي نتعامل مع الآب والابن في هذه الحياة الأبدية. فهي أولاً حياة فرح دائم لا يُنطق به ومجيد، حياة حب ملتهب يحتاج إلى السهر واللهج القلبي الذي لا يهدأ ولا يسكت بحسب خبرة إشعياء عظيم الأنبياء: «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس. بنفسي اشتهيتك في الليل. أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر» (إش ٢٦: ٨و٩). هذا إنسان عاش في العهد القديم ولكنه رأى القدوس وسبَّح له مع الشاروبيم بالقدوس قدوس قدوس، أي الذوكصا السمائية، هكذا كان قلبه ملتهباً بالحب والتسبيح معاً، فما كان يكف بالليل والنهار، هذه هي العشرة مع القدوس، هذه هي الحياة مع الآب والابن في الحياة الأبدية. لأنه إن لم نذق الحياة الأبدية وعشرة الآب والابن هنا على الأرض لتكون مساوية وموازية لإيماننا وحبنا وثقتنا ورجائنا وثبوتنا، فلن يكون لنا هناك عشرة ولا حياة.

الحياة الأبدية هي انفتاح على حياة قوامها اللهج القلبي الدائم والشوق الذي لا ينطفئ المستنير بنور الله، والحب الملتهب الدائم التسبيح وإعطاء المجد والبركة للقدوس الساهر علينا الذي عينه لا تغفل ولا تنام عنَّا لحظة واحدة. فإن لم نشاركه سهره علينا بسهرنا لشكره وتمجيده ما نستحق هذا السهر وهذا العطف والحنان الأبوي. فإن سهرنا وهو قد أوصانا بذلك كثيراً: اسهروا اسهروا اسهروا، ففي السهر القلبي والروحي والجسدي معاً ينكشف لنا حبه الذي دفعه ليضحي بابنه من أجلنا، وينكشف حب المسيح الذي دفعه لِيُصلب وينزف حياته دماً ليهبنا حياته لنقوم معه ونحيا

معه. إنها أسرار الآب والمسيح مذخرة للذي يشكر ويسبِّح ويعطي المجد والكرامة والبركة لصاحب المجد والبركة. هذا هو الثبوت الكامل عند القديس يوحنا، فالذي يثبت في الله الله يثبت فيه، وما معنى أن يثبت الله فينا إلاَّ بسكب غنى مجده علينا بقدر ما يتّسع قلبنا ويتّسع فمنا بالتسبيح والشكر.

وحينما قال الرب لتلاميذه: «فأنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم» (يو ١٦: ٢٢)، فلمن يتراءى ولمن يظهر ولمن يُعلن نفسه إلاَّ للذي حفظ نفسه من النعاس وسهر ليستقبل العريس بقلب يلهج بالحب الذي هو أعظم وصاياه: «الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبّه، وأُظهر له ذاتي» (يو ١٤: ٢١). هذا هو ظهور المسيح وظهور الحياة الأبدية معه، هذا هو الفرح الذي يعطي الحياة ولا يستطيع أحد أن ينزعه منا (يو ١٦: ٢٢)، «لأن فرح الرب هو قوَّتكم.» (نح ٨: ١٠)

٢: ٢٦و٢٧ «كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ هذَا عَنِ الَّذِينَ يُضِلُّونَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِباً. كَمَا عَلَّمَتْكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ».

هذا هو مضمون الآيات (١٨-٢٥)، فهو هنا يعيد تذكرة الشعب إلى ما سبق وعلَّم به وأوصى، لأنه هو خلاصة ما أراد أن يكتب عنه الرسالة، وزاد على ذلك الثبوت في مسحة الحق. والكلام ليس بلا قصد، فهو أراد أن يختم موضوع الساعة الذي يشغل باله، فهو يعيد عليهم خلاصة ما يؤمنون به، وخطورة قيام المعلِّمين الكذبة وذلك على إيمانهم. وهو يعود ويتمسَّك بالمسحة التي أخذوها مع إيمانهم بالمسيح لتحفظهم في الإيمان به ثابتين، فهي ثابتة فيهم تذكِّرهم بما أخذوه من البدء. وقد حصَّنتهم بالدفاع ضد هذه البدع بإعلان الحق الثابت فيهم كقوة راسخة تحفظهم.

والذي يؤكِّد عليه هو أن لا يفتحوا آذانهم لتعليم غريب، فالمسحة التي أخذوها تعلِّمهم كل شيء ولا حاجة لهم أن يفتحوا آذانهم ليسمعوا تعاليم أخرى غريبة، لأن المسحة ليست مجرَّد تعليم بل هي انفتاح واستنارة لكي يفهموا كل المكتوب بلا معلِّم غريب عن الإنجيل، فالروح القدس العامل في المسحة هو هو العامل في كلمة الإنجيل. فانفتاح البصيرة على الإنجيل يجعل الحق واضحاً وقادراً أن يهدم كل ظنون كاذبة.

ويعتبر هذا الجزء من الرسالة (٢٦و٢٧) ختام الجزء الخاص بتعاليم ضد المسيح والمعلِّمين الكذبة.

«كتبت إليكم هذا»: ταῦτα

كل ما كتبه الرسول عن ضد المسيح من الآية (١٨) إلى هنا.

«عن الذين يضلُّونكم»: πλανώντων ὑμᾶς

الذين كان كل جهدهم أن يطغوا على الكنيسة ببدعتهم ويحرِّفوا الحق الذي في الإنجيل ليوافق كذبهم. ومن الكلام يظهر أن عمل هؤلاء المضلِّين كان له تأثير، ولكن ق. يوحنا لم يوضِّح ذلك، ولكنه يؤكِّد لهم أنهم غير محتاجين بعد إلى معلِّم.

«المسحة»: τὸ χρίσμα

يثق فيها الرسول أنها من المسيح وهي ثابتة فيهم لأن الروح باقٍ معهم، ويكرِّر ذلك لثقته الكاملة في عمل المسيح فيهم **بعكس** ما يقول سفر العبرانيين في نفس هذا المعنى:

+ «لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلِّمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلِّمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله ...» (عب ٥: ١٢)

لكن كما يقول القديس بولس مشجِّعاً أهل تسالونيكي في نفس الموضوع:

+ «لأنه من قِبلكم قد أُذيعت كلمة الرب ... في كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله حتى ليس لنا حاجة أن نتكلَّم شيئاً.» (١تس ١:٨)
+ «وأمَّا المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلِّمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً.» (١تس ٤: ٩)

فالمؤمنون الحقيقيون لا يحتاجون إلى معلِّمين بشريين لكي يكون الحق عندهم واضحاً، لأنهم استلموا مع الكلمة التي وصلتهم المسحة عينها التي تقودهم للحق. لذلك يؤكِّد الرسول مراراً في هذه الرسالة حقيقة أنه لا يريد أن يعلِّمهم ولكنه يكتب ليذكرهم بما قد عرفوه متأكِّداً أنهم مؤمنون وفي قلوبهم ما قد سمعوه من البدء محفوظاً وغير مزعزع. فليس هناك جديد يمكن أن يقوله للمؤمنين أكثر من الذي قد حصَّلوه من الإيمان، إنما يوضِّحه فقط لضمائرهم ووعيهم الروحي، حتى يثبتوا فيه μένετε ἐν αὐτῷ وإن كل ما تُعلِّمه المسحة هو حق، هذا يعتبره ق. يوحنا أنه يثق فيه كل الثقة.

٤ – أولاد الله والذين للشرير. الحياة والموت

[٢: ٢٨ – ٣: ٢٤]

(أ) أولاد الله ومجيء المسيح الثاني: [٢: ٢٨-٣: ٣]

٢ : ٢٨ «وَالآنَ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، اثْبُتُوا فِيهِ، حَتَّى إِذَا أُظْهِرَ يَكُونُ لَنَا ثِقَةٌ، وَلاَ نَخْجَلُ مِنْهُ فِي مَجِيئِهِ».

هذه الآية تُعتبر آية انتقال من موضوع لموضوع آخر، يمكن أن تلتحق بالسابق أو بالآتي، وهي تشير في مضمونها إلى أن الحاجة الآن بعد هذا التعليم هي إلى الثبات والاستمرار لأنه يكون له نتيجته العظيمة فيما يخص الثقة في القاضي الذي سنقف أمامه.

وبداية الآية بـ "والآن" تفيد أننا قد أصبحنا في مواجهة الباروسيا أي ظهور المسيح ووقوفنا أمامه. هذا كان اعتقاد كل الرسل، وهو قرب استعلانه في المستقبل القريب بعد الساعة الأخيرة التي خاض فيها. فهو بكلمة "الآن" يبدأ في أن يقدِّم حقيقة هامة جداً، وهي أن يجمل كل التعاليم مطلوب بإلحاح بالنسبة لواقع الحاضر غير المواتي. بمعنى أنه إن كان الأمر كذلك، وهذا هو الحال، فإنه يبدأ بمخاطبة الأولاد الأعزاء بالنصيحة الغالية الأخيرة كأب ورسول. نصيحة خاصة بموقفهم الروحي بقوة الأمر: «يا أولادي الذين أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل ٤: ١٩). تماماً مثل مشاعر بولس الرسول الأخيرة.

«اثبتوا فيه»: μένετε ἐν αὐτῷ

نصيحة مكرَّرة ولكن يقولها هنا كختام لكي يستمروا فيما قد حصَّلوه، لأن أعظم ما يحصِّلونه في حياتهم الإيمانية وجهادهم هو أن يبقوا فيه ويدوموا فيه وتدوم شركتهم الشخصية وعلاقتهم الذاتية كأعضاء حيَّة قائمة دائمة في المسيح الرأس.

«حتى إذا أُظهر»: ἐὰν φανερωθῇ

هنا توضيح لما يحدث في مجيئه ليجعل المجيء مستعلناً، حيث نجد أننا ثابتون فيه. وأن يتكلَّم عن مجيئه وظهوره بعد أن أعلن أنها الساعة الأخيرة يُعتبر أمراً مناسباً قولاً، أما زمناً، فهذا أمر مجهول

تماماً، ولكن أن يحدث فيظهر فهذا أمر مؤكَّد، إنه كل إيماننا ورجائنا. فهو احتمال وارد، فإن حدث هذا، وهو سيحدث حتماً، يلزم أن يكون موقفنا غير مخجل بعد انتظار هذا مدَّته. وكلمة "ظهوره" تعني استعلانه بجسده القائم من الأموات وجروحه عليه في مجيئه الثاني. والفعل (يظهر) φανερόω استُخدم بكثرة في جميع أسفار العهد الجديد للإشارة إلى ظهور الرب سواء في مجيئه الأول أو ظهوره بعد القيامة أو في مجيئه الثاني (يو ١:٣١، ٢:١١، ٧:٤)، (١بط ١:٢٠)، (١يو ١:٢، ٣:٥)، (مر ١٦:١٢و١٤)، (يو ٢١:١و١٤)، (١يو ٣:٢و٨)، (كو ٣:٤)، (١تي ٣:١٦)، (٢تي ١:١٠)، (١بط ٥:٤)، ولكن لم يُذكر قط عن الله. والظهور ليس بعين الجسد بعد ولكن بعين الإيمان والوعي الروحي حيث الظهور لا يُرى فقط ولكن يعيه الرائي ويُدركه في حقيقته، ومن هنا تصبح الثقة أو الخجل أمراً خطيراً يعم الحال والكيان إمَّا للفرح أو للانحسار في إحساس الندم.

والمجيء الثاني أو الباروسيا ذكرها القديس يوحنا ثلاث عشرة مرَّة وجاءت في العهد الجديد أربعاً وثلاثين مرَّة.

«لا نخجل»: μὴ αἰσχυνθῶμεν

لا نخجل من ظهوره وحضرته إذ نقشعر وننكمش في أنفسنا بإحساس المُدان. ولكن الذي يكون ثابتاً فيه لا يكون له سبب للخجل من ظهور القاضي بل بثقة البريء يتقدَّم:

+ «اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكًّى عاملاً لا يخزى مفصِّلاً كلمة الحق بالاستقامة.» (٢تي ٢:١٥)

«في مجيئه»: ἐν τῇ παρουσίᾳ

هنا فقط في كل كتابات القديس يوحنا تُستخدم هذه الكلمة منسوبة للمجيء الثاني، ولكن في بقية العهد الجديد استُخدمت في إنجيل ق. متى: «هكذا يكون أيضاً مجيء παρουσία ابن الإنسان» (مت ٢٤: ٢٧)، وذكرها أيضاً بولس الرسول في رسائله: في رسالتيّ كورنثوس الأُولى والثانية، وتسالونيكي الأُولى والثانية، كما جاءت أيضاً في رسالة القديس يعقوب ورسالة القديس بطرس الثانية.

وقد أُلقي ضوء كثير على معنى هذه الكلمة باكتشاف وثائق بردية وبعض المصادر الأخرى اليونانية، فكلمة الباروسيا يرافقها الصراخ: «انظر ملكك يأتي إليك»(١) وذلك من أيام البطالسة

(1) Brooke, *op. cit.*, p. 66.

إلى القرن الثاني الميلادي، حيث في الشرق كانت زيارة الإمبراطور شيئاً مهولاً.

وقد استخدمت لدى المسيحيين في التعبير عن مجيء المسيح الملك سواء في المجيء الأول أو الثاني.

والقديس يوحنا يُظهر هنا قلقه من جهة عدم حصول أفراد العائلة لرؤية أبيهم بثقة وبدون خجل، وبثقة المولودين من الله نستقبل المسيح الملك في مجيئه الثاني، لأن المولود من الله هو متجدِّد دائماً وعلى استعداد لرؤية أبيه السماوي، وحياة البر والتقوى تهيِّئ الفرصة المواتية لرؤيةٍ شُجاعةٍ بفرح غامر.

+ «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٤)

والقديس يوحنا الرسول إن كان يطالب بالثبات في مواجهة الظهور الثاني للمسيح وعدم الخزي، فهو يحض على الثبوت في التقوى لأن ظهور المسيح سيكون ظهور القاضي الديَّان.

٢: ٢٩ «إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ بَارٌّ هُوَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ يَصْنَعُ الْبِرَّ مَوْلُودٌ مِنْهُ».

بعد أن حذَّر الرسول الكنيسة من محبة العالم ثمَّ حذَّرهم من المعلِّمين الكذبة (الذين هم من العالم)، بدأ يوضِّح قيمة صنع البر بالنسبة للمؤمن المسيحي الذي به وحده يمكنهم أن يظهروا أمام المسيح أنهم أولاد الله في مقابل أولاد الشيطان.

ويبتدئ الرسول يوضِّح طبيعة الإنسان المسيحي المولود من الله بأنه يعيش بعمل البر ومن يعمل البر مولود منه.

«مولود منه»: ἐξ αὐτοῦ γεγέννηται

ولكن لا يقصد "مولودين من المسيح" لأنها لم تأت قط، خاصة أنه يخاطبهم باعتبار أنهم أولاد الله وفي الآية (٣: ٩): «كل مَنْ هو مولود من الله ...».

وفي قول القديس يوحنا: «إن علمتم أنه بار» يقصد الله، ويسوع: «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تُخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار» (١يو ٢: ١)، وواضح أن الله بار (١: ٩). وبحسب روح الرسالة فمن الأكثر أماناً أن نقول إن المقصود من عبارة «بارٌّ هو = δίκαιός ἐστιν» أن الله بار، وأيضاً أكثر أماناً من أن نقول إن المقصود هنا أن المسيح بار، فليس من الأصح أن نقول إنه يعني هنا أن المسيح بار. ويتفق على هذا القول جميع الآباء الكبار، فالذي يقول إن الله نور يقول إن الله بار، لأن كلمة بار جاءت بالمعنى المطلق وليس

بمعنى العمل، فالله بار على الإطلاق الكلّي، والمسيح يسوع بار لأنه قد أكمل عمل البر. والإنسان المسيحي الذي يعمل البر هو مولود من الله، لأن الذي يعمل البر معناه أنه يعمل وصايا الله بأمانة الله. فالمعنى بحسب جميع العلماء أن مَنْ يعمل البر يكون مولوداً من الله، لأن مَنْ يعمل البر τὴν δικαιοσύνην يكون ذلك حتماً بواسطة عمل الله.

الأصحاح الثالث

الأصحاح الثالث

٣: ١ «انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ! مِنْ أَجْلِ هذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ».

واضح أن بداية الأصحاح الثالث موصولة بنهاية الأصحاح الثاني: «إنَّ كل مَنْ يصنع البر مولود منه»، وهو تأمُّل عميق لمعنى «**مولود منه** ἐξ αὐτοῦ γεγέννηται». والرسول يلفت نظر أولاده المحبوبين للمحبة الأُولى (أي محبة الآب للابن)، ويرفع خيالهم إلى المستوى العالي جداً الذي بحسبه وهب لنا الله هذه العطية. وقوله: «أَيَّة محبة» هي التعبير الذي يُفصح عن عظم المحبة، لأنه لم يهبهم عطية بلا اسم؛ بل أعطاهم البنوَّة وأعطاهم الاسم: أولاد الله. أي أنه عظَّم الدرجة الإلهية مع اسمها لتسجَّل في سجلاَّت لوح الله الجديد ليكونوا شركاء الطبيعة الإلهية. لأنه لا يوجد في الوجود مَنْ يُطلَق عليه المحبة كجوهر إلاَّ الله. فإن كان الله محبة وأعطانا من محبته محبة قائمة دائمة في كياننا لا تفارقنا، فقد أصبحنا شركاء طبيعته، فهو ليس اسماً وحسب ولكنه يحمل حقيقة إلهية، إن نحن حقَّقناها كما أعطاها، خاضعين لمتطلباتها.

هذه الحقيقة القائمة الدائمة فينا أعطتنا مواجهة عدائية من العالم، لأن العالم مهبط العداوة لأن الشرير قائم فيه. والذين لا يعرفون الله ليس عندهم أي شعور بالرضا على الذين أخذوا هذا الحسب وهذا اللقب وصاروا مشاركين لطبيعة الله، إنهم لا يطيقونها لا سمعاً ولا فعلاً. التأكيد هنا واقع على قيام العلاقة المباشرة مع الله كمسيحيين، هذه العلاقة هي مدار الحديث الذي سيبتدئ به القديس يوحنا في الرسالة، على أن هذه العلاقة مع الله هي قائمة محقَّقة في المسيح من أجلنا. والقديس يوحنا يبدأ هذا الأصحاح ولسان حاله يقول كما قال القديس بولس الرسول: «انظروا، ما أكبر الأحرف التي كتبتها إليكم بيدي.» (غل ٦: ١١)

ولكن هذا العطاء المميَّز لا يقارَن بالعتيد أن يكون ويُستعلن في حينه، ولكن العطاء لنا الآن بأن نكون أولاد الله هو الذي سينتهي بنا إلى شركة المجد في السماء، حينما لا نكون أولاداً فحسب بل نكون مثله كما يقول القديس يوحنا (٣: ٢)، حيث يكون هناك تكميل لما حصلنا عليه هنا. فهنا «أولاد الله» هو عربون لما سنكون، أو إعداد لما سنكونه.

«**انظروا أَيَّة محبة**»: ἴδετε ποταπὴν ἀγάπην

"**أَيَّة**": تأتي في العهد الجديد للاستفهام أو العجب، وغالباً ما يكون المشار إليه شيئاً عجيباً أو

أخلاقاً يُتعجب لها مثل: «فتعجَّب الناس قائلين: أي ποταπός إنسان هذا. فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه.» (مت ٨: ٢٧)

"**محبَّة**": ἀγάπην: والعجيب هنا أن المحبة كأنها ملأتهم وغشيتهم كليًّا، حتى أصبحت هذه المحبة التي من الله كأنها ملكهم وأصبحت فيهم مصدراً لإشعاع المحبة الإلهية.

وعندما قال: "**أعطانا**" δέδωκεν، هنا العطاء جاء من العالي، فالمحبة الإلهية أسمى من طبيعتنا جدًّا، ولمَّا أعطاها لنا وقبلناها صارت ثابتة فينا ودائمة، أي أن المحبة الإلهية سكنت فينا كأولاد الله سكنى دائمة.

"**أعطانا الآب**" ὁ πατήρ هنا جاءت كلمة "الآب" مرتفقة ومكمِّلة لكلمة أولاد الله!

\+ «مَنْ يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً.» (رؤ ٢١: ٧)

«حتى نُدعى أولاد الله»: ἵνα τέκνα Θεοῦ κληθῶμεν

"**حتى**" هنا جاءت لنقل العبد إلى مستوى الابن، لأنه لم يقل إنه أعطى محبته لنُدعى أولاد الله بل جاءت "حتى" لتنقل جنس العبد إلى جنس الآب، هنا ارتفاع وسمو فائق ليس في الاسم بل في الجنس: «الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو ٨: ١٦). فهنا التعجُّب جاء مركَّزاً على المحبة أنها كانت عظيمة وكريمة وسخية في عطائها العلني إلى الدرجة التي جعلت الآب معطيها يصير أباً لنا نحن العبيد:

\+ «لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباءَ لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي.» (يو ١٥: ١٥)

ويقول العالِم برووك إن استخدام تعبير "أولاد الله" τέκνα Θεοῦ في الإنجيل الرابع توضِّح طبيعة الجماعة الجديدة مميَّزة بحصولهم على الميراث الذي للآب، فكلمة "سمَّيتكم" كما جاءت في (يو ١٥: ١٥) تعطي معنى الكيان Being الجديد أي الطبيعة التي صارت لنا والمكانة التي أخذناها.

كما جاءت هنا «حتى نُدعى». هنا بلوغ الدرجة العليا مثلما جاء في الرؤيا: «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه» (رؤ ١: ٦)، أي ليس هو مجرَّد لقب ولكن الله أعطى حقًّا وحقيقة، ولو أنه يوجد من احتقر العطية كعيسو ونسي ما أخذ.

«من أجل هذا»: διὰ τοῦτο

هنا نقلة إلى الحاسدين والباغضين لِيُظهر عدم معرفتهم لله أصلاً. فـ «من أجل هذا» تعود على العالَم الرافض، فهم لم يدركوا العطية وقيمتها وصدقها لأنهم أصلاً لا يعرفون الله الحق معطي الحق، فأنكروا استعلان الله أصلاً في المسيح يسوع الابن الوحيد لله أبيه، وبالتالي استنكروا الذين شاركوه في طبيعته واسمه.

والجميل في أسلوب ق. يوحنا أنه يُشرك نفسه معنا في العطية «أعطانا»، وليس "أعطاكم" لأنه قد سبق وأعطى الشرط الذي أكمله هو كما يجب في حياته: «أن كل مَنْ يصنع البر مولود منه». من أجل هذا إذ هو شريك في هذه العطية وقد بلغت فيه قمتها، أراد أن يشرك أولاده في التمعُّن في ظروف هذه العطية التي بلغت عنده حد العجب والعجيبة.

فالله في تنازله هذا الذي هو مواز لتنازله في إرسال ابنه الوحيد لخلاصنا، قد جعل محبته وهي صميم طبيعته لتكون ملكاً لنا خاصةً، نستطيع أن نعمل بها ونعطيها للآخرين ليمتلكوها معنا كشركة في الحب. ولكن لو تمعَّنا في عظمة حب الله الفائق نجدها واضحة أكثر في إرساله لابنه: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). فمحبة الله للعالم يصفها هكذا بكلمة "هكذا"، أي بهذا المقدار الهائل المتنازل الذي ليس له سابقة بالمرَّة. وبنفس القوة والمقدار التفت إلى المؤمنين باسمه الذين قبلوا إرسال ابنه وآمنوا به وأحبُّوه، ليعطيهم من هذه المحبة عينها التي أحبَّ بها العالم ولكن بدرجة أخص جداًّ، حتى أن الذين قبلوا مجيئه أسماهم أولاد الله، بل وأعطانا الجُرأة والحق أن نسمِّي أنفسنا كأولاد الله عن جدارة وثقة في عطيته التي لا ينزعها منا.

وفي اللاهوت الاسم المُعطى من الله يُحسب أنه الذات أو الوجه أو البروسوبون، لأنه أينما يُعطي الله الاسم يعطي الطبيعة التي تخصّه والذات التي تتكلَّم وتتصرَّف فيه، بل وتظهر وتستعلن به أخروياً. لهذا بمجرَّد أن أعطانا الله الاسم حدث أن العالم قد رفضنا وفصلنا عمَّا له لأننا قد صرنا جنساً آخر غير جنس العالَم. وتغيُّر الجنس ينشئ عداوة وحقداً وملاحقة للموت:

+ «والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالَم بل أن تحفظهم من الشرير.» (يو ١٧: ١٤و١٥)

وبولس الرسول يرتفع في الرسالة إلى أفسس إلى مستوى الأزلية قبل خلقة العالم ليرى مصدر

هذه البنوَّة في أصلها في خطة الله الأزلية من جهة مصير الإنسان بالنسبة لله خاصة، فيقول:

+ «كما اختارنا فيه **قبل تأسيس العالم**، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة. إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح **لنفسه**، حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف ١: ٤-٦)

والإنسان يندهش جدًّا ويتعجَّب لأننا نستكثر ما قاله ق. يوحنا في رسالته، ولكن إذ بالقديس بولس يُطلعنا على سر الله في الأزلية أنه قد خطَّط منذ الأزل وقبل خلقة العالم أن يهب الإنسان بنوَّته الخاصة، ويزيد عليها بقوله: «حسب مسرَّة مشيئته». أي أن الله يعطينا حق البنوَّة لا كعطية صامتة منعزلة عن ذاته، بل لأن سبب عطية البنوَّة هو سرور خاص ومسرَّة المشيئة الإلهية في العطاء! فنحن أمام عطاء الحب للتبني ونندهش لأكبر معجزة يمكن أن نسمعها ونراها نافذة في كياننا، حتى أن بولس الرسول يُعلن هذا: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو ٨: ١٦) شهادة سمائية قائمة فينا تشهد لنا، تؤازر وجودنا وعملنا وتُحيي فينا روح الحب الإلهي والتبنِّي إلى أن نلقى وجهه "حينئذ نكون مثله" (راجع: ١يو ٣: ٢).

وعطية الله بالمحبة والتبني لم تُعطَ لنا لنتعزَّى بها أو لنحتمل الضيق والمقاومة التي من العالم ضدَّنا، ولكن ليفهم القارئ أنها خطة الله منذ الأزل - كما قرأنا - قبل أن يخلق العالم، لأن هذا يناسب الله نفسه لأنه قد تمَّ بناء عن مسرَّة مشيئته ليكون لله أولاد من بني آدم، يسبِّحون مجده أمام وجهه كجنس الملائكة وأعظم:

+ «لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة ... لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١: ٤و٦)

والسر في عداوة العالم هو انتماؤنا لله كخاصة له، فالعالم يُبغض الله وأولاد الله، لأن العالم قد وُضع في الشرير القتَّال والكذاب، فليس لنا دخل في عداوة العالم. ولكن انتماءنا لله هو الذي أنشأ هذا الانفصال والعداوة. ولكن هذا يكون إذا تصرَّفنا إزاء العالم كأولاد الله بالحب، حيث محبة الأعداء تجعلنا نحب العالم ولا نبغضه، أي لا نبادله بغضة ببغضة. فإن كان الله قد أحبَّ العالم بالنسبة للإنسان الذي يعطف عليه، فيتحتَّم علينا كأولاد لله أن نحب الباغضين والمعتدين والمُضطهِدين، غير ناظرين إلى ما يقدِّمونه من مقاومة أو عداء، ولكن ناظرين إلى الكنز الأسمى الذي في قلوبنا محافظين عليه، وهو المحبة التي يحاول العالم أن يسلبها أو يهدمها.

٣: ٢ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ».

«الأحباء»: ἀγαπητοί

هنا يحس بأنهم أحبَّاء ولكنه قد أدخل نفسه ضمن هذه المحبَّة لأنه قد صار واحداً من أولاد الله، أولاد الله المحبوبين، بل والتلميذ الذي يحبُّه الرب أيضاً.

«الآن نحن أولاد الله»: νῦν τέκνα θεοῦ ἐσμεν

يقصد بـ"الآن" هنا فترة زمنية تطول مدى وجودنا في الحياة الأرضية داخل العالم الذي لا يعرفنا ويبغضنا. ولكن بالرغم من ذلك فنحن نملك حق الوجود "أولاداً لله" فيما بعد وجودنا في هذا العالم. ولكن ق. يوحنا يتباهى كوننا الآن أولاد الله كمكسب لا يُستهان به ضمن إيماننا بمجد مسيحنا.

«لم يُظهر بعد ماذا سنكون»: καὶ οὔπω ἐφανερώθη τί ἐσόμεθα

أي نُستعلن بالحقيقة. هذا سؤال استنكاري "لم يُظهر بعد"؛ ولكن الكلام ليس على مستوى النظرية الفكرية لأنه ليس عندنا ما يوضِّح ذلك، أي: ماذا سيكون حال المسيحيين هناك؟ فهو اعتراف بالجهل بالمستقبل لأنه لم يدخل نور المعرفة بعد:

+ «لأنكم قد متُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣:٣و٤)

+ «فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح ...» (رو ٨: ١٧)

هنا يتخطَّى بولس الرسول الواقع الحاضر في المضارع إلى المستقبل الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً - لا محيص عنه - بحاضرنا كأصحاب لقب ودرجة سماوية كـأولاد لله. لأننا إن كنّا الآن أولاد الله فيتحتَّم أن يكون لنا ميراث الأولاد فيما لله. فالمستقبل لأولاد الله مرتبط بالحاضر، حيث الظهور المستقبلي يدخل جزئياً ضمن معرفتنا الآن، لأننا الآن نحن إخوته وهو شابهنا في كل شيء. إذاً فسوف نراه عندما يظهر أو يُستعلن، نراه كما هو، أي على حقيقته التي شابهنا فيها في كل شيء هنا. وبظهوره يكون ظهورنا حتماً لأننا فيه نحيا ونعيش حاضرنا ومستقبلنا أيضاً، فاستعلانه يشمل استعلاننا بالضرورة لأن موته كان موتنا، وقيامته كانت قيامتنا، وصعوده كان صعودنا، وجلوسه في السماء كان جلوسنا، فأصبح ظهوره حتماً يشمل ظهورنا ومجد ظهوره نحيا فيه. لذلك سنكون

مثله ὅμοιοι αὐτῷ، لا على مستوى النور أو الذُكصا (المجد) أو البر؛ حاشا، ولكن على مستوى المحبة البنويَّة التي منحها لنا بدون ندم. ولهذا سنراه كما هو، لأننا سنكون مثله:

+ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢كو ٣: ١٨)

فالنظر - أي الرؤية الروحية - تعكس صورة المجد، فإن صحَّت هنا فستكون هناك صحيحة مائة بالمائة. لأنه إن كان قد شابهنا في كل شيء فالشبيه يرى الشبيه ويتمعن فيه وينتقل إليه، لأنها رؤية روحية صرف، ومع الرؤية المعرفة، ومع المعرفة ينتقل المثيل إلى المثيل. لأن من يعرف الحق يكون قد امتلكه «بنورك نرى نوراً» (مز ٣٦: ٩)، لأننا سنكون شركاء مجده.

+ «فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه πρόσωπον πρὸς πρόσωπον. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت.» (١كو ١٣: ١٢)

ننظره كما هو في طبيعته، لا في صورة ولكن في ذاته وفي كامل مجده، كما نحن الآن أولاد الله بالحقيقة وليس بالصورة، وحاصلين على طبيعة حيَّة ولكن على أساس أن مجده لا نراه الآن لأنه مُخْفَى ولكن هو ينتظرنا ليُرينا مجده:

+ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو ١٧: ٢٤)

+ «عرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو ١٧: ٢٦)

ومعروف أنه متى أُظهر المسيح سنكون مثله، لأننا قد أخذنا منه الخليقة الجديدة بالقيامة من الأموات، فصرنا شركاء حياة جديدة أبدية. هذا هو إنساننا الجديد المخلوق على صورة الله في البر وقداسة الحق.

وعندما يقول القديس يوحنا في رسالته الأُولى إننا سنراه كما هو، أي سنراه كما هو فينا، فهذه حقيقة أيَّدها المسيح مرَّات ومرَّات. ولأنه لمَّا صارت فينا محبة الله الآب التي أحبَّ بها ابنه الوحيد وصار هو فينا حسب صلاته في إنجيل يوحنا الأصحاح السابع عشر، فماذا بقي حتى لا نكون مثله؟ نحن مثله من الآن ولكن سيُظهرنا الله يوم ظهور الابن على حقيقة خلقتنا الجديدة، عندما نقف أمامه كقديسين وبلا لوم في المحبة، نمدح مجد غناه الذي أعطانا في المسيح وصار لنا كل ما للمسيح من مجد.

٣: ٣ «وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ».

هنا دائماً أبداً يقرن القديس يوحنا المعرفة الروحية والاستعلان بالسلوك والأخلاق. فما هو نتيجة أننا قد صرنا أولاد الله وصار لنا أن نراه في ظهوره ونكون مثله بالنسبة للحياة التي نحياها الآن؟ أي ما هو تأثير الإيمان والرجاء في حياتنا؟

+ «وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء.» (٢كو ١٨:٦)
+ «لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسُّوا نجساً فأقبلكم.» (٢كو ١٧:٦)
+ «فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء لنطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكمِّلين القداسة في خوف الله.» (٢كو ١:٧)

فإن كان رجاؤنا أننا سنكون يوماً مثل الرب ونراه كما هو، فكم يكون هذا دافعاً لنا لأن نسلك الآن بما يليق بهذا الوضع الذي سنكونه؟ لا أن نحفظ أنفسنا، أطهاراً فقط؛ ولكن أن نطهِّر أنفسنا أي نكون قديسين ولا يكون فينا شيء غير مقدَّس. لأنه أن يكون لنا مثل هذا الرجاء، هذا يعني أننا ناظرون إلى فوق باجتهاد ومثابرة غير عابئين بأمور الدنيا ولا منغمسين في شيء يلوِّث ضمائرنا، بل نحيا بتحفُّظ ومثابرة وشوق ملتهب حتى نحصل على هذه اللُّقيا ونرى الحبيب ويرانا، ويفرح بنا ونفرح به. أيُّ عزاء هذا للذين عندهم هذا الرجاء! هذا الرجاء نفسه هو صُلب الإيمان ودافعه الحار الملتهب، يجدِّد كل يوم العهد والوعد أن يكون حقًّا هو أبانا ونحن نكون حقًّا أولاد الله.

فالرجاء هو قوة الحياة المسيحية الدافعة التي تنقلنا من درجة إلى درجة نحو الأفضل والأقدس، لا نكتفي بالقليل الذي حصَّلناه، ولكن أعيننا على الأفضل والأكثر الذي قد وُضع لنا ووُضِعنا له، لنبلغ رضى الله وسعادة الحياة في رضاه. فالذي عنده رجاء بأنه مدعو لمقابلة الملك يستعد ليلاً ونهاراً للمقابلة على أحسن وجه، وينتظر ليكون له الوجود في حضرة الملك، فما بالك بالوجود مع ملك المجد الذي ينتظرنا بأكثر مما ننتظره!؟

أمَّا معيار التطهير فهو عن كل ما لا يليق بأولاد الله وكل ما لا يتناسب وأبوَّة الله. كما قال الرب: «وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب» (لا ٢٠: ٢٦). فهذا حق منتهى الحق. وبهذا الأمر الدافع وهذا النداء المقدَّس نحيا للرب في عيشة لائقة بالقديسين، لا يعيبها شيء من هذا العالم، ولا تشوبها شهوة ما أو نقيصة يمسكها الشيطان علينا ويشتكي فلا يكون لنا وجه أمام الرب بل

نخجل منه في مجيئه كقاضٍ معه قضية حياتنا. بل كأطهار نعيش كل يوم نطهّر أنفسنا بالرجاء الحي فينا: أولاً لأننا أولاد الله، وثانياً لأننا مدعوون رسمياً لمقابلته ورؤياه والاشتراك في المجد المعدّ. فالطهارة هي التي تزكّي الرجاء وتلهبه وتزيده حتى يتحقّق، كما دعا الله إبراهيم: «سر أمامي وكن كاملاً» (تك ١٧: ١). ولكن الله قد أعطانا عمل الخلاص جاهزاً لنحقّقه على فكر المسيح وحياته «إلى أن ننتهي جميعنا ... إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٣)

فالنموذج موضوع ونعمة العمل حتى الملء معطاة بالروح، فلم يعد يعوزنا شيء إلاّ النيّة والضمير والعزم والبدء والمثابرة. فالطريق ممهّد والعلامات موضوعة، وخريطة السير مسلّمة باليد، وغاية الطريق معطاة بوعد. ولم يعد إلاّ القلب الشجاع الذي يقتحم الحواجز ليبلغ الوعد. فيسوع المسيح افتتح الطريق كأول، وجعله على مستوى الأضعف والأصغر والأقل، واعداً بأنه سيكون لكل سائر نحو السماء هو هو الطريق والحق والحياة والباب المفتوح، ولم يعد باقياً إلاّ اليد الممدودة والرجل السائرة في وعر الطريق ماسكة بالذي يقود.

أمّا قول ق. يوحنا: "يطهِّر نفسه ἁγνίζει ἑαυτόν"، فهذا لا يمكن أن يُقال لإنسان إلاّ إذا كان يسوع المسيح قد أعدَّ له طريق الطهارة، ويسوع المسيح نفسه هو نموذج الطهارة والطاهر الذي قال: «ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي» (يو ١٧: ١٩).

ما معنى هذا إلاّ أنه قائد طريق الأطهار. فنحن وارثون الطهارة من المسيح في المسيح. وحينما يقول ق. يوحنا: «يطهِّر نفسه»، فهو يعني أنه يبقى دوماً في حالة طهارة.

(ب) أولاد الله وأولاد الشيطان: [٣: ٤-١٠]

٣: ٤ «كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ أَيْضاً. وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التَّعَدِّي».

«يفعل الخطية ποιῶν τὴν ἁμαρτίαν يفعل التعدِّي τὴν ἀνομίαν ποιεῖ»:

هنا يقارن بين الخطية والتعدِّي، أي بين الخطية والناموس. فالذي يعيش في الخطية بعد أن صار مسيحيًّا وقد نال الخلاص من الخطية وامتلك الحياة الأبدية في المسيح فإنه يعود إلى الوضع القديم فيما قبل المسيح ويكون متعدِّياً لناموس الله، لأن كل مَنْ يُخطئ يتعدَّى الناموس. فالقديس يوحنا يصف أولاد الله أنهم يطهِّرون أنفسهم (٣: ٣) ثمَّ يعود ويصوِّر إنساناً ظلَّ يستمر في عمل الخطية بدلاً من أن يطهِّر نفسه ليستحق أن يُدعى ابن الله، ويعيش في الخطية عوضاً عن أن يطهِّر نفسه،

فهو بذلك يكون متعدِّياً الناموس. فأولاد الله لا يقدرون أن يُخطئوا؛ كما أن غير المؤمن الذي يُخطئ لا يمكن أن يكون ابناً لله.

ولكن يعود ق. يوحنا ويسأل وما هي الخطية؟ هي كسر المثل الأعلى للمسيحي أي كسر الناموس الذي أعطاه الله. وتشبيهاً لذلك نقول: إنك تكتشف الخط الأعوج حينما تضع أمامه خطًّا مستقيماً. هكذا يضع القديس يوحنا الإنسان الذي يفعل الخطية في مواجهة مَنْ يصنع البر، وهكذا يشرح الخطية أنها عمل خارج عن ناموس الله. وهكذا فالخاطئ والذي ليس له ناموس هما في حال واحد. ويعود ويقرِّر أن مَنْ يفعل الخطية يكون إنساناً بلا ناموس، فالخطية هي رفض لله ولناموسه لكي يفعل الإنسان شهوته. والخطية أصلاً هي من عمل الشيطان وإيحائه لكي يعمل الإنسان عملاً ضد الله، لذلك فالخاطئ هو من الشيطان. أمَّا المؤمن فهو من الله ومرتبط بالله وملتزم بالقداسة لأن الله قدوس هو، ويعمل البر لأن الله بار.

فالخاطئ يعمل الخطية، ولكن المؤمن المسيحي يعمل البر ποιῶν τὴν δικαιοσύνην (٢: ٢٩). وحينما يستقبل الإنسان الخطية بحرية إرادته فإن الخطية تسكن فيه وتتفرَّع لتُنشئ الموت. ومَنْ يعمل الخطية وهو عالم أنه يعمل الخطية ويريدها يختلف عن من يعمل الخطية وهو لا يريدها ويعلم أنها ضد الله، فهذا الأخير عنده انحراف في السلوك الأخلاقي ولكن تُحسب الخطية أنها من وحي الشيطان وقد انخدع بها لأنها كسرٌ لناموس الله.

فالذي يُمارس الخطية بأي نوع كان فإنه يجعل نفسه مداناً بكسر ناموس الله وترتيبه، وهو يعمل ضد مشيئة الله θέλημα (٢: ١٧)، وهو عكس مَنْ يفعل البر تماماً. فالقديس يوحنا يتتبَّع أصل الخطية وطبيعتها الأُولى من جهة أنها معاكسة وضد الشركة مع الله. والقديس يوحنا يشرح بصورة قاطعة المضادة الواقعة بين أخلاق وسلوك المؤمن الذي هو من أولاد الله وسيكون مثل الرب يوماً ما، وبين الخطية. وذلك بتوضيح أن الخطية هي التعدِّي على ناموس الله. كما يقاوم بشدَّة التهاون واللاأدرية في السلوك اللائق بالشركة التي بدأ بها الرسالة. فعين القديس مصوَّبة نحو الشركة مع الآب والابن التي بدأ بها الرسالة، فكل مَنْ يحيا في التهاون بوصايا الرب أو يحيا حياة الخطية فهو يقطع على نفسه أن يُدعى يوماً إلى حياة الشركة مع الله لأنه يعيش بإيحاءات الشيطان ويعمل أعماله. هنا التعارض المطلق بين النور والظلمة في أشد حالاتها.

٣: ٥ «وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أُظْهِرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيَّةٌ».

ويوضِّح أيضاً ق. يوحنا تضاد الحياة المسيحية مع الخطية. وأما أن لا يكون هناك خطية، فهذا كان في المسيح الذي على مثاله نتطهَّر نحن «كما هو طاهر» كما أشار الرسول في الآية الثالثة.

وعن المسيح يذكر ق. يوحنا أمرين: أنه أُظهر ليرفع خطايانا، وأنه ليس فيه خطية. وكما دعا انتباه ووعي أولاده بقوله في الآية الأُولى: "انظروا" ἴδετε، كذلك هنا يبدأ الآية: «تعلمون أن ذاك καὶ οἴδατε ὅτι ἐκεῖνος أُظهر ἐφανερώθη لكي يرفع خطايانا ἵνα τὰς ἁμαρτίας ἄρῃ».

والآن فالذي يعمل خطية ليس فقط يكسر ناموس المسيح بل يُفسد كل الغرض من التجسُّد، لأن المسيح أُظهر للإنسان في حياته الأرضية لكي يرفع الخطية وينهي عليها ويمحوها. ولأنه هو بلا خطية صار في قدرته أن يعمل هذا لكي يتمِّم الإنسان تطهير نفسه الذي هو غرض التجسُّد وقوة المسيح المتجسِّد. فإن القديس يوحنا يدعو وعي الإنسان المسيحي: وهو إمَّا يضم نفسه "نعلم οἴδαμεν" (٣: ٢) أو أنه يخاطب أولاده: "تعلمون οἴδατε"، ثمَّ يذكر كلمة "ذاك ἐκεῖνος" كما سبق في (٣: ٥)، و"أُظهر ἐφανερώθη" أيضاً كما في (٣: ٢). ولكن هنا تشير إلى الظهور الأول التجسُّدي حيث استعلن بالجسد: «عظيم هو سر التقوى الله ظهر ἐφανερώθη في الجسد، تبرَّر في الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأُمم، أُومن به في العالم، رُفع في المجد.» (١تي ٣: ١٦)

«لكي يرفع خطايانا»: τὰς ἁμαρτίας ἄρῃ

ورَفْعُها هذا يأتي هنا بصورة مطلقة لأن الفعل لم يأتِ مع ضمير الملكية ἡμῶν، ولكن المعنى الثابت يكون "يرفع خطايانا".

«وليس فيه خطية»: ἁμαρτία ἐν αὐτῷ οὐκ ἔστιν

«وأمَّا مَنْ يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم.» (يو ٧: ١٨)

هذه هي كل حياته، وهي ليست فقط محدودة بالحياة الأرضية. وفي هذه الحقيقة أنه بلا خطية تكمن استطاعته أن يكمِّل غرض التجسُّد، بل وما سيجيء في الآية التالية: أن كل مَنْ يثبت فيه لا يُخطئ أيضاً.

٣: ٦ «كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لاَ يُخْطِئُ. كُلُّ مَنْ يُخْطِئُ لَمْ يُبْصِرْهُ وَلاَ عَرَفَهُ».

«كل مَنْ يثبت فيه»: πᾶς ὁ ἐν αὐτῷ μένων

عودة إلى الآية (٢: ٢٧) من جهة الثبوت، وهو يشرح علاقة صميمة.

«لا يُخطئ»: οὐχ ἁμαρτάνει

هنا يقرِّر الرسول أن الجمع بين الثبوت في المسيح وبين أن يخطئ الإنسان هي حالة بلا شفاء ولا مُصالحة لأنها مضادة صارخة. لأن الذي آمن بالمسيح وتمسَّك به لا يُخطئ بعد أبداً، وأما الذي يُخطئ فهو ليس في المسيح. أو ربما سبق وشرحها بوضوح بقوله إن الذي آمن بالمسيح وعاد يُخطئ فهو يحتاج باستمرار أن يعترف فيُغفر له ويجدِّد خلاصه بنعمة الله التي تتشفَّع فيه بدم المسيح، ويطهِّر نفسه (١:٩).

ولكن في رأينا أن هذا الشرح ناقص أيضاً وبعيد عن قلب الحقيقة، فحقيقة أن الذي يكون قد ثبت في المسيح لا يُخطئ راجعة إلى حصول الإنسان بواسطة المسيح والروح القدس في العماد وبالإيمان الصادق الحي بموت المسيح وقيامته حصوله على خلقة جديدة للإنسان في الباطن، على حسب قول بولس الرسول: «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه **في الإنسان الباطن**» (أف ٣: ١٦). هذا الإنسان الجديد المولود من فوق ومن الماء والروح هو خليقة روحية جديدة تعيش في الإنسان بالروح. وهذا الإنسان الجديد هو من طبيعة القيامة التي قمناها مع المسيح، فهو انفصل عن الإنسان العتيق وعن الخطية وأصبح من طبيعة أخرى هي التي قال عنها بطرس الرسول: «مولودينَ ثانيةً، لا مِنْ زرعٍ يفنى، بل مما لا يفنَى، بكلمة الله الحيَّةِ الباقيةِ إلى الأبدِ» (١بط ١: ٢٣). بمعنى أنهم مولودون من الله، وبحسب تعبير ق. يوحنا أن هذا الإنسان الجديد لا يمكن أن يُخطئ بعد لأن زرع الله فيه sperma أي أنه مولود من الله (٣: ٩)، وقد عبَّر عنها بولس الرسول عملياً بأن قال: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). هذه هي الخليقة الجديدة، وهذا هو معنى الثبوت في المسيح، وهذا معنى أن المولود من الله لا يُخطئ. بمعنى أن المسيح الحي فيَّ غير قابل للخطية، فهي خليقة جديدة بطبيعة سماوية لا تمتُّ لآدم ولا للأرض ولا لهذا العالم. وق. بولس يصف هذا الإنسان الجديد بصفة عملية حينما قال: «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١).

وهذا كله مطابق لقول المسيح: «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥: ٢٤). فقول ق. يوحنا هنا في رسالته يشمل هذا المعنى إنما في اختصار شديد أن «مَنْ يثبت فيه لا يُخطئ». وسبق أن قال إن المسيحي إذا أخطأ فله شفيع عند الآب يسوع المسيح الذي يشفع في خطايا العالم كله. هنا خطأ الإنسان المؤمن بالمسيح راجع إلى عدم ضبط الإنسان العتيق ليعيش في جدة الحياة. وبولس الرسول يوصي

هنا أن الإنسان قد مات عن الخطية لأن جسد الخطية قد مات على الصليب في جسد المسيح، فلا تعودوا تخطئون لئلا تُملِّكوا الخطية مرَّة أخرى في الجسد الذي مات عن الخطية، ولكن حتى إذا تملَّكت الخطية في الجسد العتيق وكان الإنسان الجديد الذي للخليقة الجديدة حيًّا يؤدِّي رسالته في جدة الحياة وله الحب والثبوت في المسيح والتمسُّك بالحياة الأبدية وكلمة الله الحيَّة الفعَّالة؛ فبمجرَّد الاعتراف تُغفر خطاياه بحسب وعد المسيح أن كل خطية وتجديف يُغفر للإنسان (الثابت في المسيح) ما عدا الذي يجدِّف على الروح القدس فليس له غفران، لأن الروح القدس هو الفعَّال في الغفران.

ومعروف أن الجسد العتيق مآله إلى تراب الأرض ولن نرث ملكوت السموات بالإنسان العتيق، ولكن ميراث الحياة الأبدية وشركة الحياة مع الآب والابن هي للخليقة الجديدة فينا الحيَّة والثابتة في المسيح.

والقديس بولس يصف عراك النفس المتجدِّدة مع الإنسان العتيق هكذا:

+ «لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي (الإنسان العتيق) فلنا في السموات بناء من الله، بيتٌ غير مصنوع بيد، أبديٌّ (الإنسان الجديد). فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين لأن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء (إنساننا الجديد) ... فإننا نحن الذين في الخيمة (الإنسان العتيق) نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها (نخلع الإنسان العتيق) بل أن نلبس فوقها، (وهذا مستحيل إذ لابد أن نموت أولاً لكي نلبس الخلقة الجديدة وتظهر لأنها مخفية الآن» (٢كو ٥: ١و٢و٤).

+ «لأنكم قد مُتّم (مع المسيح) وحياتكم (بالإنسان الجديد) مستترة مع المسيح (المستتر الآن) في الله، متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون (بالإنسان الجديد) أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ٣و٤).

هذا هو الإنسان الجديد المولود من الله من فوق ومن الماء والروح الذي نحيا به الآن وسيظهر بظهور المسيح، وهو لأنه ثابت في المسيح وحيٌّ به والمسيح حيٌّ فيه فهو لا يُخطئ ولا يستطيع أن يُخطئ: «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢كو ١٧:٥)

ولكن الذي يحيا في الخطية ولم يُولد من فوق من الماء والروح وكلمة الله الحية ولم يذق مواهب الله للحياة الأبدية، فهو يعيش في الموت ولم يُشرق عليه نور الله بعد. هذا، كما يقول القديس

يوحنا، لم يُبصر المسيح ولا عرفه، أي أنه عائش في الظلمة والظلمة قد أعمت عينيه، فلم يرَ بعينيه ولم يسمع بأذنيه ولم يعرف بقلبه الكلمة المتجسِّد، كلمة الله. هذا محسوب من عداد أهل العالم ولم يدخل بعد في عداد أولاد الله المؤمنين باسمه المولودين له من فوق.

«لم يُبصره οὐχ ἑώρακεν ولا عرفه ἔγνωκεν»:

فكلمة "**يُبصره**" معناها أنه لم يُشرق عليه نور الكلمة المتجسِّد: «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ... النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان» (يو ١: ٤و٩). فالذي يرى المسيح معناه أنه قد آمن بالنور، الكلمة المتجسِّد، ووعاه بالروح: «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب ...» (يو ١: ١٤). فإن أدرك إنسان مجد ابن الله الآتي إلى العالم لخلاص العالم، أشرق نور المسيح في قلبه، حينئذ تراه عين القلب وتدرك طبيعته وتحس بعمله في القلب.

وهنا يعود ق. يوحنا بالسامع والقارئ إلى مقدِّمة رسالته التي كشف فيها خبرته الأُولى التي هي أساس إيمانه: أنه قد رآه بعينه وسمعه بأذنه وشاهده ولمسه، كل هذا على مستوى الحقيقة العليا، وهو يسلِّم خبرته الفائقة لكل مَنْ أراد أن يأتي إليه ليشترك في شركته.

٣: ٧ «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَهُوَ بَارٌّ، كَمَا أَنَّ ذَاكَ بَارٌّ».

هنا يأتي ق. يوحنا بفكر جديد ولكن بتداعي الأفكار لأنه مرتبط بسابقه.

«أيها الأولاد لا يُضلكم أحد»: τεκνία, μηδεὶς πλανάτω ὑμᾶς

لا يقصد بالضرورة المعلِّمين الكذبة ولكنه عاد إلى (٢: ٢٩): «إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه». فهنا يضع البر مربوطاً بالمسيح البار، وحينئذ كل مَنْ يصنع البر فهو يعرف المسيح ويثبت فيه. هذا يقوله ردًّا على الآية (٦) "كيف نراه ونسمعه؟" الجواب: لأننا نعمل كما المسيح καθώς، أي نبلغ النموذج، وهكذا نقف في شركة حياة بارة مع المسيح البار، وهذا مبنيٌّ أصلاً على أساس أن الذي برَّره المسيح هو فقط الذي يصنع البر، وهكذا فإن الذي لا يصنع البر فهو ليس باراً ولا يمتُّ للمسيح بصلة.

والقديس يوحنا أساساً يريد من أولاده أن يفرِّقوا بين الحق والباطل، هذا هو أساس تعليم المسيح وأساس تعليم المعلِّمين الكذبة أو الشيطان، الذين يودُّون أن يقودوا أولاد المسيح إلى الباطل. فهو يجاهد أن يعطيهم المعيار الثابت الذي يفرِّق بين الحق والباطل عمليًّا: فإمَّا عمل البر أي السير

باستقامة حسب الحق والصدق والحب والبذل متمسِّكاً بوصايا المسيح عاملاً بالكلمة حافظاً الأمانة للمسيح ساهراً بالتسبيح والتمجيد، وإمَّا عاملاً بالباطل. والباطل هو كل ما يوحي به الشيطان للسير في أباطيل الدنيا، وهي كثيرة ومتعدِّدة. وباختصار إمَّا الانتماء إلى المسيح البار وإمَّا للشيطان الكذَّاب الذي هو أبو كل كذَّاب سيد العالم الباطل وأبو الشهوات المؤدِّية إلى الهلاك.

٣: ٨ «مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَدْءِ يُخْطِئُ. لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ».

«مَنْ يفعل الخطية»: ὁ ποιῶν τὴν ἁμαρτίαν

جاءت هنا مقابل ὁ ποιῶν τὴν δικαιοσύνην «مَنْ يفعل البر». وهذا يعني إمَّا إنساناً حياته كلها خطية، وإمَّا إنساناً حياته كلها برّ. واحد ينتمي إلى الشيطان والآخر ينتمي إلى المسيح. واحد ابن لإبليس والآخر ابن لله. حيث حرف الانتماء "مِن ἐκ" لا يفيد التبعية فقط أو التشبُّه ولكن الانتماء. هنا يشير إلى المصدر الذي تنبعث منه الحياة بكل أعمالها. حيث الذي يتبع الشيطان فإنه بأعمال الإثم يدعو الشيطان لدخول حياته، والشيطان متمرِّس في الخطية وهي تصبغ كل أعماله منذ البدء؛ بمعنى أنه قد أصبح قوة عقلية فاسدة تفسد أي إنسان ينفتح عليها، لأن الشيطان لا يدخل داخل الإنسان إلاَّ عن طريق العقل، وهو قوة موحية بالخطية والإثم.

«من البدء»: ἀπ᾽ ἀρχῆς

والبدء هنا لا تعود إلى طبيعة الشيطان، بل بدء العالم وبدء دخول الإنسان العالم، فلمَّا بدأ تاريخ الإنسان في العالم بدأ بإيحاء الشيطان لمخالفة أوامر الله ووصاياه، فأدخل الخطية على آدم وآدم أدخل الخطية في ذريته إلى العالم. ولكن يقول بعض العلماء الأوَّلين أن بداية الخطية للشيطان كانت عندما عصى الله وسقط من رتبته:

+ «كيف سَقطتِ من السماء يا زهرة بنت الصبح؟ كيف قُطعتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم؟ وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسيِّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلي. لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب.» (إش ١٤: ١٢–١٥)
+ «هكذا قال السيد الرب: أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال، كنت في عدن جنة الله ... أنت الكروب المنبسط المظلِّل وأقمتك. على جبل الله المقدَّس كنت، ... أنت كامل

في طرقك من يوم خُلقتَ حتى وُجِدَ فيك إثم.» (حز ٢٨: ١٢-١٥)

فسقوط الشيطان من علُوّه أنشأ فيه النقمة، ولمّا وجد الله يعطف على الإنسان ويعلّيه بدأ يقاوم الإنسان بهيجان النقمة ليسقطه كما سقط هو في العصيان والتمرُّد على الله.

+ «وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله (ملائكته) ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان (باعتباره ملاكاً ساقطاً) أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطانُ الربَّ وقال: من الجولان في الأرض ومن التمشّي فيها. فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب. لأنه ليس مثله في الأرض، رجلٌ كاملٌ ومستقيمٌ يتّقي الله ويحيد عن الشر؟ فأجاب الشيطان الربَّ وقال: هل مجّاناً يتّقي أيوب الله؟ أليس أنك سيَّجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية؟ ...» (أي ١: ٦-١٠)

وهكذا يشتكي الشيطان على الأتقياء، فهو الساقط الذي يعمل على سقوط كل إنسان في عصيان الله.

ويقول القديس يوحنا إن مَنْ يفعل الخطية هو من إبليس كما جاء في إنجيله:

+ «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تُريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلّم بالكذب فإنه يتكلّم مما له لأنه كذّاب وأبو الكذّاب.» (يو ٨: ٤٤)

فعلاقة الشيطان بالإنسان راجعة أصلاً لعلاقة الشيطان بالله، لذلك اختصّه الله بالإدانة ونَقَضَ كل أعماله مع الإنسان على الصليب، حيث ظفر المسيح بالشيطان وكل قواته وأبطل سلطانه على الإنسان، فما عاد يقرب إنساناً إلاّ بسماح من الله، والله لا يسمح لنا بأن نجرَّب من الشيطان «الله لا يُجرِّب أحداً» (يع ١: ١٣). بل بالعكس ينقذنا من التجربة. ولكن الإنسان «يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثمَّ الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تُنتج موتاً.» (يع ١: ١٤و١٥)

٣: ٩ «كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ».

«كل مَنْ هو مولود من الله»: πᾶς ὁ γεγεννημένος ἐκ τοῦ Θεοῦ

جاءت هنا لمقابلة ἐκ τοῦ διαβόλου (من إبليس)

فطبيعة المولود تكون من طبيعة الوالد. ولكي يؤكِّد ق. يوحنا هذا المعنى قال: «لأن زرع الله ثابت فيه». والزرع ترجمة σπέρμα = sperma ، وهي بذرة الله التي يولد منها الإنسان الجديد وهي إمَّا الروح القدس أو كلمة الحياة:

+ «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد.» (١بط ١: ٢٣)

+ «الذين وُلِدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله.» (يو ١: ١٣)

لذلك فجوهر حياة المولود من الله يحفظه ويمنعه منعاً مطلقاً من الاتصال بالخطية. ويتَّفق القديس أوغسطينوس مع آراء جميع العلماء الكبار في أنها كلمة الله، وكما قالها القديس بطرس الرسول. والعالِم نياندر يقول إن استخدام كلمة الـ"sperma" الإلهي تشبيه من الـ"sperma" البشري ولكن طريقة العمل والولادة مختلفة كل الاختلاف، فالمولود من الله روح هو، لذلك على أكثر تقدير يكون معنى الزرع الإلهي هو الروح القدس لأن الروح الإلهي منوط به إعطاء الحياة الجديدة، والمولود مولود إلهي فيه روح الله.

«ولا يستطيع أن يُخطئ»: καὶ οὐ δύναται ἁμαρτάνειν

هذا أخلاقياً، باعتبار أن الخطية مضَّادة وعدوة لله، وفاعلها الأصلي هو الشيطان، لذلك فالاستبعاد هنا هو بالنسبة لأي خطية أخلاقية أو أي ما يُدعى خطية تعمل بالإرادة والمعرفة والموافقة. فالمضادة مطلقة بين المولود من الله والخطية. هنا ينبغي أن نقول: إن هناك فرقاً بين إنسان مسيحي مؤمن وإنسان مسيحي مؤمن مولود من الله، فليس كل إنسان مؤمن مولوداً من الله، بل يتحتَّم أن يكون الروح القدس قد حلَّ في قلبه وأن تكون كلمة الله الحيَّة فعَّالة في وعيه الروحي المفتوح، كالفرق بين إنسان آمن ولم يقبل الروح القدس بعد، مثل التلاميذ قبل حلول الروح القدس يوم الخمسين وبعده. حيث معمودية الروح القدس كانت هي المسئولة عن الولادة الجديدة للمؤمن المسيحي:

+ «هل قبلتم الروح القدس لمَّا آمنتم؟ قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس ... فلمَّا سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع. ولمَّا وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلَّمون بلغات.» (أع ١٩: ٢-٦)

ولسنا نحن هنا بصدد نتيجة حلول الروح القدس من جهة المواهب ولكن من جهة الخليقة الجديدة المولودة من فوق من الماء والروح، فهي المهيَّئة والمعدَّة لدخول الملكوت. فالميلاد الجديد من الروح يعني تقبُّل طبيعة الله لقبول حياة الشركة مع الآب والابن التي يدعو إليها القديس يوحنا في بدء رسالته الأُولى بالنسبة لكل المؤمنين. وهو هنا في هذه الآية يُعطي الشرط الوحيد للمسيحي المعدّ للشركة مع الآب والابن وهو أن يكون مولوداً من الله ولا يصنع خطية بل ولا يستطيع أن يصنع خطية، وذلك بحصوله على الروح القدس المحسوب أنه الـ"sperma" الذي يولد منه لله:

+ «أجاب يسوع وقال له: الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق **لا يقدر أن يرى** ملكوت الله.» (يو ٣: ٣)

+ «أجاب يسوع الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح **لا يقدر أن يدخل** ملكوت الله.» (يو ٣: ٥)

لذلك كانت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس تعد أولادها بعد الميلاد من الجسد ليقبلوا المعمودية من الماء والروح لقبول الروح القدس، ليولدوا جديداً من الله، ليكونوا معدّين وصالحين للتعاليم بأن يسلكوا في الحياة الجديدة ولا يُخطئوا. ولكنها علّمتهم حتى ولو أخطأوا بعد قبولهم الحياة الجديدة فبالاعتراف والتوبة والالتجاء إلى المسيح كشفيع تُغفر لهم خطاياهم. لأن العبرة هنا هي في الحصول على الخليقة الجديدة المعدَّة للملكوت، ولكن الخليقة العتيقة تظل معرَّضة للخطية طول الحياة الأرضية، ولكن هذا لا يمنع الإنسان الجديد أن يحصل على الحياة الأبدية لأنه حاصل على قوة القيامة في المسيح يسوع. غير أن الميلاد من الله والحصول على الإنسان الجديد يتحتّم أن يكون له فاعلية ووجود من الآن ضد الخطية وضد كل ما هو مخالف لمشيئة الله. وعلامات فاعلية الإنسان الجديد واضحة: محبة الله من كل القلب والفكر والقوة، ومحبة الآخرين بالبذل والتضحية، ومحبة الأعداء والمقاومين، ومحبة الصلاة والسهر والعبادة بالروح، ومحبة الإنجيل والانفتاح لكلمة الله، وحفظ الإنسان نفسه من كل ما يُغضب الله، والسلوك بالاتضاع وطاعة صوت الله في الضمير.

٣: ١٠ «بِهذَا أَوْلاَدُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ: كُلُّ مَنْ لاَ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ، وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ».

أ ـ يجمع التعاليم في اختصار، ووضع المضادات ليكون التعليم ظاهراً وواضحاً.

فهنا يضع صراحة المولودين من الله مقابل الذين يدمنون الخطية ولا يعملون البر كأولاد للشيطان.

«بهذا»: ἐν τούτῳ

تجمع ما قيل إضافة إلى الآية (٩) السابقة. فالصفات الخاصة المميّزة لأولاد الله τέκνα τοῦ θεοῦ قد استوفاها، وكذلك أولاد الشيطان τέκνα τοῦ διαβόλου. والحقيقة أن معظم مميزات أولاد الله تكون مستورة وغير واضحة لأن أولاد الله لا يعلنون عن أنفسهم أو أعمالهم. ولكن أولاد الشيطان هم ظاهرون ولا يستطيعون أن يخفوا ذواتهم لأنهم يفتخرون بأعمالهم، ولكن بعضهم يتخفّى وراء الأعمال الصالحة وهم ذئاب خاطفة:

+ «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم.» (مت ٧: ١٥و١٦)

ب ـ محبة الأخوة: يعتبرها ق. يوحنا أنها موضوع فاعلية البر δικαιοσύνη. إنها وصية المسيح. وسوف يستمر ق. يوحنا في شرحها في الآيات القادمة. ولكن للأسف الشديد فالعداوة والبغضة تتحكّم في كل شعوب العالم وأفراده، ولكن المسيحيين يشتهرون بأنهم يؤمنون بالمحبة كسرٍّ للحياة الهنية. فالمحبة مربوطة بالحياة، والعداوة مربوطة بالموت، ولنا في المسيح يسوع النموذج الأعلى للمحبة:

+ «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه.» (يو ١٥: ١٣)

فالمحبة الصادقة لا تكون بالكلام ولكن بالعمل. فالمحبة تنتج ثقة وقُربى من الله وخاصة محبة الأعداء فهي مقدَّمة ذبيحة حيَّة لله.

والمحبة ليست هي البر، ولو أن البر قوّته في المحبة، ولكن المحبة تجمع الناموس كله:

+ «لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاَّ بأن يحب بعضكم بعضاً. لأن مَنْ أحبَّ غيره فقد أكمل الناموس. لأنه لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته، وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شرًّا للقريب. فالمحبة هي تكميل الناموس.» (رو ١٣: ٨-١٠)

«أخاه»: τὸν ἀδελφὸν αὐτοῦ

عين القديس يوحنا مسلّطة على أعضاء جماعة الكنيسة التي تربطهم المحبة وتحفظهم. هنا يقصد القديس أن عدم المحبة هي مقاومة لله «فليس من الله». والقديس يوحنا لا يجمع هنا أعمال المحبة ولكنه يأخذها كامتحان كمعيار يكشف إن كان الإنسان من الله أو ليس من الله. فالسقوط في

امتحان المحبة سقوط من العلاقة بالله. والمحبة تبتدئ من البيت وتكمل في الكنيسة. ويلاحظ هنا أن ق. يوحنا يضع الحياة إمَّا مع المسيح وإمَّا في كنف الشيطان، كالفارق بين الظلمة والنور. فهو ينظر الأمور من بدايتها إلى نهايتها نظرة واحدة متكاملة ليس فيها عوج أو تهاون: إمَّا الله أو الشيطان، إمَّا للحياة وإمَّا للموت. فهو لا يعطي فرصة للميوعة والتعرُّج لأن إبليس واقف منتظر ليبتلع المنحرف. كذلك هناك استحالة للتبادل: اليوم للرب وباكراً للشيطان. فالحياة برمتها تؤخذ من أولها إلى آخرها، وسلوكنا هو البرهان وهو الامتحان. فإما يصنع البر بمعنى أنه ينتمي إلى القداسة والأعمال الروحية الصادقة وملتزم بوصايا المسيح ويفضِّل الله على نفسه، وأخاه عنه، الله أولاً والآخر ثانياً وآخر الكل أنا؛ وإما أنه مرتمي في أحضان الكسل والهوان وكل ما يشتهيه يأتيه، ولا يعمل حساب الخوف من الله ولا اعتباراً للكنيسة ولا لنصائح الكبار، ويرفض النصيحة ويسير بهواه في طريق العالم، يعاشر السوء وتنتهي أيامه وهو مبتعد عن الله. هذا هو الذي يُحسب أنه ليس من الله. ومثله تماماً الذي يعادي الناس ويكره أخاه ويعيش على البغضة ومعاكسة الناس، هذا أيضاً ليس من الله. هذا كله يقدِّمه ق. يوحنا كمقدِّمة لموضوع المحبة الأخوية وسيكرِّر تعليمه.

(ج) البغضة والموت في العالم. والحب والحياة في الإيمان: [٣: ١١-١٨]

٣: ١١ «لأَنَّ هذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً».

هذه هي رسالة الإنجيل الأساسية، فكل تاريخ استعلان الله للإنسان من الأيام الأُولى يحمل الوصية عن ممارسة المحبة المشتركة في البيت وفي الكنيسة. في البيت لتكون الأسرة متحدة ملتصقة بالله، وفي الكنيسة ليتماسك أعضاء الكنيسة في جسد واحد لتظهر الكنيسة أنها جسد المسيح فعلاً. فالمحبة هي من الله ومقدَّمة إلى الله، ولمَّا أعطانا الله محبته الخاصة في المسيح يسوع ابنه الوحيد المحبوب سكبها علينا من طبيعته المُحبَّة كآب لنكون أبناء محبة. والمحبة التي سكبها الله وغرسها في كياننا الروحي محبة معطاءة، لأن محبة الله معطاءة، فالله لا يحتجز محبته لنفسه بل يسكبها سكباً مطلقاً في ابنه ليكون الآب والابن واحداً. هذه المحبة نفسها أعطاها لنا لتكون طبيعتنا الجديدة، لا يمكن حبسها ولا حجزها لأن طبيعتها أن تكون معطاة للآخرين، فهي لله لأنها منه ومتصلة به، و للآخرين لأنها محبة الله وليست محبتنا الخاصة نعطيها من ذاتنا بل نعطيها من الله، فهي من الله لله وللآخرين. هذه هي طبيعة المحبة الإلهية، وهي تفترق عن وتخالف المحبة الجسدية التي تنتمي للحم والدم لأنها تقتصر على اللحم والدم. أمَّا محبة الله فهي روحية حرَّة لا يمكن حبسها في الذات وقد منحها لنا الله من طبيعته لكي نرتبط بها معاً وفي الله، لأننا يلزم ويتحتم علينا أن تنتهي حياتنا

ونحن واحد كما أن الله واحد، هذا قول المسيح. والمسيح فينا هو ضامن وحدتنا معاً وفي الله، كما يقول بولس الرسول:

+ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح ... بل صادقين في المحبة، ننمو في كل شيءٍ إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح.» (أف ٤: ١٣و١٥)

من هنا جاء التشديد جدًّا على وصية المحبة فوق كل وصية لأنها تربطنا معاً في المسيح لله. سواء كانت في الأسرة أو الكنيسة، لأن المسيحي لا يخلص خارج الكنيسة باعتبارها الجسد الواحد الوحيد للمسيح الذي هو رأسها وكل المسيحيين فيها أعضاء حيَّة مبنية مع بقية الأعضاء لتكوِّن الجسد الواحد:

+ «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ... أنا فيهم وأنتَ فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو ١٧: ٢١و٢٣)

هذه هي طلبة المسيح الأخيرة من أجل وحدتنا. ثمَّ يوضِّح سر هذه الوحدة في آخر آية صلَّى بها:

+ «عرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو ١٧: ٢٦)

إذاً فالمحبة التي نحب بها بعضنا بعضاً هي محبة الله الآب للابن، محبة إلهية قويَّة رابطة تجعل الاثنين واحداً وتجعل الكل بالنهاية واحداً.

صحيح أن الكنيسة قد أهملت في غرس هذه الوصية في نفوس أولادها منذ الصغر، وصحيح أن الأسرة قد أهملت في تعليم أولادها الصغار عن هذه المحبة الإلهية المتميِّزة جدًّا التي أعطاها لنا الله لنحب بها بعضنا بعضاً. ولكن لا تزال أمامنا فرصة إذا عرفنا حقيقة وسر هذه المحبة أن نعود ونبني أنفسنا وأعمالنا وإيماننا عليها، لأنه بدون المحبة يبقى الإيمان المسيحي ناقصاً، وناقصاً في أهم عناصره.

وأهم عنصر يبني المحبة ويكشف عن سر وجودها من عدمه هو بذل الذات والتضحية بكل شيءٍ من أجل راحة الأخ ومسرَّته أو سعادته، من أجل بنيان الكنيسة وإنعاش روحها. هذه الخصال يلزم أن تُغرس في نفس الطفل ليتعلَّم كيف يعطي الذي في يده لأخيه، وكيف يتنازل عن نصيبه لأخيه، حتى يشب ويكبر وهذه الخصال طبيعة فيه، وكيف يساعد إخوته بصحته وماله ويتنازل عمَّا له ويعطي. ثمَّ يلتفت للكنيسة ويعطيها روحه وحياته. وفي هذا المضمار كله لن يخسر بل سيعطيه الله مائة ضعف لأن المحبة لا تسقط أبداً. «هذا هو الخبر الذي سمعتموه من البدء ἣν ἠκούσατε ἀπ᾽ ἀρχῆς».

٣: ١٢ «لَيْسَ كَمَا كَانَ قَايِينُ مِنَ الشِّرِّيرِ وَذَبَحَ أَخَاهُ. وَلِمَاذَا ذَبَحَهُ؟ لأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً، وَأَعْمَالَ أَخِيهِ بَارَّةٌ».

يُلاحَظ أن القديس يوحنا يركِّز على قايين ويذكره بالاسم ولم يذكر اسم هابيل، لأنه حرص على أن يقدِّم أول نموذج لابن الشيطان غير المولود من الله. كما يُلاحَظ أن قايين لم يقدِّم أخاه ذبيحة للشيطان ليصير ابناً للشيطان، ولكن لأنه كان ابناً للشيطان أقدمَ على قتل أخيه. فالشيطان يدخل القلب أولاً فتُعمل الأعمال. كما يلاحظ أن الترجمة عن اليونانية جاءت "قتل أخاه" ولكن الأصل اليوناني "قطع رقبته".

هذا هو النموذج الذي قدَّمه ق. يوحنا عن غياب المحبة الأخوية، وهذا هو النموذج الذي يقدِّمه لنا العالم عن كيف وكم تعمل البغضة إذا أسلم الإنسان نفسه للشيطان. والأعمال تفصح عن الأخلاق وعن وجود الله من عدمه. فالأعمال الشريرة هي تعبير عن كيف مال الإنسان لمحبة الشر وسقط في غواية الشيطان. هكذا منذ البدء أيضاً يكشف العالم عن طبيعته «ذبح الأخ أخاه». إذن فقد حقَّ للقديس يوحنا أن يقول إن مَنْ يفعل الخطية هو من الشيطان. وحقَّ ما قاله المسيح إن «ذاك كان قتَّالاً للناس من البدء» (يو ٨: ٤٤). إذن فقاعدة المحبة والبغضة أساس حقيقي يقوم عليه العالم: إمَّا محبة باذلة وإمَّا بغضة قاتلة. ليس هنا وسط، لأن المحبة تجذب أولادها في حضنها والشيطان أيضاً يجذب أولاده في حضنه. فعسير أن يقف إنسان يتأرجح بين المحبة والبغضة. وعلى هذا الأساس تقوم التربية، وعلى هذا الأساس قامت الكنيسة. فإن كان العالم يتطاحن اليوم وأُمة تقوم على أُمة ومملكة تقوم على مملكة فهذا يعني أن العالم قد تمكَّن منه الشيطان والكل قد سقط في حضنه. وكل أعمال السلام تبوء دائماً بالفشل «لا سلام قال الرب للأشرار» (إش ٤٨: ٢٢). فهل تنتصح الأُسر من واقع الحال هذا، وتجمع أولادها في حضنها وتبثّهم المحبة وتسقيهم الوصية منذ الرضاعة، ليشب الولد ابن المحبة، يتفانى في عطائها ويبذل لها من نفسه، عدوًّا للبغضة يخشاها ويتحدَّاها، حتى تنجو الأُسر من المصير الشرير الذي ينتظرها «ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم» (مت ١٠: ٢١). يا للمصيبة ويا لفداحة الخسارة للأسرة. ويا ليت الشيطان يقتصر على ذلك بل «سيسلِّم الأخ أخاه للموت» (مت ١٠: ٢١). أين ذهبت الأُخوَّة العزيزة المكرَّمة المضحِّية؟ خطفها الشيطان ووضع مكانها العداوة الأُولى القاتلة التي لقايين. هكذا يبتدئ العالم وهكذا ينتهي، وليس من ينتصح.

تسألني: ولماذا يبلغ الأمر إلى هذا الحد؟ أقول والأسى يملأ قلبي إن الأسرة المسيحية قد انحلَّت

وفقدت رباطها بسبب التشبُّه بالعالم وبالآخرين المحسوبين أشرار العالم. لقد دخل العالم الذي وُضع في الشرير في كل بيت، وعلَّم الأسرة كيف تسهر لنصف الليل لتسمع وتتسلَّى بمهازل العالم ويتعلَّم معهم الأولاد منذ الرضاعة الضرب والقتل وكل قبيح ونجس ومرذول. والكاهن قائد المسيرة يعلِّم الشعب أن اقتناء التلفزيون ليس حراماً! نعم صدِّقوني فهذا ما سمعته، ذلك لأن في بيته تلفزيون!

فلماذا لا تعود روح قايين تزور البيوت وتعلِّم الأخوة كيف يقتلون بعضهم بعضاً، والإنجيل مسكوك عليه في الدولاب منذ أيام المرحوم جدُّو.

والكنيسة مشغولة في توزيع الأنصبة على الكهنة ومشاكل العطايا القادمة من الخارج وزيارات أمريكا للحصول على المزيد. والمسيح واقف ينظر ويكتب سفر تذكرة بأسماء المستبيحين: «ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعلَّه يجد الإيمان على الأرض.» (لو ١٨: ٨)

ولكن لكم يا رجال هذا الجيل، أنتم المسئولون عن الجيل الآتي الذي فيه سيقتل الأولاد آباءهم والذي فيه سيسلِّم الأخ أخاه للموت.

«أعمال أخيه بارة»:

لقد بقي للعالم بقية برّ على يدي هابيل، فالذين يعملون البر ولو أنهم قلَّة فهم لا يزالون يوازنون ثقل شر العالم وإلاَّ كان الله قد قَلَبَه كما قَلَبَ سدوم وعمورة. فلا تزال الأُسر لا تَعْدَم ابناً يخرج منها متمسكاً بتقليد القديسين، محبًّا للكنيسة واهباً حياته لمجد الله والمسيح. فالبر في العالم هو الذي يعطي للعالم روحاً وحياة، والأبرار يتشفَّعون بأعمالهم من أجل امتداد رضا الله على الكنيسة والعالم. ولو لم يكن في الأسر مثل هؤلاء الأبرار لاضمحلَّت الكنيسة مع العالم ولو أنها في هذا السبيل تسير. لأنه لَمَّا زُهقت روح المحبة، وَهَنَ البر وضاعت قوَّته. فالمحبة أساس البر.

«وقتل أخاه»: ἔσφαξεν

هذا الفعل لم يرد في العهد الجديد سوى هنا وفي سفر الرؤيا الذي للقديس يوحنا أيضاً:

+ «فخرج فرس آخر أحمر وللجالس عليه أُعطي أن ينزع السلام من الأرض وأن **يقتل** بعضهم بعضاً وأُعطي سيفاً عظيماً.» (رؤ ٦: ٤)

فقايين لَمَّا وجد أخاه هابيل قد قدَّم ذبائحه من أثمن خرافه، حقد عليه وقدَّمه ذبيحة على مذبح شيطانه، وهكذا خدم كل منهما سيده.

+ «بالإيمان قدَّم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين. فبه شُهد له أنه بار إذ شهد الله لقرابينه. وبه وإن مات يتكلَّم بعد.» (عب ١١: ٤)

هنا شهادة من الله قائمة على أفضلية القرابين التي قُدِّمت، والقربان يُقدَّم ومعه نيَّة مُقدِّمه، فهو عمل ناشئ من النية والضمير.

٣: ١٣ «لاَ تَتَعَجَّبُوا يَا إِخْوَتِي إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ».

لأنه لو قُسِّم العالم مناصفة بين قايين وهابيل، سيظهر نصف العالم على أنه قائم على البغضة حتى الموت، فلماذا نتعجَّب إن كان العالم يبغض أولاد الله ويلاحقهم حتى الجوع والموت؟

«لا تتعجَّبوا»: μὴ θαυμάζετε

هنا القديس يوحنا لا يتعجَّب ولكن يُظهر المقابلة الحزينة إلى كم قد بلغت! ولكن على أية حال فهذه البغضة بمثابة خِتْم تصديق على أن لنا حياة في الله، وأننا لا زلنا ننتمي إلى البر حتى ولو لم نعمله، لهذا يبغضنا العالم. وهو ليس هو مجرَّد احتمال، بل حقيقة صارخة. فطبيعة العالم والأشرار الذين فيه هي قايينية أي تنسب إلى قايين. فالعالم هو أخونا العدو ولو لم يكن أخانا ما كان يعادينا. من أجل هذا قال المسيح: «أحبُّوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت ٥: ٤٤). لأن العالم أخونا ولو لم يعرفنا. وحينما وقف الرب يسوع في آخر صلاة له لله أبيه قال: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يو ١٧: ١٥). لأن بحبنا للعالم نوازن الشر الذي فيه، فلا يصعد صراخ العالم إلى الله خلواً من شكر وتسبيح وحب مقدَّم على مذبح الاضطهاد والتنكيل. فقايين يعمل عمله، ولكن هابيل لا يكف عن البر الذي يقدِّمه، وإن مات فدمه يتكلَّم بعد، كلام شفاعة من أجل حق أخيه.

والرب يسوع قد قال: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم.» (يو ١٥: ١٨و١٩)

هو كما قلنا انتماء: إمَّا لله وإمَّا للعالم ولا توسُّط بينهما، لأنه ـ كما قلت ـ هنا قوة جاذبة تجذب الذين يميلون ناحية اليمين وقوة جاذبة تجذب الذين يميلون ناحية اليسار. فالإنسان ليس مختاراً أن يقف بين بين، فإمَّا لله وإمَّا للعدو.

٣: ١٤ «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ».

من أعز وأجمل الآيات التي حفظناها في بكور حياتنا. من السهل أن نصف المحبة بالحياة والبغضة بالموت، ولكن هي روعة وجمال اللفظ والمعنى معاً أنه يمكن أن ننتقل من الموت إلى الحياة، الأمر الذي يُحسب أنه بالنسبة للعالم أحد المستحيلات. ولكن هذا المستحيل تَوفَّر للمسيحيين إن هُم انتقلوا من البغضة إلى الحب الأخوي عديم الغش والرياء. إنها نقلة سعيدة يحفُّها الهتاف من الملائكة، فوق من السماء، ويشغف لها ربوات أرواح القديسين الذين يتتبَّعون أخبارنا من فوق، وفوق الكل ارتياح في قلب الله ومسرَّة. وروح المسيح تتعزَّى عوض الجروح والآلام.

لا يوجد في الإنجيل كله ما يضاهي هذه الآية في قوة وجبرؤوت الانتقال من هوَّة الموت إلى قمة الحياة إلاَّ آية المسيح:

+ «الحق الحق أقول لكم إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد **انتقل من الموت إلى الحياة.**» (يو ٥: ٢٤)

لاحِظ أن الفعل هنا في الزمن التام perfect ـ μεταβέβηκεν، أي أن العمل يتم هنا وفي الحال، والمهم أن المسيح يقول إن الذي يؤمن لا يُعطَى لقب الحاصل على حق الحياة الأبدية، ولكنه يكون قد انتقل بالفعل من الموت إلى الحياة، ولن يعود يرى الموت بعد إلى الأبد لأن الحياة تكون قد غمرت روحه، حيث الحياة تعني قداسة الحياة لأنها حياة من الله ولها معرفة بالله. وبالمقابل يكون الموت الذي يبقى فيه غير المؤمن ليس موتاً فقط بل حياة فاقدة روح القداسة، أي حياة كذب وخطية.

في هاتين الآيتين تتجمع قوة الإيمان بقوة الحب سواء بسواء، والعجب العجاب أن كلتا القوَّتين تحرِّكهما خطوة واحدة:

+ «وأمَّا البر الذي بالإيمان فيقول هكذا لا تَقُل في قلبك من يَصعد إلى السماء أي ليحدر المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية أي ليُصعد المسيح من الأموات. ولكن ماذا يقول: الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها. لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت.» (رو ١٠: ٦-٩)

هكذا يكون طريق الإيمان: كلمة بالفم واعتراف من القلب به يكون الإنسان قد انتقل من

الموت إلى الحياة أو كما قال المسيح سماع الكلمة وإيمان القلب. ومثلها تماماً محبة الأخوة فهي خطوة وسلام وقُبلة، وبها يكون قد انتقل الاثنان من موت العداوة إلى حياة المحبة.

«نحن نعلم أننا قد انتقلنا»: μεταβεβήκαμεν

انتقلنا من مكان لمكان، من حال إلى حال، من موت إلى حياة. هذه القوة الدافعة والمحرِّكة لجبل البغضة والعداوة هي المحبة. وهذا هو الإيمان، إيمان الحب الذي يقول للجبل انتقل من قلبي وانطرح في بحر النسيان فيستجيب. ولكن الذي يكون فاقداً لحركة الحياة والإيمان بالمحبة وقوّتها يبقى في الموت وجبل البغضة جاثم على صدره.

وتصير محبة الإخوة هي علامة الحياة الأبدية، فالحب والحياة عريس وعروس يلتقيان ولا يفترقان حتى أعلى السموات، حيث تنمو المحبة إلى فوق وترفع على أجنحتها كل محبيها. فالمحبة هي طائر السماء الذي ينقل العُشّاق المحبين كل يوم من عالم الخطية والموت والنسيان إلى عالم الفرح والتهليل والمجد الدائم. مَنْ يحتقر المحبة يموت تحسُّراً وتأكل صدره الغيرة من رؤية المحبين وهم ينشدون نشيد الحياة والحب الذي يلقّنه لهم روح المحبة الإلهية، ويقودهم في اتباع مسيرة الخروف فوق أينما سار. سر المحبة مُخفى عن عيون المتكبِّرين المتعظِّمين في أنفسهم، لكنه مُعلن لصغيري القلوب والبسطاء الذين يرون أنفسهم آخر الكل وغير جديرين أن يكونوا ظاهرين، فيختفون، ولكن هؤلاء يختارهم الروح ويلقِّنهم سرّ المحبة ويقودهم في جيش المخلَّصين الهاتفين بالمجد، السائرين في طريق الحياة حتى الأقداس، في الطريق الذي كرَّسه الابن المحبوب ووضع عليه علامات بدم محبته حتى لا يتوه عنه المدعوون.

فالحياة في أصلها المسيحي حالة محبة صدرت من الآب وأكملها الابن وأعطاها لمحبيه ليعودوا بها إلى مصدرها، لأن المحبة غريبة في العالم تشق طريقها في قلوب مَنْ عشقوها إلى فوق حتى تستقر أمام الآب صاحبها ومعطيها. فالمحبة هي الرسول السرِّي المُرسَل من الآب وقد جسَّده الابن في جسده وأعطاه لأسرة محبَّته لينطلق بهم إلى بيت الآب. فالمحبة هي عينها الطريق والحق والحياة، مَنْ اقتناها عرف كيف يسير وإلى أين يسير، يخترق بها عراقيل الدنيا وعثرات العالم والشيطان دون أن تمسَّه، وينطلق بها (بالمحبة) إلى حيث موطنها. أمَّا الذي يزدري بالمحبة فإنه يبقى في الموت μένει ἐν τῷ θανάτῳ.

٣: ١٥ «كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ».

«كل مَنْ يُبغض أخاه»: πᾶς ὁ μισῶν

مقابل كل "مَنْ لا يحب أخاه" ὁ μὴ ἀγαπῶν (عدد ١٤).

هنا يضع عبارة «مَنْ لا يحب أخاه» تساوي «كل مَـنْ يُبغـض أخـاه» ولا يوجـد فـرق حقيقـي بينهما. ولأن البغضة فعل موت أصبح عند ق. يوحنا أن الذي يُبغض يقتل أو يُميت.

«فهو قاتل نفس»: ἀνθρωποκτόνος ἐστίν

هنا القتل حرفة الشيطان «أنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم ... الآن تطلبون أن تقتلونـي وأنـا إنسـان قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله ... لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني ...» (يو ٨: ٣٨و٤٠و٤٢)

واضح هنا أن المسيح ينسب مَنْ يُحب إلى الله أبيه، والإنسان الذي يقتـل ينسبه إلى الشيطان. هنا القتل بحد ذاته هو حرفـة الشيطان، فكـل مَـنْ أبغـض أخـاه يكـون قـد قبـل روح البغضـة مـن الشيطان، وبغضة الشيطان تؤدِّي إلى القتل بالنهاية. فكل مَنْ أبغض أخاه مثل قايين فهو قاتل نفـس مثل قايين. هنا ق. يوحنا لا يذكر العمل الذي ينتهي بالبغضة إلى الموت ولكـن يتمسَّـك بـالأصول الأُولى، فالبغضة قتل أو موت، فمَنْ أبغض يكون قد أتى فعل القتـل. وليـس عفـواً يتكلَّـم القديـس يوحنا هكذا لأن طبيعة البغضة من طبيعة القتل، فـالذي يُبغـض فـإن لم يقتـل بـالفعل فهـو يشـتهي الضرر والمرض والخسارة والخراب ثمَّ الموت. فإذا لم يبلغ إلى نهاية غرضه فبسبب عراقيل قد أوقفت سعيه إلى الإنهاء على أخيه. ففي أسلوب الحياة الخلقية لا يُنظر إلى الفعل في ظاهره ولكن يُنظـر إلى النية، فكل مَنْ يعيش في البغضة من نحو أخيه يُحسب من جهة الوعي الخلقي (وحتى من الله) أنه قاتل.

+ «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. **ومَنْ قتل يكون مستوجب الحكم.** وأمَّا أنا فـأقول لكـم إن كل **مَنْ يَغضب** على أخيه باطلاً يكون **مستوجب الحكم.**» (مت ٥: ٢١و٢٢)

هنا يتضح أن فكر القديس يوحنا مستمد من أقوال المسيح.

«كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه»:

لأن الذي يقتل ولو بالنية يكون قد فقد وباع وازدرى بالحيـاة الأبديـة ذاتهـا، والـتي يكـون قـد دُعي إليها.

نُلاحِظ هنا أن فكر قايين والذي عمله في أخيه ما زال ماثلاً أمام ق. يوحنا، فبغضة قايين القلبية هي التي قادته إلى قبول فكرة قتل أخيه من الشيطان. مـن هنـا تسـجَّلت حركـات النيـة في قـانون الإجرام والقتل في معرفة الآباء والكنيسة والإيمان المسيحي، وقد أقرَّها المسيح في عظته علـى الجبـل،

فالبغضة عليها حكم الإعدام كالقتل وذلك في عُرف القانون الروحي. لأن قايين قد سُجِّل كأول حالة قتل مسبَّب: إنه حَسَدَ وحَقَدَ وأبغَضَ فقتل أخاه. فصارت هذه حيثيات حكم الإعدام التي توجب العقوبة، فدخلت البغضة في القانون الأخلاقي خطية مساوية للقتل.

وبالتالي فكل مَنْ وجب عليه الحكم بالموت بسبب البغضة يكون قد استُثني نهائياً من الحياة الأبدية.

٣: ١٦ «بهذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ».

حينما تكلَّم ق. يوحنا عن المحبة لم يكن من فراغ يتكلَّم، فليس أمامه مصدرٌ واحدٌ ليأخذ منه ماهية المحبة وما هي شروطها وما هو فعلها الذي يقيِّمها ويثبِّتها ويعلن عنها وينادي بها ويكرز بها ويُعلِّم، إلاَّ ما قدَّمه الآب من أجل محبته للعالم، وما قدَّمه المسيح على الصليب من أجل محبته للبشرية. هذا هو أبسط وأقوى مَثَل لمحبته الصادقة الأمينة المنبعثة من مصدرها السمائي القادرة أن تغيِّر وجه الأرض وتجدِّد الخلقة الآدمية، لا عن حب متفضِّل بتقديم الحياة كلها وبذل الذات وسفك الدم، بل عن واجب المحبة الذي ملأ فكره وقلبه وجعله يُقدِّم ما قدَّم.

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يَحسِبْ خُلسَةً أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبدٍ، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسانٍ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.» (في ٢: ٥-٨)

هذا معنى «وضع نفسه لأجلنا» التي يراها ق. يوحنا أنها قد وُضعت لنا كآية ونموذج يُحتذى، حيث المحبة ليست سلعة تُشترى، ولكن المحبة تحقِّق ذاتها بالفعل، والفعل ينطق بالمحبة. والمسيح أول مَنْ فعل المحبة فعلاً ناطقاً، هو وضعها في الإنجيل الرابع هكذا: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥:١٣)، وتمَّم الفعل وأظهر أعظم محبة ظهرت في الوجود، إذ وضع ذاته وأطاع أباه حتى الموت موت الصليب. والنتيجة مذهلة أن أحباءه قد اكتسبوا من موته موتاً لأنفسهم مجَّاناً بلا ألم الموت، فلمَّا قام كجبَّار بسلطانه وحده، أقام معه أحباءه الذين وضع ذاته من أجلهم فشاركوه الموت والقيامة معاً، واقتبلوا خلقة جديدة سماوية. وبعد أن كانوا بني الموت صاروا بني القيامة وأبناء الملكوت، يحيون معه في السماء. فصار فعل المسيح يُحتذى، أن كل مَنْ يضع ذاته حبًّا في المسيح وحبًّا لأحبائه، يرفعه الآب والمسيح ويعليه ويُجلسه معه في السموات. فالمسيحي الذي آمن بالمسيح واتحد ودخل شركة الآب والابن، اكتسب فعل المسيح لذاته إذ

يستطيع بقوة صليب المسيح وموته أن يضع ذاته كل حين وعن كل أحد وهو ضامن أن فعله مؤازر بفعل المسيح ومحسوب فيه، لذلك أصبحت المحبة تفتخر لدى كل مسيحي أنها قادرة أن تحقّق ذاتها مع المسيح وقوّته.

«بهذا قد عرفنا»: ἐν τούτῳ ἐγνώκαμεν

والذي عرفناه هو المحبة: τὴν ἀγάπην المحبة في اسمها المطلق، لأن حقيقة طبيعتها هي المقصودة، وقد أظهرها المسيح لأول مرَّة بطريقة يمكن أن يتعلَّمها كل واحد ويحقِّقها بذاته بكل قوّتها. أمَّا كيفية ذلك فيقول:

«أن ذاك وضع نفسه لأجلنا»: ἐκεῖνος ὑπὲρ ἡμῶν

ابن الله!! من أجلنا نحن الخطاة. هنا المفارقة هائلة، لأن المسيح نفسه لَّما أراد أن يعرِّف المحبة قال: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبَّائه» (يو ١٥: ٨)، لكنه هو وضعها من أجل الخطاة، فأي حبٍّ هذا؟ هذا هو حب الفدية، فليس مجَّاناً وضع نفسه وشرب الهوان والموت، ولكن ليحتوي الهوان والموت كله ويلغي الخطية الأصل والسبب.

ولكن نحن لازلنا في المحبة بحد ذاتها، والفعل الذي أكمل به المحبة أي «وضع ذاته» في أبسط صورة. هذا ما أراد ق. يوحنا أن يستخرجه من عمل المسيح. القديس يوحنا لا يريد أن نضع أنفسنا للموت ولكن أن نضع أنفسنا على مستوى البذل بأية صورة من صور البذل، ليس بذل الشيء مما عندنا، ولكن بذل النفس والذات، لأن ثمن المحبة لا يُثمن بالقروش واللقمة، فالمسيح لم يدفع الفدية بالمال، فالعالم كله لا يُثمِّن بثمن ما عاد علينا من وضع المسيح لذاته، ولكن المسيح وضع حياته وخلَّصنا من الموت واللعنة بدمه. ونحن لا نطالَب بهذا، ولو أن الشهداء قدَّموه رخيصاً حبًّا في المسيح. أمَّا ق. يوحنا فيطلب أن نضع الذات أي كل ما يخص اسمنا وكرامتنا وصحتنا وجهدنا وإن لزم فحياتنا نبذلها رخيصة من أجل كل من كان في حاجة إلى هذا. هي فرحتنا أن نُشارك المسيح في بذله، ونحقِّق محبتنا للمسيح ولأحباء المسيح أيًّا مَنْ كانوا، ولسان حال المسيح لكل واحد ممَّن فداهم، يقول: أنا وضعتُ ذاتي من أجلك فربحت الحياة والملكوت، وماذا أنت فاعل من أجلي. لأن أي حب لأي إنسان نقدِّمه نحن، نقدِّمه للمسيح الذي أحبَّنا وقدَّم نفسه لأجلنا. لذلك فعمل المحبة من أجل المسيح وباسمه عمل سماوي لا يُثمَّن بالأرض وما عليها لأنه يدخل في حساب دَيْن الصليب.

وقول القديس يوحنا «فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا» إزاء ما عمله المسيح، ولكن "ينبغي" هي أصلاً "يجب"، فهو يضع على أعناقنا ضرورة أخلاقية إزاء الكنيسة وحاجة الآخرين، مهما كلفتنا المحبة حتى وإلى وضع الذات، حبًّا في الملك المسيح.

+ «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف.» (يو ١٠: ١١)

وكلنا راعٍ، وكلنا مسئول عن رعيته، والبذل صار حتماً على كل راعٍ صالح بحسب فرض المسيح «لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي ...» (يو ١٠: ١٧)، وهو يحبنا إنْ وضعنا أنفسنا، وهذا أعظم واجب لمن دخل شركة الآب والمسيح مع ق. يوحنا. فالشركة κοινωνία المسيحية تقوم على البذل ووضع الذات. كان هذا في الكنيسة الأُولى، ولكن الآن أصبحت اسمية ووضع الذات قد غاب. ولكن واجب المحبة لا زال ضرورة أخلاقية منعكسة على ضمائرنا من شكل المسيح المصلوب أمامنا، وماذا نقدِّم للمسيح إلاَّ حياتنا التي اشتراها بدمه. فإن كان عمل المسيح لا يزال قائماً أمامنا وفي ضمائرنا كعمل المحبة الأول والأعظم، أصبحنا تحت هذا الحب الواجب عن إلزام حتى ولو لم يبق إلاَّ أنا وأنت.

٣: ١٧ «وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟».

اختبار كل يوم وامتحان الضمير. هنا يخاطب ق. يوحنا من تحرَّكت أحشاؤهم من الكلام السابق وتصوَّروا أنه بإمكانهم الاستجابة بالفكر واللسان، فأدخلهم إلى اختبار الساعة التي يعيشون فيها وذوو الحاجة يمرُّون عليهم كل يوم.

هكذا ق. يوحنا بارع في أن يثير المحبة تجاه الإنسان φιλανθρωπία وهو في عقر داره.

«له معيشة العالم»: τὸν βίον τοῦ κόσμου

ترجمها القديس أوغسطينوس facultates mundi (إمكانيات الدنيا) وبالعربي الدارج: "مِرَيِّش".

«ونظر»:

تأتي بمعنى تأمَّل وفحص ورأى وعرف جيداً حال أخيه.

«وأغلق أحشاءه»: κλείσῃ

وضع حاجزاً تجاه المشاعر الإنسانية التي تدعوه للعمل.

هنا ق. يوحنا لكي يُظهر انسحاب المحبة من الموقع، أعطى مفارقة كبيرة بين إنسان له حيثية في الدنيا، أي من عظماء العالم الحاضر، وبين جاره وهو رجل فقير محتاج، وهو يتأمَّله كل يوم وهو ذاهب وهو عائد في أُبَّهته، وجاره في أشد العوز والفقر وأولاده عرايا حول الباب والشتاء قارص، ولكنه استطاع أن يغض النظر ويتعامى عن صراخ الضمير إن كان له ضمير، وأغلق أحشاءه، فظهرت المحبة هنا مذبوحة على عرش الأبهة والعز والفخامة.

وعبارة «أغلق أحشاءه» تظهر هنا فقط وتغيب عن الأسفار كلها، فقد نحتها ق. يوحنا فجاءت مُحكَمة كمن يسد الطريق أمام نهر جار، وهي تساوي "مَنْ أغلق قلبه عن إحساس صارخ"، تعبيراً عن إزهاق روح المحبة. ويسأل مستنكراً: فكيف تثبت محبة الله فيه؟ بمعنى أنه يستحيل أن يُشرق الله عليه بنور محبته، بل ما لهذا الإنسان ومحبة الله أصلاً؟

ولكن القديس يعقوب يخاطب ٩٠٪ من أهل العالم اليوم، فحقّ له أن يُصوِّر هذا المشهد الحزين المُخجل:

+ «إن كان أخ وأخت عُريانين ومعتازين للقوت اليومي، فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تُعطوهما حاجات الجسد، فما المنفعة.» (يع ٢: ١٥و١٦)
+ «هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته!» (يع ٢: ١٧)

وهكذا المحبة بالأولى.

٣: ١٨ «يَا أَوْلاَدِي، لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ!».

المحبة التي فينا طاقة إلهية ذات قوة على إظهار ذاتها بألف عمل وعمل، ولا يمكن التعبير عن فعلها بالكلام، بل لابد أن تعلن هي نفسها بالعمل الذي يشهد لها أنها محبة إلهية بكل معنى.

«لا نحب بالكلام ولا باللسان»: μὴ ἀγαπῶμεν ... τῇ γλώσσῃ

حينما يقول: «لا نحب بالكلام» فقد يكون فيه الكفاية، ولكن إضافة «ولا باللسان» جعلها محبة حقيرة لا تساوي إلاَّ حركة لسان. وفي مقابل محبة الكلام واللسان وضع محبة بالعمل والحق. فالكلام حوَّله إلى عمل واللسان حوَّله إلى حق. هذان هما العاملان اللذان تتحرَّك فيهما وبهما المحبة: ἔργῳ καὶ ἀληθείᾳ لتحقِّق ذاتها بالحق، لأنها لا تحقِّق ذاتها إلاَّ بالعمل الذي لا يقوم إلاَّ على الحق، والمحبة الإلهية حقّ هي ولا تعمل إلاَّ بالحق، لذلك يصفها بولس الرسول أنها: «تحتمل كل شيء وتصدِّق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء. المحبة لا تسقط

أبداً» (١كو ١٣: ٧و٨). وذلك لأنها موهبة من الله، فلها هذه المميزات: الاحتمال والتصديق والرجاء والصبر. هذه هي مميزات المحبة الإلهية الصادرة أصلاً من الله، ومميزات الذي قد نال هذه المحبة من الله في المسيح يسوع «عرفتهم اسمك وسأُعرِّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» (يو ١٧: ٢٦). هكذا هي المحبة التي أعطاها لنا الآب في المسيح يسوع، هي من محبة الآب للابن، محبة قادرة أن تجذب إليها بقوة كل مَنْ يتصل بها، كما تعمل في احتمال وصبر كثير ولا تخزى أبداً.

فنحن المسيحيين لنا الآن حب الآب الأبوي، وفي المسيح ننال الحب البنوي، شيء لا يساويه أي حب آخر من أي نوع، حب رابط جامع موحِّد، صادر فعَّال معطائي، لا ينحبس ولا يخفق ولا يسقط أبداً، حب مقدام جريء شجاع يؤازر المبشِّر بالصلاح والخيرات، ويؤانس المتوحد العابد، لأنه يرفع روحه وقلبه إلى الله، كأب يرعى ويحنو ويُلاطف أولاده، حب يسند الأخ في حبِّه للناس الذين يعمل بينهم في صمت فيتكلَّم الحب عنه ويشير إليه كمصدر مشع ألفةً ومودَّة وسلاماً، يجذب الناس إليه كمصدر للنور والحق والحياة. حب يؤازر الإنسان الذي يتعامل مع عدو شرس يودّ الأذية ولا يتكلَّم إلاّ بالرفض والجفاء والاستهزاء، فيقابله الحب الإلهي بالرضى والشكر والاحترام والمودَّة، بكل صبر واحتمال وطول أناة، فيخفق العدو أمامه في كل ما نوى من أذية ورفض وازدراء، ويتحوَّل إلى إنسان يسأل عن سر هذا الرجاء الذي فيكم. حبٌّ تلاقي به الوحش المفترس الذي لا يعرف إلاّ البطش فيقف حائراً قليلاً. وبالنظرة الملآنة حبًّا وعطفاً وحناناً على الخليقة التي أُخضعت للباطل والأذية بسبب آدم الذي نالت اللعنة عنه وبسببه، ينسى الوحش عداوته ويسقط طبعه الأول الوحشي ويتقدَّم نحو المحب برأس منخفض كما كان أبوه يفعل في الزمن الخالي قبل الزمن، يطلب رحمته ويئن من ثقل اللعنة التي أشقَته طول حياته، فيرى في الحب صورة الله الذي خلقه في الألفة والمودَّة، وينسى أنه ذئب ويتصرَّف كحمل. هكذا فعل القديس فرنسيس الأسيزي في ذئب بوجيو الذي روَّع المدينة فتقدَّم ولاطفه وأحضره معه طفلاً وديعاً يسير بين رجليه. فالحب الإلهي الذي شاركنا المسيح فيه من لدن الآب يرفع الطبع الوحشي أينما وُجدَ، ويعيد للبائس والجائع وعطشان الدماء، يعيد له السلام والوئام ويرفع العداوة التي صنعتها الخطية وصاحِبُها الذي بثَّها ظُلماً في خليقة الله.

(د) الثقة أمام الله في الحق: [٣: ١٩–٢٤]

٣: ١٩و٢٠ «وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا مِنَ الْحَقِّ وَنُسَكِّنُ قُلُوبَنَا قُدَّامَهُ. لأَنَّهُ إِنْ لاَمَتْنَا قُلُوبُنَا فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْ قُلُوبِنَا، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ».

والمعنى ولو أنه مختفي نوعاً ما، ولكن ننبِّه ذهن القارئ أنه بعد المقدِّمة الأُولى التي فيها وعَّى القديس يوحنا الكنيسة أن تقبل الدخول في الشركة معه مع الآب وابنه يسوع المسيح، بدأ الرسالة توًّا ليضع لأولاده أساس اللياقة لهذه الشركة من مسيرة خلقية ومغفرة خطايا وحب من كل نوع. فالآن بعد أن قطع مشواراً في توصيف اللياقة كشركة مع الله، عقَّب على ما قال بقوله: «بهذا نعرف أننا من الحق ونسكِّن قلوبنا قدَّامه» باطمئنان في شركة الحب الأبوي. ولكن إن وجدنا في قلوبنا بعد هذا الدرس الطويل عن الأخلاق والمحبة أننا ملامون حقًّا ولم نكمِّل مطالب الشركة الروحية المعروضة علينا، فيلزم أن نفهم أنه إذا لامتنا قلوبنا فالله أقدر وأكثر ملامة من نحونا لأنه يعلم كل شيء، يعلم تخاذلنا وعدم تقديم الحب اللائق لمن هم في حاجة إلى الحب. هذا هو التعقيب المؤنِّب الهادئ من القديس يوحنا على تعليمه السابق كمعلِّم يستعيد الدرس باختصار.

«بهذا نعرف»:

ما هو هذا؟ ἐν τούτῳ. هنا يسترجع ما قاله معقِّباً بكلمة "بهذا" أي بهذا الذي قلناه كله حتى الآن. وبالأكثر المحبة العملية، أو عمل المحبة، فإذا كنَّا نحب بالعمل والحق ἀγαπῶμεν ... ἐν ἔργῳ فإننا سنعرف أننا من الحق وحينئذ ترتاح قلوبنا قدَّامه (في الشركة التي نحن مدعوون إليها) لماذا؟ لأن الذي أدرك أنه حق فعلاً فقد ضمن الحياة مع الله بكل راحة: «لهذا قد وُلِدتُ أنا ولهذا قد أتيتُ إلى العالم لأشهد للحق. كل مَنْ هو مِن الحق يسمع صوتي» (يو ١٨: ٣٧). وقد عرفنا أننا من الحق عندما أحببنا من كل قلوبنا بالحق. فكلمة الحق جاءت نتيجة الحب الحقيقي. فالحب بالحق هو البرهان أننا مولودون مِن الحق. هذا هو الذي يؤكِّد لقلوبنا أننا من الحق!

«لأنه إن لامتنا قلوبنا»:

ولكن أمام أخطاء السلوك أو أخطاء تنفيذ وصايا المحبة كما نصَّ عليها القديس يوحنا ستلومنا قلوبنا حتماً. فإن لامتنا قلوبنا علينا أن نعرف أن الله أعلى وأدق وأعلم بما في قلوبنا، بمعنى أن ملامة الله ستكون أكثر لأنه يعلم كل أحوالنا وكل ما في قلوبنا. هذا يجعلنا نرجع إلى نفوسنا ونحاسب أنفسنا على كل تقصير ونصلح من عيوبنا ونقائصنا دون يأس، لأنه لا يزال أمامنا فرصة

لمراجعة أخطائنا وإحياء حالة التدقيق، خاصة في محبة القريب لأنها الوصية الأُولى والهامة جداً بالنسبة لحياة الشركة مع المسيح: «أختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيَّ طريق باطل، واهدني طريقاً أبدياً» (مز ١٣٩: ٢٣و٢٤). لأن الله أعظم من قلوبنا وهو يعرف كل شيء، فهو القادر أن يقود حياتنا لنصير حقاً أولاده الصالحين للحياة الأبدية التي قد دعينا إليها.

٣: ٢١ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ لَمْ تَلُمْنَا قُلُوبُنَا، فَلَنَا ثِقَةٌ مِنْ نَحْوِ اللهِ».

«أيها الأحباء»: ἀγαπητοί

المخاطبة المحبَّبة إلى ق. يوحنا في الجزء الثاني من الرسالة المختص بالمحبة، بمعنى: أننا قد عملنا بكل وصاياه خاصة من جهة المحبة وارتاحت ضمائرنا أننا **لائقون** بأن نكون **أولاداً** لله كما لنا رجاء في قلوبنا في شركة الآب وابنه يسوع المسيح.

«إن لم تلمنا قلوبنا»: ἡ καρδία μὴ καταγινώσκῃ

هذه الكلمات تأتي ردًّا على الآية السابقة «إن لامتنا قلوبنا». هنا قلوبنا لا تلومنا ونحن راضون عن أعمالنا وتقديم المحبة لكل مَنْ كان محتاجاً إليها. هنا واضح أن ق. يوحنا يضم نفسه باعتبار أن لديه القوة المعززة التي تفرز الهفوات والأخطاء وتحكم على حال العمل وتسلِّم الضمير نتيجة شهادتها. ويعتقد ق. يوحنا أن الذين يكتب إليهم من الأحباء عندهم أيضاً هذا الإفراز الإلهي وتحكيم الضمير.

فإذا لم يكن لدى قلوبنا أي ملامة فلنا الشجاعة الكافية.

«فلنا ثقة من نحو الله»: παρρησίαν ... πρὸς τὸν θεόν

شجاعة وثقة، حينما نقف أمام الله نكلِّمه أو نكون في حضرته في شركة الحياة الأبدية مع الآب وابنه يسوع المسيح، التي أهم ما يميِّز أفرادها أن يكونوا قد تحرَّروا بالحق من كل ما يعوق وقوفهم أمام الله والحياة معه:

+ «ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكِّل. توكلوا على الرب إلى الأبد لأن في ياه الرب صخر الدهور.» (إش ٢٦: ٣و٤)

هذه الحالة ليست كما يقول الشُّرَّاح هنا إنها نتيجة حكم الإفراز في الضمير ولكنها ناتجة من

تلاحم الروح القدس مع القلب والضمير، تعطي روح الشجاعة في الإيمان وتزيد حرارة الإنسان لمزيد من العمل والحب:

+ «فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة وعوناً في حينه.» (عب ٤: ١٦)

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ... لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان ...» (عب ١٠: ١٩و٢٢)

ونعتقد أنه ببلوغ القديس يوحنا مع أحبَّائه إلى حالة ثقة من نحو (والأفضل أمام) الله يكونون بذلك قد بلغوا إلى قمة اللياقة لحالة القبول في شركة الحب والحياة مع الآب وابنه يسوع المسيح، التي لا يبلغها إلاَّ أولاد الله الذين بلغوا من حالة الحب الحقيقي الكامل ما يؤهِّلهم إلى الاتحاد والوحدة الحقيقية المطلوبة في شركة الحياة الأبدية.

٣: ٢٢ «وَمَهْمَا سَأَلْنَا نَنَالُ مِنْهُ، لأَنَّنَا نَحْفَظُ وَصَايَاهُ، وَنَعْمَلُ الأَعْمَالَ الْمَرْضِيَّةَ أَمَامَهُ».

تحصيل حاصل، فإذا لم تلمنا قلوبنا، ولنا ثقة أمام الله، كانت النتيجة أننا سنقف أمام الله كأولاد ونسأل كل ما يرضى الله. لذلك وضعها ق. يوحنا في قالب العمومية «مهما سألنا» «**ومهما سألتم** باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.» (يو ١٤: ١٣و١٤)

إنه وعد إلهي، تزول السماء والأرض والوعد قائم دائم. "مهما سألنا" هذه استعارة ق. يوحنا الرسول لأن الكلام (كلام المسيح) كان على يديه وفي مسامعه وكتبه وسجَّله!

فالله يستجيب كل صلاة، هذا وعد منه، ولكن كثيراً من توسُّلاتنا لا تجاب لأنه بحكمة يعرف أيضاً ما هو الصالح لنا وما يضرّنا، فلا يسمع صلاة تنتهي بضرر لإنسان. والمثل أمامنا بولس الرسول الذي توسَّل من أجل شوكة الجسد التي كانت تنغّص حياته فكان رد الله بعد محاولات كثيرة: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو ١٢: ٩)، ومن يومها والقديس بولس يفتخر بضعفه.

«مهما سألنا ننال منه». ق. يوحنا هنا يضع الفعل "ننال" في المضارع وليس في المستقبل وكأنه حادث، فنحن تحت ثقة أولاد الله نسأل لنأخذ كما يقول ق. يوحنا أيضاً في رسالته الأولى: «وهذه هي الثقة التي لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. وإن كنا نعلم أنه مهما

طلبنا يسمع لنا نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه (وتصحيحها أننا قد نلناها)» (١يو ٥: ١٤و١٥). ولكن يحدِّدها ق. يوحنا بأن ذلك يكون إن حفظنا وصاياه وعملنا الأعمال المرضية أمامه.

ولكن الله لا يضعنا تحت ضغط أو اضطرار كعبيد، ولكننا نحن نتمِّم وصاياه بفرح القلب وسرور النفس معبِّرين عن فضله وتفضُّله بأن يرعانا بوصاياه لأنها ليست ثقيلة، ولعلْمِنا الأكيد لمشيئة الله أنه لا يعطي الوصية إلاَّ ومعها قوة تنفيذها، فهو ليس مدير إدارة ولكن أب أولاد يفرِّح قلبهم بعمل يديه ويلهمهم العمل بوصاياه ليزدادوا قداسة وقُرباً منه. فوصية الله كنز مخفي في داخله هدايا قيِّمة لا تخطر على بال. فحينما نطيع وصاياه ونعمل ما يرضيه يُظهر كنوزه وهداياه السماوية التي ليست من هذا الدهر ولا تخطر على قلب بشر ما أعدَّه الله لمحبيه. فإن كنَّا نعمل ما يُسرّه حسب مسرَّة مشيئته فهو يُسرّنا عشرة آلاف مرَّة ويجعل مشيئتنا تستظل بمشيئته فنعلم ما يريده وما لا يريده. فنحن قد تحرَّرنا من إحساس العبيد والعبودية، نعيش ونتصرَّف كأولاد الله المحبوبين وهذا شأن البنين.

«ونعمل الأعمال المرضية أمامه»:

+ «والذي أرسلني هو معي و لم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل **ما يرضيه**.» (يو ٨: ٢٩)

هنا أيضاً نحس أن ق. يوحنا يحوم حول حياة الشركة ويضع خطوطاً تحت مطاليبها، فليس مسموحاً لنا أن نستغل شركتنا مع الله ونسأل ما نريد، ولكن يتحتَّم أولاً أن نحفظ وصاياه.

+ «أجاب يسوع وقال له: إن أحبني أحد يحفظ كلامي. ويحبّه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو ١٤: ٢٣)

ونعمل الأعمال المرضية أمامه التي تُظهر أننا حقًّا أولاده المطيعون لوصاياه، وأننا فعلاً جديرون بحبه ورعايته.

٣: ٢٣و٢٤ «وَهذِهِ هِيَ وَصِيَّتُهُ: أَنْ نُؤْمِنَ بِاسْمِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً كَمَا أَعْطَانَا وَصِيَّةً. وَمَنْ يَحْفَظْ وَصَايَاهُ يَثْبُتْ فِيهِ وَهُوَ فِيهِ. وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِينَا: مِنَ الرُّوحِ الَّذِي أَعْطَانَا».

هنا ينتقل بوصاياه إلى قسم جديد ليدخل في صُلب الإيمان، وتتميمه يكون علامة تدل على أن وضعنا الديني صحيح كأهم ما يطالب به الله للدخول في حياة الشركة، لأنه في الآية السابقة قد

أجمل الوصايا كلها لتكون تحت الحفظ كضرورة حتمية للدخول في شركة الآب. وهنا يحدِّد أهم الوصايا التي نُظهر بها طاعتنا وأحقيَّتنا لبنوَّة الله، وبالتالي شركتنا معه في الحياة الأبدية المعروضة علينا. هنا المطلوب اعتراف حقيقي وإيمان صادق، لأنه هنا في هذا العدد يحدِّد الإيمان والمحبة، فاتِّباع المسيح بالإيمان الصادق يحدِّد قطعاً أن هناك حبًّا فعَّالاً وصادقاً وهذا هو الشرط الأساسي لدخول الشركة لأنها شركة مع الآب وابنه يسوع المسيح، والإيمان الذي يثبِّت وجودنا فيه يقابله من جهته سكناه وثبوته فينا. وهكذا تكون الناحية البشرية والناحية الإلهية متوافقتين ومتقابلتين. وهكذا تكون الشركة قابلة للعمل في مستوى الطاعة.

ونحن نتأكَّد ونثق بوجودنا في الشركة بواسطة الروح القدس الذي أعطاه كعربون دوام الشركة هنا وهناك. ونُلاحِظ أن القديس يوحنا قد سجَّل في هاتين الآيتين الدعائم الأساسية لهذه الشركة وهي:
١ ـ الإيمان (لأول مرَّة في هذه الرسالة)، ٢ ـ ثمَّ يزيدها في الآية (٢٤) بأنه «يثبت فيه وهو فيه»، ٣ ـ ثمَّ الروح القدس.

١ ـ وكونه هنا يذكر الإيمان نُفاجأ به لأول مرَّة كما جاء في إنجيله: «أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله» (يو ٦: ٢٩). والتأكيد هنا على «أن تؤمنوا بالذي أرسله» لأن القديس يوحنا في الجزء السابق من الرسالة قد استوفى الطاعة لأوامر الله وخاصة قانون المحبة. ولكن اتِّباع المسيح والشركة معه هو التعبير الضروري الذي يثبت صحة الحياة المسيحية، إذ بدون هذه الشركة في الحياة مع المسيح يكون ادعاؤنا بأننا مسيحيون ادِّعاءً كاذباً. فالثقة المثبوتة بالحياة مع المسيح يتحتَّم أن تسبق طاعة أوامره ووصاياه. فالقديس يوحنا قلق على أحبائه وهو يذكرهم بتأكيد بهذا المطلوب منهم أولاً قبل أن يتعامل مع الأمور العملية الأخرى، لأنها قد تطمس معالم المطلب الأساسي. فالشركة في حياة المسيح تسبق التدقيق في حفظ الوصايا والأوامر والفروض الموضوعة. الإيمان أولاً ثمَّ العمل.

٢ ـ كانت الآية (٢: ٢٨) «اثبتوا فيه» آية انتقالية ساعدت في إدخال هذا الجزء من الرسالة إلى غايتها لتوضِّح الجانب البشري في الثبوت في الشركة الروحية المزمعة التي تنتهي بأن الله يثبت فينا، ولكن الجانب الإلهي هو الآخر هام وضروري. وهكذا يبتدئ الرسول في آية ٢٤ استعداداً للدخول في الجزء القادم من الرسالة، يبدأ من الآية (٢٤) يبيِّن الجزء الإلهي في الثبوت هكذا «يثبت فيه وهو فيه». فالشركة مع الله والوعي بها إنما تستند على

ثبوت الله فينا والحصول على فعل إلهي وطبيعة الله في المحبة.

٣ - وقد أصبح للمسيحيين وعي أن الله يثبت فيهم لأنهم على وعي أيضاً بحضور الروح القدس الذي أعطاه لهم الله. وتكرار هذه الحقيقة نراه في الآية (٤: ١٣): «بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا. أنه قد أعطانا من روحه»، وهي توضِّح أن الكلمات يلزم أن تؤخذ في هذا المعنى هنا أيضاً. وهذا الفكر يتطوَّر في الجزء التالي من الرسالة: إن الله حقًّا قد أعطانا من روحه، ولكن ليس كل ما يشعر به الإنسان هو من الروح القدس، ويلزم جدًّا التمييز بين الشعور الحقيقي وبين الشعور المزيَّف.

«أن نؤمن»: πιστεύσωμεν

الفعل جاء هنا في زمن الماضي البسيط في الصيغة المصدرية وهو يشير إلى فعل الإيمان كحقيقة كلّيّة مفردة دون الإشارة إلى امتدادها في الزمن، ولكنها تعبِّر عن حقيقة قائمة في ذاتها مرَّة واحدة.

«باسم»: τῷ ὀνόματι

الإيمان هنا يأتي مع حالة القابل τῷ فهو يعبِّر عن الإيمان كحقيقة في ذاتها ليست متجهة نحو العبادة كما حينما يأتي الفعل "نؤمن" وبعده حرف εἰς (الإيمان إلى أو نحو).

فهنا التعبير يوضِّح الاقتناع بأن المسيح هو بالحقيقة ما يعبِّر عنه اسمه، وكلما جاء هذا التعبير خاصة في الإنجيل الرابع فهو لا يشمل ما يضعه بولس الرسول من الثقة والطاعة في فعل الإيمان. ولكن «يؤمن» عند ق. يوحنا هو الإيمان بأن يسوع هو المسيح ابن الله في مقابل هرطقة المعلِّمين الكذبة وليس لوصف العبادة. فالقديس يوحنا مختص بالإيمان بأن المسيح هو يسوع ويسوع هو المسيح ابن الله، وهو قد يشرح هذا الوضع كما جاء في إنجيله: «هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله» (يو ٦: ٢٩) أي بشخصه الحقيقي.

«باسم ابنه يسوع المسيح»:

صيغة عقائدية مضغوطة نستعلن منها الآب كاملاً بالاعتراف بابنه، ثمَّ الإنسان يسوع الذي عاش على الأرض أنه هو إنسان حقيقي له حياة إنسانية حقيقية، ثمَّ أنه هو الموعود به المسيَّا الذي حقَّق انتظار اليهود وكل الناس «أمَّا هذه (الإنجيل) فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣١) ويكون فقط إذا عشنا وأكملنا كل

وصايا المسيح يسوع أننا نتحقَّق من طبيعته.

«ونحب»: καὶ ἀγαπῶμεν

وهكذا يختزل في هذه الوصية الواحدة (المحبة) جميع الوصايا الأخرى، وطاعتها إنما تبتدئ مع مَنْ هم بين أيدينا «بعضنا بعضاً».

«كما أعطانا»: καθὼς ἔδωκεν

هذه الوصية الجديدة هي طبق الأصل من محبته التي أعطانا «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً» (يو ١٣: ٣٤). هذه من أحاديث العلية، وواضح فيها رنة شخصه وقوة تعبيره.

على أن طاعة وصايا المسيح لا تكون هي السبب بل البرهان أن الإنسان يثبت ويسكن فيه، وإن كنا نثبت فيه بتأديتنا وصايا في طاعة محبته فهي تؤدِّي إلى أن يسكن هو فينا.

+ «أجاب يسوع وقال له: إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو ١٤: ٢٣)

وهو يسكن فينا بالروح الذي أعطانا. والقديس يوحنا يذكر هنا الروح القدس لأول مرَّة في هذه الرسالة، على أنه قد ذكر الروح القدس ضمناً في إعطاء المسحة بتعريفه القدوس (٢: ٢٠و٢٧)، وسيظهر الروح القدس في هذه الرسالة مرَّة أخرى في الأصحاحين الرابع والخامس كروح شاهد أو روح الشهادة: «بهذا تعرفون روح الله»، و«روح الحق»، و«أعطانا من روحه» و«الروح هو الذي يشهد لأن الروح هو الحق».

والمسيح يقول: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٥: ٤)، ولكن هنا يتكلَّم عن الثبوت في الآب، علماً بأن الآب قد أرسل الروح القدس باسم الابن:

+ «وأمَّا المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلِّمكم كل شيء ويذكِّركم بكل ما قلته لكم.» (يو ١٤: ٢٦)

+ «ومتى جاء المُعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي.» (يو ١٥: ٢٦)

ولكن يُلاحَظ أنه بعدما قدَّم ق. يوحنا طبيعة الوصايا الإلهية، أكَّد أن حفظ الوصايا هو شرط أساسي لشركة الحياة مع الله، ويوضِّح هنا أن الوصايا هي وصايا الله. وهو يصف حياة الشركة

مع الله كونه يثبت فينا ونحن نثبت فيه، وقد ذكرها في إنجيله لأنها غاية من غايات الشركة (يو ٦: ٥٦ و ١٥: ٤ - ٧و٩و١٠)، (١يو ٢: ٢٤، ٤: ١٣-١٦) وهذا حدا ببعض العلماء مثل العالِم بيدا Bede وهو أحكم بني عصره (في القرن الثامن) أن يعظ ويقول:

- [اجعلوا الله لكم بيتاً وكونوا كذلك قادرين أن تكونوا بيتاً لله](١)

أمّا كيف نعرف أن الرب ساكن فينا، فهو الروح الساكن فينا من الله باسم المسيح! والروح يشهد للمسيح فينا، ويصرخ فينا أننا أولاد الله.

(1) Quoted by S.J., Kistemaker, *op. cit.*, p. 319.

الأصحاح الرابع

٥ - الأرواح الكاذبة وروح الله

[٤: ١-٦]

(أ) إنكار المسيح آتياً في الجسد: [٤: ١-٣]

٤: ١ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ».

في الآيات (١-٦) ينحصر كلام ق. يوحنا عن المسيح، على أن الروح الذي من الله هو يشهد ليسوع أنه المسيح آتياً بالجسد.

«لا تُصدِّقوا كل روح»: μὴ παντὶ πνεύματι πιστεύετε

جاءت في الديداخي هكذا (١١: ٨): "ليس كل مَنْ يتكلَّم بالروح يكون نبيًّا، بل فقط إن كانت له طرق الرب. فمِنْ طُرُقهم تعرفون النبي والنبي الكاذب".

«بل امتحنوا الأرواح»: ἀλλὰ δοκιμάζετε

لأنها متعدِّدة ومتنوعة ومنها الغاش. «ولآخر عمل قوَّات ولآخر نبوَّة ولآخر **تمييز الأرواح**» (١كو ١٢: ١٠)، حيث موهبة تمييز الأرواح هي أيضاً إحدى مواهب الروح القدس χαρίσματα. وفي الأجيال المبكِّرة كانت ظاهرة الأرواح سبباً في قلق كبير لجميع القادة الروحيين، إذ كانت تحتاج إلى نعمة خاصة لتمييز بين ما هو حق وما هو غاش، لأن بعضهم كان مُصاباً بالهوس وآخرين كانوا دجَّالين ومُخادعين يكتسبون من الغش والدجل على البسطاء وغير العارفين. وحتى وإن كان بعضهم صادقين ولكن بعضهم كانوا أشراراً. وقد واجهت الكنيسة صعوبة بالغة في تحديد هذا التسيُّب على فترات متكررة الذي انتهى بهرطقة المونتانية Montanism. ولكن ق. يوحنا يذكِّر أولاده بضرورة اكتساب نعمة التمييز (الإفراز بلغة الآباء وقد كانت جزءًا هاماً في معرفة الآباء الموهوبين)؛ لأن روح العدو الشرير قد أرسل سفراءه الكثيرين في مقابل الذين أرسلهم الروح القدس، وكان نشاطهم مخرِّباً.

«أنبياء كذبة»: ψευδοπροφῆται

انظر: (مت ٧: ١٥):

+ «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحِملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة».

«خرجوا»: ἐξεληλύθασιν

يبدو أنهم خرجوا من جسم الكنيسة كما عرفنا في الآية (٢: ١٩) التي وضح فيها أنهم خرجوا منّا أي من صميم جسم الكنيسة، أي من المؤمنين أنفسهم. هؤلاء قد نفخ فيهم الشرير من روحه وأرسلهم ليضلّوا العالم، وقد آزرهم بروح ضلال مزيَّف وكأنه روح حق وهو الباطل، وكان لهم تأثير سيِّئ جدًّا، ولكنهم لم يُقارَنوا قط بجسم الكنيسة. وهكذا تكرر في الكنيسة ما عاناه العهد القديم في إسرائيل من خروج أنبياء كذبة من وقت إلى وقت، رجالاً ونساءً، كانوا بوقاً لقوة داخلهم تسخِّرهم، وكان كل منهم يدَّعي أنه يتكلَّم بأمر الله وأنه مُلهم بروح الحق. ولكن في العهد القديم كما كان في العهد الجديد كانت هذه الادعاءات تُمتحن بشدَّة كما فعل إيليا في أنبياء البعل الذين تحدُّوه بذبائحهم، فما كان منه بعد أن آزره الله وأعلن الحق، إلاَّ أن ذبح أربعمائة نبي منهم على نهر قيشون. كذلك أنبياء كنعان «فالآن أرسل واجمع إليَّ كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين وأنبياء السواري أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل» (١مل ١٨: ١٩). وهكذا فرَّق بين الصادق والكاذب من الأنبياء، وكانت مهمته من أصعب ما يكون. وفي أيام إرميا النبي وقف هو وحده كنبي الله وسط جميع الأنبياء الكذبة الذين أضلُّوا يهوذا وأنهوا حياتهم بالسبي (إر ٢٦: ١٥ و٢٨: ١-١٧).

وفي العهد الجديد كان دخول أنبياء من الله وفيهم الروح القدس سبباً في نشاط العدو لإرسال رسله ليتكلَّموا هم الآخرون بروح الضلال، ولكن ما نطقوا به كان يشهد أنه ليس من الله. وهنا القديس يوحنا في رسالته كان يفرِّق بين روح الله وروح الضد للمسيح.

وفي هذا القسم ينبِّه ق. يوحنا الشعب أن لا يُصدِّقوا كل الأرواح παντὶ πνεύματι ويقصد الأنبياء الكذبة منهم. فالأنبياء الصادقون الذين من الله ويتكلَّمون بالروح القدس يقول عنهم ق. بطرس: «لأنه لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان بل تكلَّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط ١: ٢١)

والعلامة المميِّزة بين الصادق والكاذب هو الاعتراف بالمسيح آتياً بالجسد، أمَّا الكاذب فينكر المسيح. وهكذا كان دائماً الصادق أقوى وأشجع من الكاذب، لذلك فقد غلب المؤمنون مؤازَرين من أنبياء الحق.

وكان منبع الاستعلان عند أنبياء الله الذين ينادون بالحق هو الروح القدس أو روح الله الذي لا

ينبع من عقولهم، ولكن قوة الله كانت مميَّزة من واقع شخصياتهم: تجيبهم وترشدهم «فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوَّة العليّ تظلّلك» (لو ١: ٣٥). هذا الروح هو نفسه الذي كان يتكلَّم في الأنبياء متغلغلاً في روح النبي موصلاً إليه نطق الحق الذي عليه أن يستعلنه. لذلك كانت روح الأنبياء هي نفسها روح الله المتكلِّم فيهم. لذلك كان كل نبي له روحه الخاص مع أن الروح القدس واحد ولكن النطق مميَّز من نبي إلى نبي.

ولكن كان نفس الشيء حادثاً مع الأنبياء الكذبة إذ كانوا تحت تأثير روح ليس من الله بل روح ضلال، وكان هو روح الشيطان الواحد، وكان أنبياؤه متعدِّدي الضلالات تحت تأثير روح الشيطان.

والقديس يوحنا هنا يتكلَّم عن أرواح كثيرة تملَّكت على الأنبياء الكذبة، وخرجوا يبشِّرون بالضد للمسيح بنَفَسٍ واحدٍ تحت ادعاء أنهم من الله، هذا أحوج الكنيسة لكي تختبر هذه الأرواح:

+ «ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوَّةٌ، ولآخر **تمييز الأرواح**، ولآخر أنواع ألسنةٍ، ولآخر ترجمة ألسنةٍ.» (١كو ١٢: ١٠)

+ «أمَّا الأنبياء فليتكلَّم اثنان أو ثلاثة **وليحكم الآخرون**.» ١كو ١٤: ٢٩)

+ «لا تحتقروا النبوَّات. **امتحنوا** كل شيء. تمسَّكوا بالحسن.» (١تس ٥: ٢١و٢٢)

٤: ٢ «بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ»

«بهذا»: ἐν τούτῳ

تشير إلى الآتي.

«تعرفون»: γινώσκετε

نفس الكلمة قد تؤخذ كأمر (صيغة الأمر: اعرفوا) أو كتقرير حال واقع (الصيغة الإخبارية: تعرفون). ولكن أسلوب القديس في هذه الرسالة يرجِّح أن تكون في الصيغة الإخبارية: ("تعرفون" كما جاءت في الترجمة العربية). لأن غرض الرسالة كلها هو لتذكيرهم بما قد تحصَّلوا عليه منذ البدء، وكل ما يوجههم به هو كيف يستخدمون ما تحصَّلوا عليه. لأن في الإيمان المسيحي فإن حقيقة ما "تعلَّموا من البدء" تعطي لهم الكفاية في المعرفة الممتدَّة ضد المخاطر التي هم يواجهونها الآن. فهذا كله يحتاج إلى استخدام ما قد عرفوه «إن علمتم ... فاعلموا» (٢: ٢٩). وهو من حين لآخر يعطيهم مثل هذا التوجيه في الصيغة الإخبارية بدون أمر مسبقاً بكلمة ἐν τούτῳ مثل (٢:

٣و٥، ٣: ١٦و١٩و٢٤، ٤: ١٣، ٥: ٢).

«روح الله»: τὸ πνεῦμα τοῦ Θεοῦ

هنا فقط في كتابات ق. يوحنا. وقد جاءت في (٤: ١٣) «من روحه» ἐκ τοῦ πνεῦματος αὐτοῦ

«يعترف»: ὁμολογεῖ

الاعتراف بأن المسيح جاء في الجسد هو الاختيار الذي اقترحه، فإذا قارنّا هذا بالقديس بولس نجده يقول هكذا:

+ «لذلك أُعرِّفكم أن ليس أحد وهو يتكلَّم بروح الله يقول يسوع أناثيما. وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاَّ بالروح القدس.» (١كو ١٢: ٣)

فكلمتا «المسيح يسوع» لا تنفصلان عند القديس يوحنا، وذلك لأن الهراطقة رفضوا الاعتراف بشخصية وحقيقة الإنسان يسوع، وقالوا إن المسيح له وجود سابق اتحد بالإنسان يسوع، والمسيح كقوة أعظم استقرَّ عليه وقت العماد على هيئة حمامة ثمَّ تركه قبل أن يدخل الآلام.

ولكن الرسول هنا في الرسالة لم يوضِّح شيئاً من هذا، ولكنه دحض نتائج هرطقاتهم التي هي من إبليس، والذي جاء في إنجيل ق. يوحنا يوضِّح هذا:

+ «فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به إن ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي ... أنتم من أب هو إبليس ...» (يو ٨: ٣١و٤٤)

وعلى هذا الفكر بنى ق. يوحنا ما يقوله هنا لأنهم ينكرون أن يسوع هو المسيح المتجسِّد، وهذا أصل الخطأ. فكل الاعتراف المطلوب هو أن يؤمنوا بأن يسوع هو المسيح متجسِّداً. إنسان حقيقي عاش على الأرض بحياة بشرية حقيقية تحت كل مظاهر الإنسان الحقيقية وشروط الإنسان، وهو أيضاً المسيَّا السابق الوجود الذي أظهر مجد الله في هيئته. وفي الآية (٣) ما يوضِّح ذلك. وهو يطلب مجرد اعتراف وليس البحث في حقيقة التجسُّد ولكن الاعتراف بالمسيح المتجسِّد.

«قد جاء في الجسد»: ἐν σαρκὶ ἐληλυθότα

تعبير يؤكِّد طريقة مجيئه أنها «في الجسد»، لأن استعلان الله للبشر قد أُعلن بواسطة ابن الله الذي قد ظهر في الجسد في هيئة إنسان ليعيش حياة بشرية، وإن هذا قد جاء في هذه الهيئة لكي يكون ممكناً للبشر أن يدركوه. ونتائج هذا التجسُّد ظلَّت ثابتة كما يظهر من كلمة «قد جاء

«ἐληλυθότα». وهي في زمن المضارع التام الذي يعبِّر عن فعل حدث ولا زال حدوثه قائماً، بمعنى أن المسيح قد جاء في الجسد وهذا المجيء لا زال قائماً موجوداً حتى الآن وإلى الأبد. فهذه الكلمة تتضمَّن دحض ادعاء الغنوسيين بأن المسيح قد فارق يسوع قبل الآلام. فالإيمان كله يتحطَّم لو لم يكن المسيح هو نفسه يسوع، شخص واحد بذاته.

هذه الحقيقة التي حاد عنها الغنوسيون واضحة من أول يوم بشَّر فيه الملاك القديسة العذراء مريم في الأناجيل:

+ «فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع. لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم.» (مت ١: ٢١)
فيسوع الإنسان المولود يعمل عمل المسيَّا «يخلِّص شعبه من خطاياهم».

كذلك في إنجيل ق. لوقا:

+ «الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تُظلِّلك. فلذلك أيضاً القدوس **المولود منكِ** يُدعى **ابن الله**.» (لو ١: ٣٥)
+ «وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه **يسوع**. هذا يكون عظيماً **وابن العلي يُدعى**، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية.» (لو ١: ٣١-٣٣)

على أن كلام القديس متى الذي استعاره من إشعياء النبي: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (مت ١: ٢٣، إش ٧: ١٤)، يزيد كل هذا الكلام تأكيداً أنه هو المسيَّا، الله ظهر في الجسد! فخروج الهراطقة عن هذا الإيمان هو عملية هدم للإيمان بواسطة رُسُل شيطانيين يودون أن يهدموا الحق كله منذ اليوم الأول من الحبل به: «من أحشاء أمي ذكر اسمي.» (إش ٤٩: ١)

ولكن شكراً لله أن كل هذه الهرطقات قد بادت وباد صانعوها، وبقي الحق ثابتاً كما كان من اليوم الأول.

٤: ٣ «وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ».

يُلاحَظ هنا أن ق. يوحنا يتكلَّم عن المقاومين للإيمان الصحيح أنهم: «هذا هو روح ضد

المسيح»، ولم يقل الضد للمسيح. إن روح الضد للمسيح هو الذي يعمل الآن في العالم تمهيداً لظهور الضد للمسيح نفسه. وروح ضد المسيح يعمل في أعوان كثيرين الآن. ولكن الضد للمسيح واحد وهو عتيد أن يُجبَر على الظهور ليأخذ نهايته، ولو أنهم يُحسبون أضداداً للمسيح كثيرين الآن ولكن الضد الأعظم آتٍ لا محالة في نهاية زمانية.

ولكن شكراً لله أنه أعطانا منذ اليوم الأول رسلاً عظماءَ حقًّا وآباءً قديسين مدافعين عن الحق، وروح الله قد آزرهم فوصل إلينا الإيمان المسيحي طاهراً كالشمس، نقيًّا صافياً لا شائبة فيه، عَبَر على محاكم ومجامع واختبارات كان الروح القدس حارساً لها جميعاً. ونعيد إلى ذهن القارئ أن قول ق. يوحنا في الاختبار الذي وضعه لفرز الحق من الباطل أن المسيح مسيًّا قد جاء في الجسد has Come. هنا الفعل في المضارع التام ليوضِّح أنه قد جاء في الجسد ليبقى فيه إلى الأبد، فقد عبر به، أي بهذا الجسد، الموت والقيامة وجروحه عليه وصعد به أيضاً إلى أعلا السموات وجلس به عن يمين الآب بانتظار المفديين الذين له على الأرض حتى يكمِّلوا الشهادة ويلتحموا به. فالجسد لم يفارقه لحظة واحدة ولا طرفة عين.

وكأن المسيح كان عارفاً بهؤلاء النكرات الذين سينكرونه «كل مَنْ يعترف بي قدَّام الناس أعترف أنا أيضاً به قدَّام أبي الذي في السموات. ولكن مَنْ ينكرني قدَّام الناس أنكره أنا أيضاً قدَّام أبي الذي في السموات.» (مت ١٠: ٣٢و٣٣)

والقديس بولس الرسول يشترك فيما يقوله ق. يوحنا ولكن في السابق بقوله أن الضد للمسيح يعمل الآن في العالم إلى أن يُستعلن الأثيم نفسه:

+ «أما تذكرون أني وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا. والآن تعلمون ما يحجز حتى يُستعلن في وقته. لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ سيُستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه.» (٢تس ٢: ٥-٨)

(ب) نصرة أولاد الله: [٤: ٤-٦]

٤: ٤ «أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ».

يقصد الرسول أنهم إذا كانوا في الحق في أنفسهم فليس لهم ما يخافونه من فعالية هؤلاء أضداد

المسيح الكثيرين الذين يعملون بروح ضد المسيح في العالم، لأنهم بميلادهم الجديد من الله كمسيحيين فقد اختبروا أنهم قد حصلوا على النصرة فوق هؤلاء الأنبياء الكذبة. وثمار النصرة هم أنفسهم في حقيقتهم، ولكن النصرة لم يكتسبوها بأنفسهم، بل الله هو الذي حارب عنهم لأنه فيهم، والله أعظم من العدو الشيطان الذي يحكم في العالم. فالأنبياء الكذبة هم من العالم وهو سيد عليهم وعلى أفكارهم وعقولهم، وتعاليمهم مستقاة من غشه وليس من استعلان الله الذي أظهره الابن، لذلك يقبلهم الذين من هذا العالم وعلمائه، والشبيه يرتبط بالشبيه. أمَّا القديس يوحنا والمعلِّمون الذين يعلِّمون بتعاليمه يدركون أن علمهم ومعرفتهم هي من الله وبالروح القدس الذي يعرِّفهم كل الحق ويذكِّرهم بكل ما قاله الرب يسوع. والذين من الله يعيشون بالله ويتعلَّمون منه العلم الذي أعطاه ابنه لهم. وهذا يرفضه العالم لأن العالم ليس من الله وكذلك كل الذين للعالم، لذلك لن يتعلَّموه أبداً. من هذا نعرف الروح الذي من الله والروح الذي من العالم، الحق من الكذب.

«أنتم»: ὑμεῖς

أولاده الذين استقبلوا تعاليم ق. يوحنا بالفرح وآمنوا بكل ما قيل لهم، أولاده الذين انفصلوا عن معلِّمي الكذب وغلبوهم بإيمانهم.

«من الله»: ἐκ τοῦ θεοῦ ἐστε

+ «فقال لهم أنتم من أسفل أمَّا أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم أمَّا أنا فلست من هذا العالم.» (يو ٨: ٢٣)

+ «أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم ... ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم.» (يو ١٧: ١٤و١٦)

وقول القديس يوحنا «أنتم من الله» يقصد بالأكثر كونهم ليسوا من العالم بل إن اعتمادهم روحي هو، ومصدر تعليمهم وحياتهم هو الحق، يستمدون منه كل إيحاءاتهم وإلهامهم الذي يسود على تفكيرهم وأعمالهم. كما يقصد أنهم من الله قد أخذوا تجديدهم الروحي الذي بحسب الحقيقة المسيحية وخبراتها الصادقة. أمَّا الذين من العالم فهم الذين حتى ولو كانوا مسيحيين بالاسم فهم يستمدون قيادتهم من المجتمع الإنساني المعروف أن نظامه بعيد عن الله.

«وقد غلبتموهم»: νενικήκατε

ببقائكم في الحق المسيحي الذي تعلَّمتموه من البدء. «لأن الذي فيكم ...» أي أنكم لم تغلبوا

من أنفسكم، ولكن الذي فيكم وهو الله أعظم من الذي فيهم وهو روح الضد للمسيح الذي في العالم. لأن الذي غلب العالم حقًّا هو المسيح وقد أعطانا هذه الغلبة: «حتى كما هو مكتوب مَنْ افتخر فليفتخر بالرب.» (١كو ١: ٣١)

+ «كلَّمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم.» (يو ١٦: ٣٣)
+ «ويعتق أُولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية.» (عب ٢: ١٥)

فالموقعة بين الحق والباطل قد تحدَّدت وانتهت مبدئياً، ولكنها لم تنته بعد، ولكن بالإيمان يغلب المسيحيون كشركاء في غلبة المسيح التي تمَّت على الصليب. لذلك يقول ق. يوحنا وهو مطمئن «إن الذي فيكم» وهو الروح القدس روح الحق، روح الغلبة «أعظم من الذي فيهم» أي روح الشيطان وقوَّة التزييف والغش.

٤: ٥ «هُمْ مِنَ الْعَالَمِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ يَتَكَلَّمُونَ مِنَ الْعَالَمِ، وَالْعَالَمُ يَسْمَعُ لَهُمْ».

في الآية (٢: ١٩) يقول ق. يوحنا إنهم «ليسوا منَّا» كمعلِّمين كذبة، والآن يقول: من أي مصدر نبعوا؟ «من العالم» الذي من طبيعة ضد طبيعة المسيح، يستمدون تعاليمهم من الشيطان لأن استعلان التعليم يتبع مصدره، يتكلَّمون بما يمنحهم العالم من علم. ولكن هؤلاء المعلِّمين الكذبة كانوا منا ولكنهم لم يكونوا منَّا، وإلاَّ لكانوا قد بقوا معنا. ولكن لأنهم ليسوا منَّا بل من العالم، فقد خرجوا منَّا وذهبوا إلى العالم الذي أخذوا منه ليعطوه، فوافقهم واستحسنهم وفي المقابل أبغض المؤمنين واضطهدهم لأنهم يدينون كذبه وكذبهم: «الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو ١٢: ٣١)، ويُطرح معه كل مَنْ كان له، وحتى العالم الذي سار وراءه.

ولكن لماذا يكون القادة والمعلِّمون الكذبة من العالم؟ ذلك لأنهم قد اتخذوا من فلسفة العالم أساساً لتحريف حقيقة الإنجيل، فتعاليمهم مصبوغة بأعظم فلسفة للعالم، فلم يُبقوا حقائق الإنجيل في وضعها الروحي العالي المتعالي على أفهامهم لأن فلسفتهم فلسفة عالمية، ولكن الإنجيل يخلو تماماً من أي فكر عالمي، فأصبح تعليمهم مناسباً لخط تفكير العالم المستحدث، ومخالفاً للحق الإلهي الذي في الإنجيل الذي يخاطب القلوب والضمائر. ولأن الإنجيل هو كلمة الله فقد أصبح أولاد الله أبناء الإنجيل بالضرورة. الإنجيل نور وهؤلاء أبناء النور، والروح القدس العامل بالكلمة عامل في قلوب وأفكار مَنْ حفظوا كلمة الله وصارت هي حياتهم. الروح القدس يشهد لأولاد الله أنهم حقًّا أبناء

الله، فأصبحوا هم شهود الله أيضاً، ولم يعد روح الضلالة قادراً أن يتغلغل إيمانهم، فذهب هؤلاء الكذبة بكذبهم وسيزول العالم بكذبه ولن يبقى إلاَّ الحق ومَنْ تمسَّك بالحق أمس واليوم وإلى الأبد. نحن في سنة ألفين وعبرناها للألفية الثالثة، ولا يزال حق الإنجيل قائماً كاليوم الأول. ولكن الأعجب أن المسيح يظهر اليوم بوجهه هو هو وجروحه هي هي ونوره هو هو، وقوَّته الإعجازية في المؤمنين هي هي، كما ظهر لتوما يظهر اليوم وثقب المسمار في يده!

٤: ٦ «نَحْنُ مِنَ اللهِ. فَمَنْ يَعْرِفُ اللهَ يَسْمَعُ لَنَا، وَمَنْ لَيْسَ مِنَ اللهِ لاَ يَسْمَعُ لَنَا. مِنْ هذَا نَعْرِفُ رُوحَ الْحَقِّ وَرُوحَ الضَّلاَلِ».

هنا يقصد القديس يوحنا بكلمة «نحن» ἡμεῖς معلِّمي المسيحية وليس الجميع - الذين يخصّهم بالمخاطب «أنتم» - لأنهم يعرفون من أين يأتي إلهامهم وحياتهم الجديدة وعملهم، وأنهم سيُقبَلون فقط من أُولئك الذين ابتدأوا يعرفون الله والطريق إلى الحياة الأبدية.

+ «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو ١٧: ٣)

«مَنْ يعرف الله»: ὁ γινώσκων τὸν Θεόν

تساوي تماماً «الذين من الله»، ولكن تمتاز بأنهم قد بلغوا أيضاً إلى معرفته الحقيقية التي تأتي من الشركة معه وخبرة الحياة.

هذا مقابل الذين ليسوا من الله، الذين لا يعرفون الله ولا يرحبّون بالحق، لأن المبادئ التي تقود تفكيرهم لا تأخذ أصولها من الحق. وهنا يقابل الكنيسة بالعالم.

«من هذا»: ἐκ τούτου

+ «من هذا (الوقت) رجع كثيرون ...» (يو ٦: ٦٦ حيث كلمة الوقت مضافة في الترجمة للتوضيح وغير موجودة في الأصل اليوناني ولكنها تعبير يوناني قديم).

+ «من هذا (الوقت) كان بيلاطس ...» (يو ١٩: ١٢ حيث كلمة الوقت مضافة أيضاً كما في الآية السابقة).

في كل هذه المواضع لا تحمل هذه العبارة المعنى الزمني. وهذا الاصطلاح ورد هنا ولم يرد مرَّة أخرى في الرسالة ولا في الإنجيل مع كلمة «نعرف». وهي تفيد الامتحان أو الاختبار المباشر لمعرفة

أيّ روح هي، فهي تحتاج إلى درجة من التفكير والذكاء ليقرِّر الإنسان ما تلقَّاه من المعرفة إلى أي ناحية تتبع. والاختبار هنا هو أن الرسالة تُقبل بفرح من الذين هم من الله ويعرفون الله، والأخرى يقبلها الذين من العالم وليست لهم أي دراية بالحق:

+ «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم.» (يو ١٥: ١٩)

«نعرف»:

في بداية الآية كلمة «نحن» ἡμεῖς كانت تعود على القديس يوحنا ومعلِّمي الحق وليس على العامة كما سبق أن أشرنا، ولكن لأن القديس يوحنا يكلِّم هنا العامة، أصبحت كلمة «نعرف» تخص كل الذين يحدِّثهم، ومعهم أيضاً تلاميذ ومعلِّمو الحق أينما كانوا، الذين يجمعهم مع نفسه بكلمة «نعرف».

«روح الحق»: τὸ πνεῦμα τῆς ἀληθείας

هو روح الله الذي يحمل جوهر الحق، أمَّا روح الضلال فهي روح الشيطان التي يحملها الضد للمسيح المميَّزة بالغش والخداع والكذب «لأنه كذَّاب وأبو الكذَّاب» (يو ٨: ٤٤) الذي يقود الناس إلى الضلال.

+ «ولكن شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين، ويُظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان. لأننا رائحة المسيح الذكيَّة لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة. ومَنْ هو كفؤٌ لهذه الأمور. لأننا لسنا كالكثيرين غاشين كلمة الله، لكن كما من إخلاص بل كما من الله نتكلَّم أمام الله في المسيح.» (٢كو ٢: ١٤-١٦)

+ «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو ١٤: ١٧)

٦ – محبة الله وثقتنا – شهادة الروح

[٤: ٧–٥: ١٢]

(أ) محبة الله ومحبتنا لبعضنا البعض: [٤: ٧–١٢]

٤: ٧و٨ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ».

هنا ق. يوحنا يدعو أولاده الأحباء للمحبة المشتركة بينهم، ولكن على طبيعتها الحقيقية كما استعلنت في التجسُّد: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ...» (يو ٣: ١٦). فالمحبة الحقيقية ليست بمجرَّد صفة تُمتلك، ولكن المحبة تستمد طبيعتها الأصلية من الله. أمَّا المحبة البشرية فهي انعكاس للمحبة التي في طبيعة الله وصادرة منها. فوجود هذه الطبيعة في الإنسان توضِّح أن الإنسان قد حاز واختبر الميلاد الجديد من الله، وقد أصبح يشارك الله بالفعل في الحياة العليا التي في الله. فإن غابت المحبة فلا يمكن أن توجد حتى أي بداية لمعرفة الله، لأن المحبة هي طبيعة الله وجوهر كيانه التي ظهرت واستُعلنت لنا في الابن «الآب يحب الابن» (يو ٣: ٣٥). ومحبة الله قد استُعلنت فينا لَمَّا أرسل الله ابنه الوحيد المحبوب الذي يحمل كامل طبيعته فأصبح هو الوحيد الذي يستعلن هذه المحبة للإنسان الذي في العالم، ولكن بقصد معيَّن وهو أن يجعل الإنسان قادراً أن يشترك في الحياة الروحية العليا التي يعطيها الله في المسيح. وطبيعة المحبة الصادقة الحقيقية تستعلن للذين بدأوا الشركة في هذه الحياة العليا.

فالمحبة الحقيقية جوهر يعطي ذاته، لا تبقى وحدها، هي مِعطاءة بغير مقابل وليس لكي تأخذ، كما أعطى الله المسيح ابنه، لا في مقابل محبة من الناس أعطوها لله، ولكن كهدية للذين قدَّموا له العداوة واستعلنوها علناً من نحوه، هذا لكي يمحو هذه العداوة وكل عائق يحجز الله عن الإنسان.

«أيها الأحباء»: Ἀγαπητοί

النداء المحبَّب لدى ق. يوحنا لأولاده، وقد تكرَّرت في الرسالة عشر مرَّات، ولو أنها لم ترد في الإنجيل، وقد اعتادها في مخاطبة سامعيه أو قارئيه، خاصة عندما يدعو إلى أفكار فُضلى ومشاعر

جميلة من نحو قرَّائه. أو كما يعبِّر عن ذلك ق. بولس الرسول: «لكي ينير أعين قلوبهم (بحسب الأصل اليوناني)» (أف ١: ١٨). والكلمة تشرح نفسها، فهي دعوة إلى أساس المحبة المشتركة التي يمكن التكلُّم عنها مباشرة بين الذين يحبّون الله أو المحبوبين منه.

«لأن المحبة هي من الله»: ἡ ἀγάπη ἐκ τοῦ Θεοῦ ἐστιν

والإنسان أصلاً مخلوق على صورة الله كشبهه، فأفضل ما فينا وإدراكنا لله هو انعكاس آتٍ من الله لكن تحدّه قدراتنا المحدودة. فالطبيعة الحقيقية للحب لا يمكن إدراكها إلاَّ إذا استقصيناها حتى مصدرها خارج طبيعتنا البشرية. فالمحبة أصلها أبوي، مصدرها الوحيد هو الله «الذي منه تُسمَّى كل عشيرة (أبوَّة) في السموات وعلى الأرض» (أف ٣: ١٥). لهذا فالمولودون من الله هم وحدهم الذين تنسكب فيهم محبة الله التي في المسيح الابن الوحيد المحبوب.

«وكل مَنْ يحب فقد وُلِدَ من الله ويعرف الله»: πᾶς ὁ ἀγαπῶν

حقًّا وإلاَّ فكيف يحب والمحبة الوحيدة هي من الآب؟ هنا المحبة لا تأتي بسبب الميلاد الجديد من الله ولا من معرفة الله، ولكن بعثاً منها يأتي الميلاد الثاني والمعرفة الجديدة والحق من الله. فالمسيح لمَّا خرج من حضن الآب خرج ومعه وفيه محبة الآب، فلمَّا أخذ لنفسه جسدنا اشتركنا فيها أي في محبته، في موته لأنه مات حبًّا، وفي قيامته لأنه قام ونحن فيه فوُلِدنا جديداً للحياة الأخرى. أخذنا في القيامة خلقتنا الجديدة لحياة عليا أخرى، حياة الآب الأبدية وفيها حب الآب، لأن الحب لا ينفصل عن الحياة. لذلك أصبح الحب، أو المحبة، وجودها هو الاختبار الأعظم الذي به ندرك أن الإنسان حاصل على المحبة التي من الله وهو حامل الحق والله. لهذا فعسير أن نُدرك إن كان ق. يوحنا يصف العلاقة بين الميلاد من الله ومعرفة الله أن الأُولى سبب والثانية فعالية، أم الأُولى هي فعالية والثانية سبب. لأن الذي يحب يكشف أنه قد اختبر ومارس الميلاد الجديد من الله الذي هو البدء والباب لحياة مسيحية حقّة، وأن تأثيرها هو دائم وثابت وممكّن - كما يكشف القديس يوحنا أنه قد دخل هذه الحياة التي تحوي في تدرجها معرفة الله.

ولكن إن كانت هذه الحياة للمعرفة تبدأ قبلاً ثمَّ تقود إلى الميلاد الجديد، أو تبدأ فقط بعد أن يتم الاختبار والممارسة ويكون الميلاد هو سببها. هذا لم يوضحه ق. يوحنا.

ثمَّ يأتي القديس يوحنا في الآية (٨) للوضع المخالف لما جاء في الآية (٧).

«ومَنْ لا يحب»:

يظهر من البدء عجزه عن أن يحب، فلذلك عملية المعرفة يستحيل أن تبدأ.

«لأن الله محبة» (١يو ٤ : ٨): ὅτι ὁ Θεὸς ἀγάπη ἐστίν

المحبة ليست فقط صفة الله، ولكنها جوهر طبيعته وكيانه، أو أن المحبة تشرح أعلى إدراك يمكن لنا أن ندركه من هذه الطبيعة. فإذا جمعنا هنا كلمة «الله محبة» على ما جاء في الآية (١يو ٤: ١٦): «ونحن قد عرفنا وصدَّقنا المحبة التي لله فينا. **الله محبة**. ومَنْ يثبت في المحبة يثبت في الله»، تكون بذلك المحبة هي أصدق تعبير عن الله، أي أعلى تعبير يشرح إدراك الله، فهي تفوق كل حدود للأديان الطبيعية. وطبيعة المحبة في الله لا تُقارَن بأي مفهوم آخر، ولكن تقف لتعني القوة العُليا والفعل الفعَّال. وهذا المدخل لمعرفة الله يفتح طريقاً جديداً للتعرُّف على الدين المسيحي المؤسَّس على حقيقة الله وما يترتَّب عليه في الحياة الأخلاقية.

والدعوة التي يدعوها القديس يوحنا لمحبة بعضنا البعض هي أقدس دعوة للمسيحيين الذين يُدعون أولاد الله، لأن المحبة هي الله، أي أن الله هو ملء المحبة إلى أكمل حدودها. فإنه إن كان الله محبة، فالذي يعيش المحبة يتحتَّم أن يولد من الله ويعرفه. وأن نولد من الله لا يكون بأن نحب، ولكن المحبة تتبع الولادة من الله. وارتباط المحبة بمعرفة الله توضِّح أي معرفة هذه.

لذلك فالمحبة التي يتكلَّم عنها الرسول يوحنا هي عينها التي يتكلَّم عنها القديس بولس. هي "محبة إعطاء الذات". فالمحبة ليست اكتسابية، المحبة هنا هي عكس الحب العاطفي ἔρος وهو الحب الذي يمتلك وهو معروف أنه حب سلبي، في حين أن الحب الإنجيلي في المسيحية يتمتَّع بخاصية احتراق العاطفة من أجل حياة الآخرين وخيرهم. ومنبعه إلهيٌّ هو، لأن الله محبة، والله قد بذل ابنه من أجل محبة العالم، والمسيح قد ذبح ذاته على الصليب حبًّا في الخاطئ ليقيمه من موت الخطية. على هذا النمط والأسلوب مطلوب أن نحب بعضنا بعضاً، فأولاد الله يتحتَّم عليهم أن يقيِّموا ويُنمّوا طبيعة الآب فيهم بأن يحبوا بعضهم بعضاً، محبة العطاء والبذل، إن لم يكن الأبوي فالأخوي. فالذين يحبون على هذا المستوى المعطائي الباذل المحترق من أجل الآخرين، فهؤلاء يعرفون الله ومعرفتهم مستمدَّة من الله.

وأن نعرف الله معناه أن نعلن حبَّه ونبرهن على معرفتنا بحبِّنا: «إن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به» (١يو ٤ : ٩). هذا العمل الإلهي للآب هو الذي يعطي المعنى الحقيقي لمحبته المطلقة.

والقديس أغسطينوس يقول:

[لو كان الروح القدس لم يعلن لنا شيئاً آخر في صفحات الإنجيل غير أن الله محبة، فهذا يكفي.](١)

٤: ٩ «بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ».

«بهذا» تشير إلى الكلام الآتي، فالطبيعة الحقيقية لمحبة الله قد استُعلنت عندما رأينا وفهمنا وأدركنا كيف أرسل الله ابنه ليتجسَّد كإنسان حاملاً الحب والحياة التي في الله لنا، لنحيا حياته ونحب بحبِّه. فهل يمكن أن الله يعمل أعظم من هذا العمل؟ «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

والمعنى هنا حسَّاس وعجيب: إذ لم يقل: "أظهر محبته لنا"، ولكن: "أُظهرت محبته فينا"، فالفارق هائل، لأنه إن كان قد أظهر محبته لنا فنحن نحتاج أن نأخذها وأخذها استحالة، ولكن قد أظهر محبته **فينا** فلم يعد لنا حاجة أن نبحث عنها خارجنا، لأنه قد جعلها ظاهرة مستعلنة في صميم طبيعتنا الترابية: «والنور يُضيء في الظلمة» (يو ١: ٥)؛ «الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً» (مت ٤: ١٦). فمحبة الله جاءت وعملت فينا كحياة في موت، كنور في ظلمة. كجهل مطبق انفتح على إدراك الحق. المحبة انتشلتنا من عالم الموت والضلالة إلى عالم الحياة والحق، كيف؟ بأن أرسل الله ابنه حاملاً نور الآب وحياة الآب وحب الآب ومعرفة الآب إلى عالم الإنسان، ليسكن في جسد الإنسان هنا، جسد البشرية. فالبشرية وهي عائشة في عالم الظلمة القلبية والفكرية والروحية تئن من ثقل الغربة عن الله، فجأة دخلها الابن حاملاً نور الآب وحبه وحياته ومعرفته، فاستيقظت البشرية قليلاً قليلاً من رقادها الزمني، وانفتحت عينها القلبية أي انفتح ذهنها الروحي واستضاء وعيها الجديد، فابتدأت تعرف النور وابتدأت تحيا وتحب، فعرفت مصدر هذه الحياة الجديدة التي دخلتها بملئها الإلهي، فامتلأت بكل ملء المسيح، وانفتحت على كنوز المعرفة والفهم الإلهي وأدركت كل ما للآب في المسيح، وتسلَّمت الحب من مصدره وابتدأت تحب الآب. ليست هي التي ابتدأت تحب الآب، ولكنه هو الذي أحبَّنا أولاً ونحن في غربة العداوة والبُعاد.

وهنا في هذه الآية تأتي كلمة τὸν μονογενῆ أي وحيده، ابنه الوحيد، لأن الله واحد آب وابن، ليس واحداً عددياً، لأن الواحد العددي يمكن أن ينقسم نصفين ولكنه واحد مطلق، أي واحد في ذاته،

(1) Cited by Alfred Plummer, *The Epistles of St. John,* p. 101.

غير منقسم ولا متعدِّد. لأن حب الآب للابن هو كل كيان الآب الذاتي، وحب الابن للآب هو كل كيانه الذاتي، فالذي وحَّد الآب بالابن هو حبهما المطلق، هو حب واحد وآب واحد وابن واحد. والحب هو الحياة في جوهرها، فالآب له حياة وحب في ذاته، والابن له حياة وحب في ذاته، ولكن هي حياة واحدة وحب واحد وذات واحدة للآب والابن، الله واحد. فلمَّا تجسَّد الابن في جسد الإنسان وهب كل الذي له للإنسان، وكل الذي له هو كل الذي للآب (راجع يو ١٧: ١٠):

+ «بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح، الذي منه تسمَّى كل عشيرةٍ (أبوَّة) في السموات وعلى الأرضِ. لكي يُعطيكم بحسب غِنَى مجدهِ، أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن (الإنسان الجديد)، ليحِلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبةِ، حتى تستطيعوا أن تدرِكوا مع جميعِ القديسين، ما هو العرض والطول والعمق والعلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفةِ، لكي تمتلِئوا إلى كل مِلءِ الله.» (أف ٣: ١٤-١٩)

من محبة إلى معرفة إلى ملء. ولكن محبة المسيح فائقة المعرفة، أي لا تُدرَك بالفكر البشري لأنها محبة جاءت من فوق. فإن بلغنا محبة المسيح أي المحبة الفائقة المعرفة نكون قد بلغنا إلى كل ملء الله، أي ملء الآب وملء الابن في الحب والحياة والمعرفة.

وهكذا رأينا باختصار أن استعلان حب الآب ظهر بإرسال ابنه الوحيد ليتجسَّد بجسد إنسان. ثمَّ باستيعاب حب الآب الذي أتى به الابن من عند الآب، أي استيعاب محبة المسيح وهي محبة غير خاضعة للعقل إذ هي فائقة للعقل؛ نكون قد بلغنا إلى إدراك ملء الله، أي كل ما للآب وكل ما للمسيح.

ولكن نفهم من قول القديس يوحنا أنه قَبْل إرسال الابن إلى العالم كانت محبة الآب مخفية غير مُدرَكة على الإطلاق، غير معروفة وغير ممكن وصفها أو إدراكها. ولكن بمجرَّد مجيء الابن الوحيد وتجسُّده أدركنا محبة الآب لنا، بأن صرنا شركاء حياة البركة أو الإنعام فيه. وهنا لأول مرَّة يذكر «الابن الوحيد» في الرسالة، ولكنه تعبير مذكور بتكرار في الإنجيل.

١٠:٤ «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا».

المحبة الحقيقية لا يشوبها عيب الذاتية، وهي ليست مجرَّد إجابة لحب الآخرين لنا، ولكن المحبة تهب ذاتها. فإرسال الله لابنه الوحيد ليس هو استجابة لسؤال أو إجابة لدعاء أو ردًّا لمحبة من الإنسان، ولكن محبة الله كانت خروجاً من طبيعة الله مع خروج الابن. وكما تقول أناشيد

سليمان(٢) (٣: ٣و٤): "لم أكن أعرف كيف أُحبُّ الرب إن لم يكن قد أحبَّني، لأنه مَن ذا القادر أن يميِّز المحبة إلاَّ الذي صار محبوباً". أي لمَّا بلغتنا محبة الآب استطعنا أن نعرفها ونميِّزها.

ولكن الله لم يكن ممكناً أن يرسل لنا محبته ونحن قد حجزتنا الخطية عن الله ووقفت مانعاً. من أجل هذا جاء الابن ليرفع حاجز الخطية والتعدِّي بالكفَّارة ἱλασμόν أولاً، لتتدفَّق تبعاً لذلك محبة الله في الذين غُفرت لهم خطاياهم، ورُفع عنهم حاجز الظلمة، وتمَّت المصالحة على يد الذي دخل إلى الآب كسابق من أجلنا، حاملاً في دمه الكفَّارة فوجد لنا فداءً أبدياً، وحبًّا من الله ورحمة، فكان الله هو البادئ والمكمِّل، بدأ بالكفَّارة وأكمل بالحب فدخلنا الحياة والمحبة الإلهية. ولولا موت الابن على الصليب ما كان لنا حياة في قيامة ودخول إلى مجد. فالابن قد أكمل الكفَّارة بشرب كأس الموت على الصليب حتى آخر نقطة من نزيف الدم، وأوسد الجسد المثخَّن بجراح الموت في القبر ليكمِّل عقوبة الموت كما ينبغي حسب أصول الموت وقوانينه، ليقوم بعدها ناقضاً أوجاع الموت، كاسراً شوكة الموت، ليتقبَّل مع الإنسان قيامة الحياة الجديدة التي تجسَّد من أجلها ليهبها للإنسان حسب وصية الآب، حياة جديدة كل الجدَّة، لا يشوبها موت بعد ولا خطية، بل مصالحة مهيَّأة لاندفاق حب الآب بلا كيل، ومع الحب الأبوي شركة حياة تدوم.

هذه الآية ثمينة لأنها تحمل سر الخلاص والمصالحة والمجد في جملة، ومفتاحها السرِّي في الكلمة الأُولى وهي المحبة. فلولا أن الله قد أحبَّنا أولاً وسابقاً ما كان يمكن أن ينفتح لنا طريق الحياة الذي وقف يحرسه الشاروبيم بسيف لهيب نار متقلِّب منذ يوم سقوط آدم المشئوم، لأنه كان محرَّماً على إنسان أن يقترب من شجرة الحياة وهو عليه الخطية وحكم الموت:

+ «وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منَّا عارفاً الخير والشر. والآن لعلَّه يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن... وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلِّب لحراسة طريق شجرة الحياة.» (تك ٣: ٢٢-٢٤)

واليوم ــ يوم القيامة التي قامها المسيح من الموت ونحن معه ــ تخلَّى الكاروبيم عن وظيفة حراسته وانفتح الطريق، طريق الحياة الأبدية للقادم وسر الحياة يتقطَّر من جروحه، يجرُّ وراءه ذرية آدم التي

(٢) هي أناشيد مكتوبة في بداية العصر المسيحي. وتتكلَّم عن محبة الله ومحبة المسيح. وقد دُعيت "أناشيد سليمان" ليس بمعنى أنه كاتبها ولكن بمعنى أنها على نمط سفر نشيد الأنشاد المنسوب إلى سليمان.

وقعت عليها القرعة ــ قرعة القيامة ــ لتدخل معه وتمسح العار عن أبيها آدم، وعلى لسانها تهليل أبدي.

٤: ١١ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً».

إن كان الله قد أحبَّنا وبادلناه الحب بحب بنوي صادق، أصبحت لنا خبرة الحب وعطاؤه، فأصبح علينا في الحال أن نعبِّر عن هذه الخبرة بأن نحب بعضنا بعضاً، وإلاَّ فإن محبة الله لنا تتوقَّف، لأنه أعطانا من حبِّه لكي نعطيه للآخرين فنصير في صميم الشركة. لذلك أصبحت محبة الإخوة هي اختبار صادق لدخولنا في حياة الشركة مع الله ومع ابنه يسوع المسيح. ولكن الله لا يجبرنا على محبة بعضنا بعضاً وإنما هو فيض نابع أصلاً منه، فإذا توقَّف دون أن نعطيه توقَّف من طريقه إلينا، فمحبتنا لبعضنا البعض هي تشغيل الموهبة المنسكبة فينا، والمعرفة دائماً تنبع من الخبرة.

«أيها الأحباء»: Ἀγαπητοί
هذه سادس مرَّة تأتي في الرسالة، وتأتي للمرة الأخيرة.

«هكذا»: οὕτως
تدل على الطريق أو الطريقة، فإن كان الله قد أحبَّنا هكذا فقد فتح لنا الطريق؛ هكذا وبنفس هذا الطريق يجب أن نحب بعضنا بعضاً، والكلمة تحاكي تماماً ما جاء في إنجيل القديس يوحنا: «لأنه **هكذا** أحب الله العالم ...». و«هكذا» هنا جاءت مطابقة لما جاء قبلها:

+ «وكما رفع موسى الحيَّة في البرية **هكذا** ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه **هكذا** أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو ٣: ١٤-١٦)

والقديس يوحنا يستخدم هذا التعبير هنا في رسالته: «أيها الأحباء إن كان الله قد أحبَّنا هكذا، ينبغي لنا أن نحب بعضنا بعضاً». فـ«هكذا» هي التطبيق العملي لما سبق أن عمل الله وسار فيه الابن، هو أحبنا هكذا فعلينا أن نحب بعضنا بعضاً. وقد أصبح الطريق هكذا سهلاً ممهَّداً، لأنه لمَّا أحبنا الله رفع كل العوائق التي بيننا وبينه، فلمَّا طلب منَّا أن نحب بعضنا بعضاً تولَّى هو بالضرورة بالعمل السابق أن يرفع الحواجز والعوائق التي بيننا وبين مَنْ نُحب. وكما أصبحت محبة الله سهلة وآنيَّة أي لحظية بحركة القلب بالروح وباستعداد بذل الذات على مستوى مَنْ كانوا ينظرون إلى الحيَّة النحاسية فيُشفَون في الحال من عضَّة الحية السامة، هكذا أصبح الحب «انظروا إليه واخلصوا». فبمجرَّد أن نرفع القلب بالحب تؤازره النفس وكل القوة: «تحب الرب إلهك من كل

قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك» (لـو ١٠: ٢٧)، فبآن واحد يتـم الخـلاص، لأن الحـب يرفعه الإنسان كذبيحة من كل الكيان. فإن كنّا قد أصبحنا بالإيمان أولاد الله المحبوبين فكيف أمنـع المحبة عمَّن أحبَّه الله؟

ولكن الوصية في المحبة تتمادى بسبب قوَّتها وامتدادها وأصلها الإلهي المعطاء لكي تطـال العـدو أيضـاً وليس فقط أولاد ا لله: «أحبوا أعداءكم» (مت ٥: ٤٤). هنا يُعلن حب ا لله فينا عن معدنـه وجوهـره، وعن أنه حبٌّ باذل معطاء، لا يأبه بالنتيجة ولا يطلب البديل أو المبادلة، ولا ينظر إلى استحقاق أو عدم استحقاق. لأن محبة الله قد أُعطيت بسخاء حتى الموت، موت الصليب للأعداء. فمعدن المحبـة الأصلي مرَّ على الصليب وما قبل الصليب، ووصل إلينا كالعطر الفوَّاح لا نستطيع أن نكتمـه حتـى لا يشمَّه الآخرون، أعداءً كانوا أم أصدقاءَ: «لأننا رائحة المسيح الذكيَّة لله في الذيـن يخلصـون وفي الذين يهلكون، لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة.» (٢كو ٢: ١٥و١٦)

فإن كان الله قد وهبك رائحة عطرية جميلة سَرَت بين الناس، فهل تستطيع أن تمنعها عن واحـد وتعطيها لآخر؟ هكذا المحبة فهي رائحة المسيح الذكية قد حصلنا عليها من مصدرهـا الدائـم، تفـوح من عيوننا وأفواهنا وأعمالنا وتصرفاتنـا، يشـتمُّها ابـن الله فيمجِّـد صاحبهـا، ويشـتمُّها ابـن العـدو فيلعننا، ولكننا نظل نفوح برائحة المسيح وسط اللعنات، وهي قادرة أن تُعطي الحياة أو المـوت دون أن نتدخَّل.

وعطر المحبة لا يُباع ولا يُشترى، وعطر المحبة لا يستطيع أحد أن يأخذه لذاتـه فقـط، بـل هـو لا يفوح إلاَّ في حالة العطاء، فإذا لم يُعطِ المحب يفسد ولا يكون له رائحـة! ولكـن لا تُسـتنفد رائحتـه أبداً، فهو دائم الفواح يُعلن عن ذاته دون صوت أو كلام. وفي إعلانه لذاته يُعلـن عـن أصلـه ومصـدره، ولا يستطيع أحد تقليده. فالمحبة مختومة دائماً بعلامة الصليـب ولكنهـا علامـة حيَّـة إذا دققـتَ فيهـا تـرى صاحبها بجروحه.

وعطر المحبة غالي القيمة لا يُقيَّم بمال ولا متاع، فثمنه النفس التي تبذل ذاتها من أجـل الآخريـن، فيفوح منها العطر توًّا، «ومَنْ هو كفوءٌ لهذه الأمور» (٢كـو ٢: ١٦) إلاَّ الـذي وضـع ذاتـه بشـبه المسيح! «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً.» (في ٢: ٥)

٤: ١٢ «اَللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَـدٌ قَـطُّ. إِنْ أَحَـبَّ بَعْضُنَـا بَعْضـاً، فَـا للهُ يَثْبُـتُ فِينَـا، وَمَحَبَّتُـهُ قَـدْ تَكَمَّلَتْ فِينَا».

يبتدئ القديس يوحنا آيته بحقيقة قالها بحروفها في إنجيله: «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو ١: ١٨). فطالما الله قائم في طبيعته فليس للعين الرائية أن تعرفه أو تراه كما هو. والقصد هنا الرؤية الروحية أو المعرفة الروحية لأن الله فائق على مستوى البشر:

+ «الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية آمين.» (١تي ٦: ١٦)
+ «لأن الإنسان لا يراني ويعيش.» (خر ٣٣: ٢٠)

ولكن إن أحب بعضنا بعضاً فهذا معناه أننا قد حصلنا على أهم وأعظم ثمرة من ثمار طبيعته وهي المحبة، وهكذا من طبيعة الله ندرك الله وأننا قد أصبحنا في الله، فإن ثبتنا في محبتنا لبعض يكون هذا هو المدخل لثبوت الله فينا وثبوتنا فيه. بمعنى أن نحيا شركتنا مع الله. فالحب هو رباط بيننا وبين الله، وبيننا وبين مَنْ نحب، هو ألفة الشركة وفرحتها، هو دليل راحتنا في الله وراحة الله فينا: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣). فمحبة الله وحفظ كلمته تجعلنا هيكلاً جديداً لسكناه، فإن أحببنا بعضنا بعضاً تأهَّلنا لسكنى الله وثبوته فينا، وتأهَّلنا بسكناه وثبوته لمزيد من حبِّه حتى الكمال، لماذا؟ لأن طبيعة المحبة من طبيعة الله، فإن أحببنا الله وأحبَّنا الله صارت طبيعته حالّة فينا، وثبوتها فينا من ثبوت محبتنا فيه وفي أحبائنا. فطالما محبة الله حيَّة عاملة فينا فهذا معناه أننا في الله ثابتون: «سأسكن فيهم وأسير بينهم» (٢كو ٦: ١٦). وعن الروح القدس الذي هو من صميم ذات الله: «وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو ١٤: ١٧)

+ «إن حفظتم وصاياي (المحبة) تثبتون في محبتي.» (يو ١٥: ١٠)
+ «ومَنْ يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا.» (١يو ٣: ٢٤)

فإذا تكمَّلت محبة الله فينا صرنا بنعمته كاملين في محبته «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٨)، الأمر الذي يستحيل بدون محبة الله أن نحقّقه، فالذي بلغ إلى محبة الله والثبوت فيه بلغ الكمال المنشود.

أمَّا محبة الله فقد تكمَّلت فينا في ذبيحة الصليب، فنحن لا نخطف كمال المحبة بل هي عطية ذبيحة الابن من أجلنا ـ فكما توحَّدنا في الصليب وفي الموت والقيامة في المسيح، توحَّدنا أيضاً في حبِّه وأخذنا هذا الرباط، رباط المحبة، نمارسه مع بعضنا ـ كل المسيحيين ـ لندخل معاً في وحدة

الآب مع الابن. فرباط المحبة أخذناه من الصليب على المشاع لكل مَنْ آمن لنكون واحداً حسب طلب المسيح. فوحدة الإيمان في المسيح ووحدة المحبة عطية واحدة نمارسها لنكمِّل بعضنا بعضاً، لا في الجيل الواحد بل في كل الأجيال التي التهبت بالإيمان والمحبة، وصنعت معاً رغم الزمن عشاءً واحداً جديداً بشبه عشاء الخميس، هناك بقرب الجلجثة أيام بيلاطس وتحت عين قيافا وحنان. فنحن أيضاً وتحت عيون أعدائنا في العالم وفي وسط الآلام بشبه الجلجثة والصليب نقيم عشاء الرب الذي فيه أكمل المسيح حبَّه وترك لنا المثل لنذكره كل يوم ونتذكَّره ونتملأ من محبته، وهو حاضر حسب الوعد لا معنا فقط بحسب اسم عمانوئيل، ولكن فينا حسب آخر كلمة في صلاته في (يو ١٧): «وأكون فيهم». فالمحبة قائمة لا تحتاج إلاَّ استعلانها، والثبوت قائم لا يحتاج إلاَّ المجاهرة، والوحدة والشركة قائمة لا تحتاج إلاَّ الباروسيا. آمين تعال أيها الرب يسوع!

(ب) أساس ثقتنا: [٤: ١٣–١٨]

٤: ١٣ «بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ».

القديس يوحنا ينتقل من الحقائق لمعيشة الحقائق والإحساس بها:

فيلزم أن نتأكَّد أن شركة الحياة التي دعانا إليها الله في رسالة ق. يوحنا قائمة بالحق والصدق، وعلينا أن نتحسَّس الروح القدس فينا لندرك صدق المقولة والقائل. فالروح القدس لا يبقى وحده، فهو قائم فينا مع عطاياه التي ملأتنا وأشبعتنا وروتنا. فنحن نتغذَّى من نعمته ونرضع من ثدي تعزياته، وكوى السماء مفتوحة وليس متَّسع. وبماذا نكافئ الرب عمَّا أعطانا إلاَّ تسبيحاً ومجداً وهُتافاً.

وماذا يعني ق. يوحنا بقوله «إنه قد أعطانا من روحه» إلاَّ عطيته لنفسه لذاته في شخص المسيح، فأصبح روحه عاملاً فينا بقدر اتحادنا في المسيح وحبِّه «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠)، «لأن الذي أرسله الله يتكلَّم بكلام الله. لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح. الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده» (يو ٣: ٣٤و٣٥). وقوله هنا: «من روحه» لا يُجزِّئ الروح، فالعطية هي كلية أخذناها من المسيح الذي أخذ الكل ... «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩). لم يقل من الروح القدس بل «من روحه» تعبيراً عن ذاته، ولا يعبِّر عن ذاته إلاَّ المسيح الحامل لكل ما عند الآب وروحه.

«ولكن الذي يثبِّتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله» (٢كو ١: ٢١)، «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٦). هذا الثبوت أهم ما فيه أنه متبادل وهو الذي يقدِّمنا

بالروح إلى الآب لنكمِّل ثبوتنا فيه بالروح الذي أعطانا. لأن المسيح يثبِّتنا فيه ليكمِّل ثبوتنا في الآب، ثبوتنا في المسيح بشركة جسده ودمه، وثبوتنا في الآب بروحه الذي أعطانا. لأن «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٦و١٧). ورثة مع المسيح للآب بمعنى أننا هنا ثابتون فيه وهو فينا كأولاد، بشهادة الروح!

٤: ١٤و١٥ «وَنَحْنُ قَدْ نَظَرْنَا وَنَشْهَدُ أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَ الابْنَ مُخَلِّصاً لِلْعَالَمِ. مَنِ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ، فَاللهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللهِ».

«اعترف»: ὁμολογήσῃ

كلمة "نعترف" و"نشهد" لها معنى واحد، ولكن كل واحدة في موضعها. والقديس يوحنا يقصد أمراً واحداً يشغله: وهو الابن الوحيد الذي أرسله الآب ليخلِّص العالم، من هو الإنسان الذي عاش على الأرض حياة بشرية، يسوع الذي هو هو المسيح ابن الله مسيًّا الدهور. وهو كابن وحيد لأبيه استطاع أن يستعلن لنا مَنْ هو الآب "أبوه" لكل إنسان، ولا شيء آخر في ذهن ق. يوحنا، ذلك بسبب البدعة القائمة التي تقلقه، والتي تقول إن يسوع ليس هو المسيح. فالذي يعترف بذلك، أي يجعل هذا الإيمان هو أساس مسيحيته وأعماله فليتأكَّد أنه قائم في شركة الآب والابن. والذين يعترفون بهذا وهم لم يروه يكون اعترافهم هذا هو الاختبار الذي يعيشونه كشركة حياة مع الله، فيها هذا الحب والثبوت المتبادل. كذلك هذا لا يكون حقيقة إلاَّ إذا كان هناك بالفعل حبٌّ متبادلٌ يفوق ما يمكن أن نعلنه. علماً بأنه في الحياة المسيحية يوجد التأكيد الداخلي بالروح والتأكيد العقلي الفكري الاقتناعي بالإيمان، والعمل والمحبة يثبتان هذا وذاك.

وهكذا كما قال ق. يوحنا إذا أحببنا بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا (١٢) والآن يقول إن الله يثبت أو يسكن فينا إذا اعترفنا أن يسوع هو ابن الله الذي أرسله ليخلِّص العالم. وق. يوحنا لا يشعر إطلاقاً أن هناك توتُّراً أو تمزُّقاً بين المحبة المسيحية والحق المسيحي اللذين فقد الكثيرون الصلة بينهما وخرجوا عن الإيمان المسيحي. فالمحبة الإلهية استُعلنت في إرسال الابن، ولكن إذا كان يسوع ليس هو المسيح ابن الله، كما يقول الهراطقة، وبالتالي كان موته لا يكفِّر عن الخطية، لا يكون هناك إيمان مسيحي ولا محبة مسيحية، اللذان يقفان بقوة معاً إذا كانت إرسالية الابن حقًّا. فالثبوت المتبادل أو السكنى المتبادلة بالحب الكامل والاعتراف بالحق مرتبطان ببعضهما البعض والله

هو الذي جمعهما وربطهما معاً لكي لا يمكن أن يفترقا. فإذا ثبت الإيمان المسيحي بالحق تثبت المحبة بالحق، والاثنان هما من عمل الروح.

٤: ١٦ «وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي للهِ فِينَا. اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ»

يبتدئ ق. يوحنا في الآيات القادمة يتكلّم عن صلة الإيمان والمحبة بالدينونة القادمة وطبيعة المحبة الحقيقية.

فلأن الله محبة فالذي يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه. وهذا الاختبار في المحبة يعطي التأكيد الكامل على حقيقة الشركة مع الله، لأن ذلك الثبوت استخراج طبيعي من طبيعة الله نفسها، والمحبة قد أُعطيت لنا بكمالها في المسيح. فإذا نظرنا إلى الأمام - ونحن واثقون بما قد حصّلناه - في ذلك اليوم الذي للدينونة، ونحن نعلم أن المسيح المُقام الجالس عن يمين أبيه هو ثابت في محبة الله أبيه، وهكذا نثبت نحن أيضاً في هذه المحبة بقدر ما نستطيع تحت ظروف الحياة الحاضرة، «تكون لنا الثقة في يوم الدين». فإذا لم يكن لدينا الثقة الكاملة فالمحبة إذاً لم تكمل بعد، لأن الخوف لا وجود له في المحبة الحقيقية، لأن المحبة تطرد الخوف والرعبة من دائرتها طرداً كليًّا، لأن الخوف يحمل في ذاته شكلاً من أشكال العقوبة. فالذي يحيا في الخوف لم تكمل فيه المحبة بعد.

فكيف إذاً نقدر أن نقول إننا نحب حقًّا؟ إن محبتنا بأي درجة كانت لها أصلها من علٍ خارجاً عنّا لأن أصلها من الله. والمحبة لا تأتينا إلاّ كاستجابة لحب الله لنا. ومع ذلك فمحبتنا توضع تحت اختبار واضح. لأن المحبة فعّالة، فإذا كانت حقيقية فهي حتماً تخرج إلى مَنْ هو في حاجة إليها. فإذا ادّعى أحد أنه يحب الله ولا يُظهر هذه المحبة لإخوته فإن ادعاءه ليس فقط كاذباً ولكنه يكشف عن أخلاق غاشة، فالمحبة تُظهر ذاتها أينما وُجدَ سببٌ للمحبة. فالذي لا يأخذ الخطوة الأُولى دائماً فلن يصل إلى الهدف، فإذا كان منظر أخيه المحتاج إلى المحبة لا يستدرج محبته للعمل فلن يكون له بالأحرى الحب القادر أن يحب به الله.

والموضوع مُنتهٍ مرّة واحدة بأمر السيد الرب إذ قال الوصية الأُولى والعُظمى أن تحب الرب إلهك، والثانية مثلها أن تحب قريبك كنفسك.

«نحن»: ἡμεῖς

كلمة «نحن» هنا لا تعني الرسول فقط بل تعني كل الذين يحبون.

«قد عرفنا وصدَّقنا»:

كنتيجة للإيمان السابق لأنه بالإيمان تصير المعرفة، والمعرفة هي المبدأ الفعَّال لحياتنا المسيحية، والمعرفة والحياة نابعان من الإيمان، ولكن المعرفة توضع عادة قبل الإيمان. ولكن قد يسبق الإيمان المعرفة مثل (يو ٦: ٦٩): «ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي».

«المحبة التي لله فينا»: τὴν ἀγάπην ἣν ἔχει ὁ Θεὸς ἐν ἡμῖν

هي المحبة الصادرة من الله، ليست محبتنا نحن، فهي محبة الله التي استعلنها بإرسال ابنه كفَّارة لخطايانا، فهي محبة نابعة من الله، لأن كل محبة حقيقية نابعة من الله. وهنا المحبة التي له فينا توضِّح حالة شركة. فإن كان ق. يوحنا يجعل الشركة معتمدة على المعرفة أو معتمدة على المحبة، فذلك لأن كلتا المعرفة والمحبة هما من عطايا الإيمان، اللتان بهما يتم الميلاد الجديد.

ثمَّ عاد ق. يوحنا يكرِّر الحقيقة السابقة أن الله محبة (٨) ومَنْ يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه (١٢)، وهذا أساس حياة الشركة مع الله.

وقد لُوحِظ تواز بين الآيات (٤: ٧)، (٤: ١١)، (٤: ١٦) فهي تعلن غرض المحبة وفعلها، آيات تبدأ وتنتهي بمحبة الله، وهنا أيضاً نفس التوازي، فلماذا يكرِّر القديس يوحنا حقيقة أن الله محبة هنا في الآية (١٦)، فلكي يعطي للقارئ غرض المحبة، فمحبة الله في المؤمن تعطيه الثقة وتطرد الخوف وتشجِّعه أن يسلك كالمسيح (٢: ٦).

و«الله محبة» لأن جوهره محبة ولا يتصل بشعبه إلاَّ بواسطة المحبة. وق. يوحنا يقول إن أي إنسان مؤمن يحيا في هذا الحب الإلهي فالله يحيا فيه وهو يحيا في الله. هذا هو الحد الأعلى الذي بلغه ق. يوحنا في قمة تأمُّله في الرسالة الأُولى: فمحبة الله تؤمِّن الحياة، والحياة المسيحية تعلن عن ذاتها بالمحبة!

٤: ١٧ «بِهذَا تَكَمَّلَتِ الْمَحَبَّةُ فِينَا: أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِي يَوْمِ الدِّينِ، لأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هذَا الْعَالَمِ، هكَذَا نَحْنُ أَيْضاً».

«بهذا»:

أي بجميع ما فات: «أن نثبت في الله»، و«الله فينا» تكون المحبة قد بلغت قمَّتها في تحقيق

الشركة المتبادلة، لا الشركة فقط بل الشركة الكاملة: «بهذا يتمجَّد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي» (يو ١٥: ٨). ونتيجة تكميل المحبة هي أن يكون لنا ثقة في يوم الدين. هذه علامة المحبة الكاملة.

«كما هو في هذا العالم هكذا نحن أيضاً»:

أي كما كان المسيح في أعلى حالة كاملة في الشركة مع الآب أثناء وجوده في العالم: «أنا فيهم وأنتَ فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو ١٧: ٢٣)

فالذين سيكونون مثله، أي مثل الديَّان، ينتظرون بثقة نتيجة حكمه. والشركة هنا تكون محدودة وتحت ظروف الحياة الأرضية، ولكن الذين يثبتون في الله لهم أن يتأكَّدوا أنهم لن يكونوا في حالة خوف من حضرته أو خجل في ذلك اليوم العظيم.

ففي الآية (١٧) والآية (١٨) يعطي ق. يوحنا المقابلة بين الثقة وبين الخوف، فالثقة هنا في هذا العالم هي ناتجة عن ثبوتنا في الله وثبوت الله فينا، الذي جعله مساوياً للمحبة الكاملة لأنها متبادلة بين قلوبنا وبين الله، فهذه الآية (١٧) هي عربون المجد الآتي الذي تكلَّم عنه سابقاً أننا سنكون مثله (٣: ٢)، والتي استلهمها ق. بولس من حالة البركة التي نوى الله أن يخلقنا بها جديداً في الأزلية «لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة» (أف ١: ٤). هذا وصف أزلي لما كان في نيَّة الله من جهة نهاية مصير الإنسان أمامه، بمعنى أن هذا هو الشكل Type الذي أراده الله لنا لنكون مثله أمامه إلى الأبد. هذا الشكل أو الـ Type يطفو على ضمائرنا وإحساساتنا وتفكيرنا الروحي عندما نحسب أننا قد صرنا موضع ثقة عند الله وأن الله قد رضي عنا وأحبنا، الذي عبَّر عنه ق. يوحنا بالثبوت المتبادل مع الله من جهة المحبة. فنحن في مرارة هذا العالم لا نعدم أن نرى صورتنا الحقيقية المطبوعة في قلب الله عمَّا سنكونه، وإلاَّ مَنْ كان يطيق نكد هذا العالم وإساءاته المتوالية كأعداء مع أننا أحباء الله!؟ فالله قد سبق وطبع هذه الصورة الحميمة البديعة عن حال الإنسان بعد أن يكمل أعمال خلاصه ومصالحته وحبِّه، فإذا استطعنا أن نقترب بالمحبة والطاعة وحفظ وصاياه إلى قلب الله، نعاين سرًّا حقيقة صورتنا وما سنكون عليه أمامه يوماً ما، كما قال ق. يوحنا سابقاً: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله. ولم يُظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (المسيح) نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣: ٢). هذا توضيح ما بعده توضيح لما كتبه ق. بولس الرسول في السابق عن حالتنا هناك في الأزلية لَمَّا نوى الله أن يخلق الإنسان.

+ «مباركٌ الله أبو ربنـا يسـوع المسيح، الـذي باركنـا بكـلّ بركـةٍ روحيـة في السـماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ سبقَ فعيَّننا للتبنّي بيسوعَ المسيحِ لنفسهِ، حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينـا في المحبوب.» (أف ١: ٣-٦)

هذه هي صورتنا الأصلية المطبوعة على قلب الله من جهة منتهى خلقتنا ووصولنـا إليه ووقوفنـا قدَّامه نسبِّح ونمجِّد نعمته كقديسـين وبـلا لـوم في المحبـة. هـذا يطبِّقـه ق. يوحنـا عـن طريـق المحبـة والثبوت المتبادل مع الآب والمسيح وشركة الحياة التي انفتحت علينا بالصليب والقيامـة، لأن الله لم يرد أن نكون خلائق عاطلة يحرِّكها كدُمـيٍ، ولكـن أعدَّنـا بواسـطة المسـيح لكـي نقـترب إلى قلبـه ونؤهَّل للوقوف قدَّامه وتسبيحه وشكره، بأعمال قد سبق فأعدَّها لكي نسـلك فيهـا (أف ٢: ١٠) حتى نطابق مواصفاته الأُولى التي وضعها لنا في الأزلية. لدرجة أنه يُحسب لنا أننا نبلغ هـذه القامـة التي رُسمت لنا في الأزلية عن طريق الحب والطاعة والأمانة وحفـظ أقوالـه ووصايـاه، وهـي وسـائط نعمة كلها تحمل قوة تنفيذها فيها. فمَنْ يبدأ يعملها يجد أنهـا قـد عُملـت بفعـل النعمـة الـتي تلهمـه وتحرِّكه لكي يعملها لينال أجرها مع أنه يستحيل أن عمـل الإنسـان مهمـا بلـغ يصـل إلى مسـتوى تكميل مشيئة الله بدون فعل النعمة السرِّي الخفي. ففـي الظـاهر نُظهَـر أننـا نعمـل أعمـال الله وفي الحقيقة عمل الله يستحيل على الإنسان أن يقربه أو يعملـه بـدون نعمـة الله، فبالاسـم نحـن نعمـل وبالفعل النعمة هي التي تعمل فينا وبنا لنكمِّل مشيئة الله ومسرَّته.

٤: ١٨ «لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ. لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ».

الخوف هو معبِّر عن أن الإنسان متركِّز في نفسه self-centered وهـذا عكـس مـا تحملـه المحبـة تماماً، فالمحبة تخرج بالنفس إلى خارج حتى إلى البـذل والإيـذاء والمـوت، والخـوف يحبـس النفـس في قفصها، والمحبة لابد أن تعبِّر عن وجودها بالخروج بالذات عن اختبائها. فالمحبة هي إخضـاع الـذات لمطالب المحبة في البذل وهي self-surrender، واستحالة أن ينجمـع الخـوف مـع المحبـة، فـإذا ظهـر الخوف وبدأ يُعلن عن وجوده يكون هذا معناه أن المحبة لم تكتمل، فالمحبـة لا يشـوبها الخـوف، وفي كمال المحبة مناعة ضد الخوف وقدرة إلهية قادرة أن تطرح الخوف خارج محيط النفس.

«الخوف»: φόβος

المحبة ليس فيها خوف من الله ولا حتى خوف الله كما عبَّر عنه القديس أنطونيوس في أقواله، إذ قال لأولاده: [يا أولادي أنا لا أخاف الله، فقالوا له: كيف هذا؟ قال لهم: لأني أحبُّه]. ولكن من هذا نفهم أن الخوف في ذاته هو ضد المحبة. فبنوع طبيعة المحبة أو جوهرها لا يوجد فيها شائبة من الخوف، فالمحبة في طبيعتها تطرد الخوف ولا تقبله بأي حال، ولا تحتمله. أمَّا السؤال: لماذا؟ فالجواب وضعه ق. يوحنا: لأن الخوف له عذاب، هو نوع من العقوبة قبل العقوبة الأخيرة: «فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي ...» (مت ٢٥: ٤٦)، بل إن سفر الرؤيا جعل الخوف والخائفين على رأس الداخلين إلى جهنم والمحرومين من الحياة الأبدية:

+ «مَنْ يغلب يرث كل شيء وأكون له إلهاً وهو يكون لي ابناً، وأمَّا الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني.» (رؤ ٢١: ٧و٨)

والخوف بذلك هو في حد ذاته يحمل العقوبة المفروضة عليه من الآن، لأن الخوف جذوره الأُولى هي عدم الإيمان، والمعنى عميق وهو أن المؤمن بالمسيح بحسب إنجيل ق. يوحنا يعطيه الله السلطان أن يكون من أولاد الله، والذين لا يؤمنون أي لا يقبلون الابن يظلون تحت حكم غضب الله وهذا بحد ذاته عقوبة لها أضرارها وعذابها:

+ «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو ٣: ٣٦)

بمعنى أن المسيح قد جاء ليرفع عنَّا غضب الله الذي كان واقعاً على آدم وذريته، فلمَّا صالحنا مع الله بدمه ارتفع عنَّا الغضب الإلهي كأكبر عقوبة أصابت الجنس البشري بأجمعه. فالذي يرفض الابن يرفضه الله ويُترك تحت عقوبة الغضب الإلهي. فالخائفون هم بطبيعتهم واقعون تحت غضب الله، وهذه هي العقوبة الكائنة فيهم تشهد أنهم رافضون الابن ومستحقون الدينونة.

وعكسها تماماً مَنْ هم في المحبة وثابتون في الله: «الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت» (يو ١٦: ٢٧)، «الذي يحبني يحبّه أبي» (يو ١٤: ٢١) فالمحبة لها جزاء الحياة الأبدية مع الله.

+ «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً **للخوف** بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبَّا

الآب.» (رو ٨: ١٥)

هنا المقارنة بديعة بين "العبودية" الغائبة عنها الحرية فهي دائماً تحت الخوف، وبين التبني أي حال أولاد الله الذين نالوا الحرية، حرية أولاد الله التي استمدُّوها من الحق والمحبة واستعلان الآب في المسيح. والمسيح نفسه يضع هذه المقابلة: «لا أعود أسميكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكني قد سمَّيتكم أحباءَ لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥: ١٥). ومرَّة أخرى أطال فيها معنى العبودية:

+ «إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي. وتعرفون الحق والحق يحرِّركم ... مَنْ يعمل الخطية هو عبد للخطية والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أمَّا الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً ... أنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم ... أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تُريدون أن تعملوا ... لكنكم تطلبون أن تقتلوني ... ذاك كان قتَّالاً للناس منذ البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق ... لأنه كذَّاب وأبو الكذَّاب.» (يو ٨: ٣١-٤٤)

هذا هو الفرق بين العبودية والتبني أي حالة أولاد الله. والعبودية عنوانها الخوف والتبني عنوانه الحب والحياة والشركة مع الله.

(ج) أولاد الله ووصاياه: [٤: ١٩-٥: ٥]

٤: ١٩ «نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً».

«نحن نحبه»: ἡμεῖς ἀγαπῶμεν αὐτόν

هنا يوقِّع مستوى الأخلاق المسيحية الحقيقية التي بدونها يُحسب الإنسان المسيحي أنه ليس على مستوى الإيمان الحق. وهنا التركيز واقع على كلمة: "أولاً"، لأنها تفيد السبب والأصل والقدرة الإلهية التي تجعلنا نحن نحبه. فلولا أنه أحبنا أولاً وأعطانا من حبه فمن أين كنا نحبه أو نحب بعضنا بعضاً؟ لأن المحبة مصدرها الله وحده لأن طبيعته هي المحبة. ولا توجد المحبة الصادقة الأصلية إلاَّ فيه وله وحده. ولولا أنه قد أرسل ابنه بسبب هذه المحبة ولإرضاء حبه ما كنَّا قد عرفنا معنى المحبة ولا البنوَّة، ولبقينا تحت الغضب كالباقين. وأمَّا طبيعة المحبة التي صارت لنا من الله فهي محبة لا يمكن حصرها أو حبسها في القلب أو الذات، بل لابد أن تعلن عن نفسها وعن أصل مصدرها. لهذا أعطانا محبته لنعطيها له، هو أعطانا الكثير ونحن نعطي القليل، من يده أخذنا ونعطيه. هي في الله

الأصل والجوهر وفينا بمجرد عطية وهبة، تماماً كما خَلَقنا على صورته كشبهه، وَهَبنا الحب الذي فيه على صورته تماماً وكشبهه تماماً، حتى يجعل منّا أولاداً له حسب مسرة مشيئته، فلمّا يرانا أمامه في القداسة والبر يرتاح لأنه يرى صورته فينا لأننا نكون متحدين في ابنه الحقيقي وحده ولنا صورته، بل ولنا كل ما له «وأنا ممجَّد فيهم» (يو ١٧: ١٠)، «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو ١٧: ٢٢). وهكذا عندما نقف أمامه يرى فينا مجد الابن وملء حبه «مقدَّسين في الحق» (يو ١٧: ١٩). فكلمة «هو أحبنا أولاً» تعبير عن كل ما عمله من بدء تجسُّد ابنه بدافع حبُّه للعالم حتى ارتفاعه إلى السماء، ونحن فيه ليُجلسنا معه في مُلك مجده:

+ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو ١٧: ٢٤)

ولكن ليس من أجل هذا كله نحن نحبّه، ولكن حبنا الذي نحبه به هو عطية منه وهبة، وهبها لنا في ابنه، محبة بنوية فائقة القيمة والقدر، لا نقدمها له وكأنها منّا أو حتى تشبه حبه، فلأنه هو الآب الذي وهبنا محبة الآب كأولاد نقدِّم له حب البنين الذين قد تبنّاهم. فهو أحبنا كآب ونحن نحبه كأولاد، هو متفضِّل في عطائه كآب أمَّا نحن فليس لنا تفضُّل في شيء ولكنه واجب البنين تعبيراً عن شكر وحمد مقيم.

٤ : ٢٠ «إِنْ قَالَ أَحَدٌ: "إِنِّي أُحِبُّ اللهَ" وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟»

يبدو أن معلّمي الهراطقة الذين يدَّعون التسامي في المعرفة وإدراك الله على المستوى الفلسفي، يدَّعون أيضاً أنهم يحبون هذا الإله المتسامي جدًّا، وادعاؤهم ينمُّ عن الكذب لأن تعاليمهم عن الله كذبٌ هي. فالقديس يوحنا يضع محبتهم في الاختبار الذي وصفه الله بالنسبة لوصية المحبة أن يحب الإنسان الله من كل القلب ومن كل الفكر ومن كل القوّة ثمَّ قريبه كنفسه. فهم أخفقوا علناً في محبة الإخوة والمؤمنين الذين انفصلوا عنهم وقاطعوا الكنيسة وتعاليمها. فمن أين تأتيهم محبة الله، أليس هذا كذباً بالضرورة.

لأن الذي يبغض كما سبق وقلنا لم يعرف أن يحب، ومن أين تأتيهم المحبة وهم يصادرون الله نفسه في تعاليمهم إذ يغشون الناس في تعاليمهم عن الله؟ فمن أين لهم المحبة لله ومحبة الله لم تنسكب في قلوبهم بواسطة الإيمان الصحيح بالابن الوحيد الذي نزل من عند الآب وتجسَّد؟

«فهو كاذب»: ψεύστης ἐστίν

ليس قوله الذي يقوله كذباً فقط، بل هو بجملته يُحسب كاذباً أخلاقياً، فالمعرفة الغاشة تولِّد أخلاقاً فاسدة.

لأن الذي يفشل في أن يقدِّم محبته لإخوته الذين معه - يراهم رؤيا العين كل يوم - كيف يتعامل بالمحبة مع الله غير المدرك الذي ليس من هذا العالم. فإن أخفق في تجربة المحبة التي تحت عينيه وبصره فهو كاذب إن قال عن الله إنه يحبه والله لم يره أحد إلاَّ الابن. فإن أنكروا الابن آتياً في الجسد ومعه محبة الله، فمن أين تأتيهم المحبة وهم قد أنكروا معطيها ومصدرها؟ والمسيح قد جاء منظوراً ومسموعاً ومشاهداً، فكيف يدَّعون أن لهم صلة بالذي لم يروه ولم يسمعوه أو يشاهدوه ولم يؤمنوا أو يصدِّقوا الذين رأوه وسمعوه وشاهدوه، بل ولمسوه. وإن كانوا مرفوضين من شركة الكنيسة وبالتالي المسيح والآب فقد داسوا على المحبة الأخوية. والذي لا يحب أخاه لا يحب الله.

فالقديس يوحنا هنا يربط طبيعة المحبة الإلهية بالمعرفة في وسائلها أي الرؤيا، لأنه بالعين الداخلية، عين الإنسان الجديد الذي بلغ الولادة من الله، يرى أولاد الله أباهم السماوي، فإن عدموا العين الجوانية التي لمعرفة الحق فمن أين محبتهم للحق؟

والذي يقوله ق. يوحنا هنا لا يخاطب به الهراطقة بل يخاطب المؤمنين أولاده ليوعِّيهم أن محبة الله نابعة من معرفة الله وإدراكه في القلب، التي يسمِّيها ق. يوحنا هنا "أبصره"، أبصره بالبصيرة الجديدة المفتوحة على السماء ومَنْ أتى منها، ومَنْ هو جالس على عرشها، وهي التي بدأ بها رسالته هذه: «الذي رأيناه.» (١: ١)

ومعروف بالتأكيد بحسب قول المسيح أن «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو ١٤: ٩)

والرؤيا التي يقصدها المسيح والإنجيل في كل ما يخص الله وأعماله هي الرؤيا بالعين المفتوحة على السمائيات، عين الإنسان الجديد التي عبَّر عنها إنجيل ق. لوقا «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤: ٤٥). والتي طوَّبها المسيح دون العين التي لا تُبصر «طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه» (لو ١٠: ٢٣). فالتطويب هنا هو الحصول على حالة سعادة وفرح ومجد بسبب الانفتاح على رؤية الله، ويكون الإنسان قد دخل مجال المجد الإلهي والنور الذي لا يُدنى منه، نور الحق والمعرفة الفائقة والحب المطلق. وغياب محبة الله عن القلب يعني غياب هذه العين وكل مجالها المفتوح على الله. فالقديس يوحنا يختزل الكلام جدًّا عندما يقول: «مَنْ لا يحب أخاه الذي أبصره، كيف

يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره» إنها مأساة البشرية المطموسة العين التي لا تؤمن بالنور الحقيقي.

٤ : ٢١ «وَلَنَا هذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضاً».

+ «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً.» (يو ١٣ : ٣٤)
+ «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌّ واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوَّتك.» (تث ٦: ٤و٥)
+ «فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأُولى والعُظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك.» (مت ٢٢: ٣٧-٣٩)

يُلاحظ هنا أن منطوق الوصية في العهد القديم لم ينسبها إلى المحبة المعطاة لنا ولا استخرج منها المحبة، بل أعطاها كوصية مسلَّمة من البدء، كوصية محـدَّدة بحد ذاتها "لله" و"للأخ"، لله الوصية العظمى وللأخ مثلها في الأهمية.

ولكن لمَّا جاء المسيح استعلن محبة الله المُرسلة للإنسان واستعلن محبة الأخ مستخرجة من صميم محبة المسيح: فالجزء الأول من الوصية «تحبوا بعضكم بعضاً» هو في العهد القديم الجزء الثاني من الوصية، قدَّمه هنا المسيح كجزء أول للوصية الجديدة وأعطاها مضمونها الجديد أنها محبة متبادلة «بعضكم بعضاً»، ثمَّ قدَّم محبته الشخصية «أنا» كجزء ثانٍ للوصية، ولكن جعله الأصل والسبب والنموذج. «محبتكم لبعضكم» هي على أساس ونموذجٍ وأصل «كما أحببتكم». وعلى هذا الأساس بدأنا في العهد الجديد نفسِّر الوصية الأُولى التي جاءت في العهد القديم والوصية الثانية التي جاءت مثلها على ضوء ما قاله المسيح على أساس أن قول المسيح «كما أحببتكم أنا» أن المسيح قد أتى بمحبته لنا من عند الآب، وأن الوصية القديمة «تحب قريبك كنفسك» أخرجناها من حيِّزها اليهودي، باعتبار أن اليهودي أخو اليهودي، إلى وضعها المسيحي الكنسي حيث «بعضكم بعضاً» هي الجماعة المسيحية. ثمَّ أضاف إليها بعد ذلك أن تحب عدوَّك، فأخرجها من الحيِّز المسيحي الضيِّق إلى وضعها العالمي بما يحوي من أعداء وأصدقاء، كما أظهرها الآب على حيِّزها العالمي الكلِّي بغير تفريق: «هكذا أحب الله العالم ...». فالمحبة المسيحية دخلت في عالم النور الإلهي المطلق «أنتم نور العالم ... أنتم ملح الأرض». فالذي يستنير بالمسيحية كنور الآب والابن يصير نوراً للعالم، وتصير محبته محبة كلِّيَّة شاملة. لأن المسيح قد تحصَّل في وضعه المسيحي الصادق على محبة الآب

للعالم، وعلى نفس المستوى من البذل. وقد وضعها ق. بولس كما سبق وقلنا بالعطر الفوَّاح يشتمُّه كل مَنْ يتَّصل بنا: في الذين يحبون كرائحة حياة، وفي الذين يهلكون كرائحة موت دون اختيار منّا أو تفريق.

ولكن رائحة المسيح الذكية هي التي تعمل في الذين يطلبون الحياة كحياة أبدية، والذين يرفضون الحياة في المسيح تكون لهم رائحة غضب تزيد عليهم غضب الله. ولكن في ذلك وبعد ذلك تظل رائحة المسيح الذكية - أي الحب الإلهي الأخوي - تفوح على العالم كله، لا يستطيع الإنسان أن يحبسها في ذاته لئلاً يختنق هو إذا اختنقت هي، لأن الإنسان يحيا بالمحبة ويموت في غيبتها. لأن المحبة هي الحياة عند المسيح وعند كل مَنْ يؤمن به.

الأصحاح الخامس

الأصحاح الخامس

في ختام الرسالة في الأصحاح الخامس أراد ق. يوحنا أن يعيد الغاية من الإيمان ببنوَّة المسيح لله التي سبق أن شرحها في (٢: ٢٢ و٤: ١٥)، فأراد أن يقول لأولاده إن الإيمان ببنوَّة المسيح يؤمِّن العلاقة مع الله. فكل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح يكون مولوداً من الله. فالذين أُرسلت إليهم الرسالة عليهم أن يعرفوا أنهم أولاد الله بالإيمان بالمسيح. هذا الإيمان هو الذي يميِّزهم أنهم مسيحيون، الذين يعبِّرون عن مسيحيتهم لله بطاعتهم لوصايا الله (٥: ١-٥).

١:٥ «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ. وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضاً».

صحتها كما جاءت في اللغة اليونانية والترجمة الإنجليزية: «كل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح **فهو مولود** من الله». بمعنى أن المولود من الله هو الوحيد الذي يعترف ويقول إن يسوع هو المسيح. فالفعل γεγέννηται الذي نترجمه "هو مولود" هو في زمن الماضي التام الذي يعبِّر عن فعل تمَّ في زمن سابق على زمن الفعل ὁ πιστεύων "مَنْ يؤمن" الذي هو في المضارع، وقد جاء نفس الفعل γεγέννηται وفي نفس زمن الماضي التام في (١يو ٤: ٧): «كل مَنْ يُحب فقد وُلِدَ γεγέννηται (هو مولود سابقاً) من ا لله».

هنا القديس يوحنا لا يتكلَّم عن استعلان الإيمان بل عن حقيقة وطبيعة الإيمان، لأنه يخص الله في ذاته، فأصبح من المحتَّم أن لا يعرف ويؤمن بالله إلاَّ المولود من الله.

والقصد النهائي من هذه الآية أن يثبت أن الإيمان هو شهادة ميلاد من الله، وأن محبة الله التي هي أساس كل محبة هي أساس وعلامة محبة الإخوة لأنهم مولودون من الله مثله. وقد أظهر القديس يوحنا أن المحبة أساسها وأصلها هو طبيعة الله، وهي ليست عواطف من الطبيعة البشرية. وقد ذكَّر أولاده كيف أن محبتهم لله هي أصلاً صادرة من محبة الله لنا، وحقيقة دعوتنا إلى محبة الله إنما تشهد عليها وبها محبتنا للإخوة، وهو الآن يمتد ليعلن لماذا وكيف نتأكَّد من إخلاص محبتنا للآخرين. يقول إن محبة الابن لأخيه بالجسد هي حقيقة جسدية، على أن كل مَنْ يحب أباه الذي ولده فهو طبيعيًّا يحب إخوته المولودين من أبيه.

ويخرج من هذا إلى حقيقة أعمال الروح والله والميلاد الروحي للإنسان من الآب، فهي مطابقة.

فما هو حقيقي بالنسبة للأبوَّة والبنوَّة الجسدية هو صادق وأصيل في الأبوَّة والبنوَّة الروحية، التي هي عائلة الله وأهل بيته: «فلستم إذاً بعد غُرباءَ ونُزلاً، بل رعيَّةٌ مع القديسين وأهلِ بيتِ الله» (أف ٢: ١٩). ولهذا نحن في المسيح قد تأهَّلنا أن نكون أهل بيت الله كـأولاد حقيقيين حـاملين سمـة الآب. فإن كنّا نحب الآب الذي منه "وُلِدنا ثانية"، وإن كانت حقيقة محبتنا للآب ظاهرة عملياً في طاعتنـا لوصية الله، فيلزم أن نتأكَّد أن محبتنا لبقية أولاد الله المولوديـن منـه ثانيـةً ــ وهـم إخوتنـا ــ محبة حقيقية وصادقة من قلب طاهر بشدة كما يقول بطرس الرسول (١بط ١: ٢٢). فكل واحد يؤمـن أن يسوع هو المسيح يعلن بهذا الإيمان ما يستعلنه بالحق وبالكلمة وبالفعل، كما هو مقتنع ذهنيًّا أنه اختبر حقيقة الميلاد الجديد. وهكذا فالذين وُلِدُوا من الله عليهم بالحق أن يعلنوا هـذا الحق كـأولاد الله أن كل مَنْ وُلِدَ من الله يحب مَنْ وُلِدَ مـن الله كـأخ وشـريك مـيراث في المسـيح لله. فمَـنْ ذا يستطيع أن يقول إني مولود من الله ولا يحب أخاه المولود معه من الله؟ هنا الإيمان المسيحي حارس ومحقِّق وشاهد على محبة بعضنا البعض.

«كل مَنْ يؤمن»: πᾶς ὁ πιστεύων

+ «وأمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي **المؤمنون باسمه**، الذين وُلِدُوا ليس ... من مشيئة رجل بل من الله (وُلِدُوا).» (يو ١: ١٢و١٣)

واضح هنا أن الإيمان الحقيقي بالمسيح المُرسل من الله للإنسان، يكون معنـاه مـيلاداً جديـداً مـن الله حقًّا دون أن يجعل الإيمان علة أو سبباً للميلاد الجديد؛ ولكن مَنْ يؤمن يكون قد وُلِدَ!! فـالذي يريد أن يشرحه أو يُفسِّره القديس يوحنا ليس أنهم آمنـوا فوُلِـدُوا بـل أن الإيمـان هـو بذاتـه المـيلاد الجديد حقًّا. فالإيمان هنا عند القديس يوحنا هو الميلاد الجديد الحقيقي من الله. والإيمان طالمـا هـو باقٍ وثابت بَقِيَ الميلاد الجديد وثبت بكل مفاعيله. فالمؤمن قد وُلِدَ من الله.

والأفعال التي استخدمها القديس يوحنا في إنجيله وفي هاتين الآيتين (٥: ١و٢) تنـص علـى هـذه الحقيقة: إن الميلاد من الله سابق وليس لاحقاً للإيمان.

وهذه لأول مرَّة يعلنها القديس يوحنا في عالمنا المسـيحي: إن الـولادة مـن الله تحدث أولاً وبهـا يتـم الإيمان بالآب والابـن، وهـذا حـق كـل الحـق، لأن الإيمـان بالمسـيح لا يحـدث إلاَّ إذا انفتحـت البصـيرة، والبصيرة يستحيل أن تنفتح طالما الإنسان عائش في الجسد العتيق. هذا المبدأ هـو المدخـل الوحيـد الرسمـي للإيمان بالمسيح والآب: أن تُولد أولاً بالروح فتعرف في الحال مَنْ ولدك. والعكس محـال ومستحيل، أي

أن تؤمن أولاً بالوالد حتى تُولد منه. وهذا مطابق لما قاله المسيح لنيقوديموس: «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله ... إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٣و٥). هنا الولادة من فوق أو من الماء والروح أساس لرؤية أو دخول ملكوت الله. إذن، يستحيل أن نؤمن بملكوت الله إلاَّ إذا وُلِدنا سابقاً من فوق ومن الماء والروح.

وهذه أول مرَّة يُعرف في المسيحية كلها هذا الوضع: أن يأتي الإيمان بالمسيح والآب بعد الميلاد وليس قبله. فالإيمان بالمسيح ليس هو علَّة وسبب الميلاد الجديد، بل الميلاد الجديد هو علة وسبب الإيمان بالمسيح. وهذا في الوضع الطبيعي حقيقي حقًّا صارخاً، لأن الولد لا يعترف بأبيه الذي ولده إلاَّ إذا وُلِدَ أولاً، فنحن نولد ثمَّ نعترف بالذي ولدنا. هذه الحقيقة طبَّقها القديس يوحنا بأنه يتحتَّم أن نولد ميلاداً جديداً حتى نعترف ونؤمن بالمسيح والآب.

وهذا ما نراه عملياً في يومنا هذا: إن غير المؤمنين بالمسيح يظلون يعاندون ولا يقبلون الإيمان حتى تنفتح بصيرتهم فجأة إمَّا بظهور المسيح أو بإعلان خاص منه، فينفتح ذهن الإنسان غير المؤمن ويستنير وبعد ذلك يقبل الإيمان من ذاته دون إقناع. فهذا حق كل الحق أن مَنْ يؤمن بالمسيح إيماناً قلبياً حاراً، هو إنسان قد وُلِدَ من الله، والإنسان إن وُلِدَ من الله يطلب الإيمان بكل إصرار وقوَّة. الله له مختارون، هؤلاء يتعامل معهم الله ويدعوهم أولاً وهذا يتم معه انفتاح البصيرة، وانفتاح البصيرة معناه ميلاد من فوق.

فالإيمان المسيحي هو في حقيقته الإدراك الروحي للحقائق الإلهية، وهذا هو عمل الحياة الإلهية، أنها توهَب وتُعطَى للإنسان الذي يطلب الحقيقة أو الذي يطلبه الله ليُعلن له ذاته.

وعبارة «مَنْ يؤمن»: ὁ πιστεύων تشرح الإيمان بالحق، مثل: «يؤمنون باسمه» التي جاءت في (يو ١: ١٢)، وهي تعبير عن خضوع إرادي كامل لقبول قيادة مَنْ يؤمن به بحسب ما يعبِّر عنه اسمه.

ولكن القديس يوحنا لم يقف عند الإيمان العقلي بالإدراك وبالإقناع وبالحق، فقد اعتبر أن الإيمان بأن يسوع هو المسيح هو الإيمان بالمسيح أو في المسيح يسوع مباشرة بلا انفصال بين الفكر والعمل. فعند القديس يوحنا لا الإيمان ولا الاعتقاد ولا المعرفة هي مجرَّد أمور عقلية ذهنية.

«يسوع هو المسيح»: Ἰησοῦς ἐστιν ὁ Χριστός

هذا الاعتراف هو في حقيقته الرد على الذي يُنادي به الهراطقة أن يسوع ليس هو المسيح. من هنا جاء هذا الاعتراف بهذه العقيدة في أهم وأوضح معناها عند القديس يوحنا، فهو يؤكِّد ماهية

الإنسان يسوع في المسيح الذي تجسَّد فيه كلمة الله، وذلك في مضادة مع نظريات الهراطقة.

«وكل مَنْ يحب»: καὶ πᾶς ὁ ἀγαπῶν

هنا يقصد محبة الابن بالنسبة للوالدين بالجسد ومعها محبة الإخوة والأخوات. هنا عَبَّرَ على «المولودين من الله» دون أن يعيد ذكرها، بمعنى أن المولود من الله يُحب الله، كالمولود من الجسد الذي يحب أباه الذي ولده. ولكن على أساس أن عبارة «فقد وُلِدَ من الله» هي في زمن الماضي التام، بحيث يأتي الإيمان بعدها أي أن «كل مَنْ يولد من الله يؤمن». وكذلك يأتي الإيمان هنا بقوة لا تُدحض لأنه إيمان بأن المولود من الله يرى الله ويسمعه ويحسّه ويصدِّقه. فإيمان المولود من الله إيمان لا يُجارَى في قوته وثباته وإعلانه وتحمُّله، وإيمان مثل هذا يؤكِّد ويبرهن أنه مولود من الله، بعكس ما تعلَّمنا سابقاً أن الإيمان يأتي أولاً ومن بعده الميلاد الجديد؛ وذلك بسبب الترجمة العربية البيروتية القديمة لفعل وُلِدَ ومولود. فالفعل في اليونانية يأتي صارخاً ينطق بحق اللاهوت الصحيح: «كل مَنْ يؤمن فهو مولود is born»[1]، وليس كما جاءت في الترجمة البيروتية القديمة «فقد وُلِدَ من الله»، جاعلة الإيمان هو الأساس. ومن الجهة العملية في اللاهوت هذا مستحيل أن يؤمن الإنسان أولاً، وكيف يؤمن بأن يسوع هو المسيح دون أن ينفتح ذهنه للإلهيات ويُدرك من نفسه أو بعقله أن الكلمة هو الله وقد صار جسداً وأن هذا هو ابن الله المتجسِّد؟ كيف؟ كيف يؤمن بأخص خصائص الإيمان والعقيدة بعقله أو بفهمه إن لم ينفتح ذهنه أولاً لقبول الحق الإلهي والحب الإلهي «لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني ...» (يو ٨: ٤٢)؟ هنا واضح أن الولادة من الله تُنشئ محبة لله مباشرة، وأيضاً «الذي من الله يسمع كلام الله» (يو ٨: ٤٧) أي يتحتَّم أن يولد من الله أولاً لكي يسمع كلام الله فيؤمن.

والإيمان المسيحي لا ينفصل قط عن المحبة، فالذي يولد من الله يحب الله ولا شيء يقدر أن ينزع إيمانه منه ولا محبته. وسر الثبوت في الإيمان هو سر المحبة والثبوت فيها. وكلا الاثنين هما رأس مال المولود من الله.

---

(1) A. E. Brooke, *The Johannine Epistles*, ICC (1912): "The tenses make it clear that the Divine Begetting is the antecedent, not the consequent of the believing". See also S.J. Kistemaker, *Exposition of the Epistle of James and the Epistles of John*, NTC (1986), p. 347, 348 n.2; J.E. Huther, (*Meyer, Commentary on N.T.* vol. 10), p. 601.

وقد وردت هكذا صحيحة في الترجمة العربية الحديثة التي نُشرت سنة ١٩٩٣م.

٥: ٢ «بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نُحِبُّ أَوْلاَدَ اللهِ: إِذَا أَحْبَبْنَا اللهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ».

هنا يضع القديس يوحنا الاختبار الذي به نعرف أننا نحب بإخلاص، وهو أن تكون محبتنا لله كل حين واضحة وتعمل في الطاعة لمشيئته، حينئذ نتأكَّد أن محبتنا لأولاده صادقة. ويتأتَّى منها أنه عندما نحب الله فنحن نحب أولاد الله أيضاً، على أساس القانون الذي يقول إن محبة الوالد يكون من عملها الأساسي محبة كل المولودين منه. لذلك فواجب محبة الإخوة له مثيله الجسدي الموجود في طبيعتنا، هذا رفَّعه الله على مستوى الروح وعلى مستوى أبوَّة الله لكافة أولاده فصار وصية. والقانون صحيح في الاتجاه الآخر أيضاً أي أننا عندما نكون في حالة محبة حقيقية لأولاد الله، فإننا نعرف أننا نحب الله.

«أولاد الله»: τὰ τέκνα τοῦ Θεοῦ

استخدم القديس يوحنا هنا اصطلاح «أولاد الله» بدلاً من «الإخوة». وهنا استخدم المثيل للمثيل: المولود من الله يحب المولودين من الله. ومعناها بديع أن محبة الله تحمل شهادة على أننا نحب مَنْ هم مثل الله، أو من طبيعة الله.

الجديد هنا هو أن القديس يوحنا قد جمع محبة الله مع حفظ وصاياه كشهادة على أننا نستطيع أن نقول إننا نحب أولاد الله. لأنه إذا جمعنا المحبة مع العمل بالوصايا كانت كل منها حقيقية أصيلة وقد ثبَّتها المسيح:

+ «إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي.» (يو ١٥: ١٠)
+ «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي.» (يو ١٤: ١٥)

وهكذا أصبح أمامنا ثلاث حقائق متلاحمة: محبة الله، وحفظ وصاياه، ومحبة أولاد الله. فلا غِنَى عن اجتماعهم معاً للبرهنة على وجود أية واحدة منها، ولكن الأصل والمنبع بلا منازع هو محبة الله، إن ثبتت فينا ثبت المسيح فينا، وعملنا بوصاياه بقوة المسيح التي تعمل فينا، وأحببنا أولاد الله، لأن محبتنا لله لا تكمل إلاَّ بمحبتنا لأولاد الله. والأصل في هذه الحقائق الثلاث هو الميلاد الجديد من الله الذي يوازي اختيار الله، لأن الذي يختاره الله يُعلن له ذاته وفي الحال تنفتح بصيرته كمولود جديد يتحسَّس طريقه إلى الإيمان وإلى محبة الآخرين وكل الأعمال التي في وصايا الله. تماماً كما حدث لبولس الرسول عدو الكنيسة التي أتلفها بإفراط حسب اعترافه: هذا **اختاره** الله إناءً مختاراً له **فأعلن ذاته له، فآمن** واعتمد **وقام يبشِّر!** هذا هو النموذج المسيحي الكامل. وحينما اختاره الله كان على

أسوأ مستوى، ولم يجار أحدٌ بولس في إيمانه ومعرفته ومحبته الباذلة للكنيسة كلها، بعد أن كان أصلاً مجدِّفاً ومُضطهِداً الكنيسة وقاتلاً!

وهنا تواجهنا حقيقة أن اختيار الله لا يستند على أي شيء صالح فينا، وأن محبة الله إذا انسكبت على أي أحدٍ من المولودين من الله فإنه يستطيع أن يقوم بمحبة الإخوة والكنيسة كلها بقوة وثبات، ومِن ثَمَّ يعمل أعمال الله حسب مشيئة الله، متمِّماً كل وصاياه بكل فرح وكل قدرة بحسب القوة التي تعمل فينا كما يقول القديس بولس نفسه:

+ «والقادر أن يفعل فوق كل شيءٍ، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوَّةِ التي تعمل فينا.» (أف ٣: ٢٠)

+ «... بحسب عملهِ الذي يعمل فيَّ بقوَّةٍ.» (كو ١: ٢٩)

ومن الحقائق المعترف بها أن محبة الله ومحبة الإخوة كلاًّ منهما يبرهن على الآخر. كذلك، فإن محبة الله إذا سكنت قلب إنسان جعلته لا يكف عن العمل بكل ما يريده ويستحسنه الله من وصايا وأعمال فوق المطلوب، ومن أهم وصايا الله المحبة، فهكذا تدور المحبة وتُثبِّت ذاتها لتنتهي حياة الإنسان الروحي كما ابتدأت: تبدأ بالحب وتنتهي بالمحبة بعد أن نعيشها ونعلنها. لذلك جعلها الله أعظم الوصايا وأنها تكميل الناموس وانعكاس صورة الله على الإنسان الروحي كما في مرآة.

٥: ٣ «فَإِنَّ هذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ اللهِ: أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ. وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً».

هنا القديس يوحنا يشرح حقائق هي في نفس الوقت وسائل، لأن محبة الله لا يمكن أن تبقى في القلب عاطلة، فهي تعمل أعمال المحبة لأن طبيعتها كما قلنا فاعلة غير مستكينة ولا هي ساكنة. فالمحبة تتكلَّم بالمحبة وتعمل بالمحبة، وهي القوة التي تهب الإنسان قدرة على الطاعة المذعنة بصورتها الباذلة حتى الموت.

لذلك يضيف القديس يوحنا، وهو في الحقيقة لا يضيف بل يشرح، قائلاً إن وصاياه ليست ثقيلة؛ أما للإنسان العادي الذي لم يَذُق قوة وحركة المحبة فالوصايا فعلاً ثقيلة. ومَن ذا الذي يستطيع أن يحب أعداءه أو يبارك لاعنيه أو يُحسن إلى مبغضيه أو يُصلِّي لمن يسيئون إليه ويطردونه؟ إن المسكونة كلها لم تُنجب إنساناً واحداً قادراً أن يحب أعداءه إلاَّ المسيح! ولولا أن المسيح قد قال: «ثقوا، أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣)، ما استطعنا أن نقف أمام تيار العالم الجارف المميت أو نحتمل عداوته ومهانته وظلمه وقساوته التي تذيقنا الموت كل يوم. ولكن المسيح قد غلب

العالم بحبه وحب الآب فيه فأكمل مشيئة الآب: «هكذا أحب الله العالم ...». فالمسيح كان لسان حاله وهو معلّق على الصليب هو: «هكذا أحب الله العالم»!! ويوم قيامته كان لسان حاله: «ها أنا قد غلبتُ العالم»!! لذلك أُعطيت لنا الوصايا كلها فإذا هي تُعمل بالمسيح «ها أنا أحب العالم»، و«ها أنا قد غلبت العالم». فالوصايا ليست ثقيلة لأن المسيح قد أكملها وأعطانا سر تكميلها وقوة تكميلها، بل حلَّ فينا ليستطيع أن يجعلنا نعمل كل مشيئته بسرّ وجوده فينا: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢: ٢٠)

فالمحبة التي رفعت المسيح على الصليب هي التي أقامته من القبر. فإن سكنت فينا المحبة فنحن قادرون أن نحتمل كل الآلام لأننا واثقون أنها تؤول جميعها إلى نصرة قيامة وحياة من بعد موت.

والقديس يوحنا يجعل «المحبة» و«أن نحفظ وصاياه» قرينين لا يفترقان، كل منهما يثبِّت الآخر ويقوّيه، وكل منهما على مستوى مشيئة الله ورضاه. وإذا اقترنت المحبة بوصايا الله جعلت عمل الوصايا كجناحين يطير بهما الحب ليستقر بهما ويحطّ أمام عرش الله. فالعمل بالوصايا هو استعراض المحبة في عمق أسرارها الباذلة وهو إعلان ناطق عن حضرة الله فينا. وهذا هو الذي قال عنه المسيح أن نشعل المصباح ونضعه على المنارة ليضيء للغادين والرائحين: «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات.» (مت ٥: ١٦)

فالمسيح يخاطب محبِّيه: «لأن نيري هيِّن وحملي خفيف» (مت ١١: ٣٠). فوصاياه ليست ثقيلة على المحبين، بينما هي صعبة وثقيلة لغير المحبين: «ألعلّكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا» (يو ٦: ٦٧)، وذلك عندما قال بعض تلاميذه: "إن هذا الكلام صعب مَنْ يحتمله؟ وذهبوا من ورائه". ولكي يخفِّف المسيح عليهم من هذه الصعوبة قال: «الكلام الذي أُكلِّمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣). وهكذا كل وصاياه! فكلامه ووصاياه لا تؤخذ على مستوى الجسد، فالمسيحية كلها ديانة الروح: تختص بالروح قبل كل شيء ولكن تعتني بالجسد. فالذي يعمل الوصايا بجسده يجدها ثقيلة، ولكن إن كان يعملها بدافع الروح الذي يعين الجسد ويرفعه فوق ذاته فهي تكون سهلة فعلاً لأن الروح يستطيع كل شيء بالمسيح الذي يقوِّينا.

ولكن من السهل أن يغش إنسان ويقول إنه يحب الله وهو في حقيقته يتنكّر لعمل الوصايا ويهرب منها. هذا يكذب على نفسه فقط لأن المحبة لا تُخفَى، فهي نور والكل يراها ويحكم عليها، وعمل الوصايا يُسعد الإنسان ويجعله محبوباً لأن عمل الوصايا كلها محكوم بالمحبة. فالسعيد هو الذي

يسير حاملاً صليب العمل الشاق من أجل المحبة كالسائر بالناي نحو هيكل الرب في يوم عيد، كما يقول العهد القديم. لأن مَن يعمل الوصايا ـــ والمحبة على رأسها ـــ هو إنسان قد غلب نفسه والجسد والعالم، وهو يسير في طريق بغير قدمين، بل هو يطير بجناحي الحب من فوق إلى فوق.

فإن استطعنا أن نعمل الوصايا باستبشار وفرح نُحسب حقًّا أننا نُحب الله، ومحبتنا لله تؤول حتماً وتتحقَّق في محبة كل الناس، يشهد لها الأعداء قبل الأصدقاء، ويصفها الناس أنها قداسة وبرّ، ولكنها في حقيقتها المخفية هي أعمال الإنسان الجديد المؤيَّد بالروح. وهذا هو سر الفرح والسرور الظاهر فيها، بل وسر النجاح الذي يرافقها، وسر أنها هيِّنة وخفيفة في نظر القديس يوحنا.

٥ : ٤ «لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا».

وهنا يبدأ يدخل في سر أن الوصايا ليست ثقيلة، فهنا الجسد العتيق الذي يستثقل عمل الله قد تنحَّى، والذي يعمل الوصايا هنا هو الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في القداسة والبر، وصنعته هي عمل الوصايا بحسب الحب الإلهي المولود به والمولود منه. فهو لا يستثقل الصليب وكل الأعمال التي تؤول إلى الصليب، فهو شريك المسيح فيه.

وقد وضع ق. يوحنا هذه الحقيقة في قالب المبادئ، فعنده أن كل مَنْ وُلِدَ من الله يغلب العالم وبالتالي يغلب أو ينتصر في كل بذل وتضحية وفي أعمال الخير والمحبة. فوصايا المسيح هي عمله الذي تجسَّد ليؤدِّيها لأنها طريقه المؤدِّي إلى الأقداس.

«كل مَنْ وُلِدَ من الله»: πᾶν τὸ γεγεννημένον

هذا اصطلاح يحقِّق بموضعه قوة جديدة ألهمها الله للإنسان غير إمكانياته العتيقة التي للجسد والعالم. فهو هنا مولود من الله يعني أنه حامل قوة من الله مخصَّصة للغلبة على العالم وكل أتعابه وهمومه ومقاوماته. هذا الإنسان الجديد قوَّته الأُولى والعُظمى إيمانه الوثيق بالله وبكل الأعمال التي تؤدّي إلى إرضاء الله أبيه، وقد هيَّأه الله للشهادة لله بأعماله كنور موضوع على منارة ليضيء لكل مَنْ في البيت، بيت الله طبعاً. لماذا هذه القوة؟ لأنها قوة إنسان وُلِدَ من طبيعة الله التي هي المحبة، فهو مولود المحبة يُساق بها سوقاً وتقوده هي إلى كل مَنْ تعوزه المحبة، بل إلى كل يائسٍ وبائسٍ. فرح الإنسان الجديد أن يحمل أعباء الناس ويهوِّن على الناس مشقَّاتهم وأتعابهم.

والمولود من الله يجدِّد قوة لأن إيمانه متجدِّد، وإيمانه بالمسيح يسوع هو إيمان غلبة ونصرة وليس

فيه رائحة الضعف أو الهوان، له رائحة الأبطال الذين يستهينون بالموت وعذاب الموت، اسأل الشهداء!

كالمسيح الذي وُلِدَ ليموت على الصليب هكذا الذي يُولد من الله، يُولد ليحمل عن الآخرين أثقالهم ويتمِّم مشيئة الله في كل أعماله. هو شريك آلام مع المسيح، وشريك موت وقيامة، أخذ منه سر غلبة العالم وكل قوته. فالمولود من الله يعيش على الأرض بأهداف لا يعيشها الإنسان العادي المولود من الجسد. هو مولود من الله لتنتهي حياته عند الله، ولكن وإن عاش على الأرض فهو يعمل لمجد الله ويتمِّم كل وصية كشهادة حيَّة لله. فعمل الوصايا عند الإنسان الجديد هو لإظهار مجد الله حين تكون ذاته غائبة وغير محسوبة عنده لأنه يعمل لآخر، لحساب الذي ولده، ولا يعمل بروح العالم ولا لمجد العالم، لأن جسده العتيق قد مات وصُلب على الصليب، والجديد الذي فيه محسوب أنه ابن القيامة، فهو ينظر إلى فوق ويعمل، ولا يعمل لحساب الأرض أبداً.

والمولود من الله يولد منفتحاً على فوق لأنه مولود من فوق، وحياته كلها تكون لحساب فوق حيث المسيح الذي وُلد له جالس عن يمين أبيه، فالمولود من الله يستمد منه الإرادة والمشيئة والعمل «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا» (في ٢: ١٣). وإيمان الإنسان الجديد، جديد هو، معه يولد وبه يعيش. بمعنى أن الميلاد الجديد للإنسان ليس هو نتيجة إيمان، بل بمجرَّد أن ينفتح ذهن الإنسان ويتقابل مع حقيقة المسيح وجهاً لوجه يتقبَّل الانفتاح كمن يولد، لأنه يستحيل أن ينفتح ذهن الإنسان على السماويات والله بالإيمان، ولكن بالميلاد الجديد، لأن الانفتاح هو الميلاد. تماماً كما حدث لبولس عدو الكنيسة وقاتل المسيحيين، قابله الله في طريق خطَّطه لإتلاف الكنيسة وأعلن له ذاته وهو في أسوأ حالات الإيمان، فانفتح بولس على المسيح وعرفه، وبعد ذلك آمن واعتمد وخدم. بولس وُلِدَ فآمن. فإيمان الإنسان المولود سماوي ويرضع من ثدي السماء ليأتي ويشهد بأعمال السماء، لم يعد ق. بولس بعد أن وُلِدَ من الله يُحسب من العالم أو للعالم، ولا يعمل للعالم أو من العالم. فأعمال الإنسان الجديد هي حسب مشيئة الله فقط، هي محصورة في عمل الوصايا لأنها لمجد الله.

وقد قسَّم ق. يوحنا المؤمنين إلى قسمين: قسم يعمل للعالم ويغش نفسه ويقول إنه يحب الله ويعمل الوصايا، وقسم هم المولودون من الله ويعيشون لله ويعملون أعمال الله ويتمِّمون وصاياه. وكل من القسمين يُعرف من أعماله. فمحبة الآخرين وتنفيذ وصايا الله تشير إلى المولودين من الله.

والقديس يوحنا يركِّز على غلبة العالم بإيماننا. وفي الحقيقة ليس كل إيمان يغلب العالم، بل فقط

إيمان مَنْ حمل الصليب واحتمل الآلام منفِّذاً مشيئة الله. ولا يقدر على حمل الصليب إلاَّ مَنْ غلب أولاً مشيئات الجسد وشهوات العالم، أي غلب ذاته أولاً، هذا مهيَّأ لأن يغلب العالم بإيمانه لأنه يكون إيماناً من صميم القيامة، إيمان الإنسان الجديد بقوة من انتقل من الموت إلى الحياة **بمحبة المسيح** التي تبرهن ذاتها **بمحبة الإخوة**: «إننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة» (١يو ٣: ١٤)، أو **بقوة الكلمة**: «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو ٥: ٢٤)

وقصارى القول إن وصايا المسيح ليست ثقيلة على الإنسان الجديد الذي قد تزوَّد بطاقة محبة الله.

٥: ٥ «مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟».

مرَّة أخرى يرتفع ق. يوحنا إلى الإيمان الذي يستطيع أن يغلب العالم، إيمان الإنسان المولود من الله والذي انفتحت بصيرته وأدرك أن المسيح (مسيَّا) الذي نزل من عند الآب ليتجسَّد هو ابن الله وقد ظلَّ هو هو بعد أن تجسَّد: ابن الله. هذا الإيمان هو حصيلة انفتاح البصيرة تماماً على مستوى الرسل الذين فتح الله ذهنهم ليفهموا المكتوب، أو فتح بصيرة بولس ليرى المسيح في السماء بوجه يلمع كالشمس ويسمع صوته فآمن. أو انفتح ذهن وبصيرة جميع الذين حلَّ عليهم الروح القدس يوم الخمسين أو فيما بعد. حيث يكون الإيمان مسنوداً بعمل الروح القدس لإدراك ما هو غير مدرك والإيمان بأمور لا تُرى، لأن «الإيمان» بالكلمة أي بابن الله أنه قد جاء من حضن الآب ليتجسَّد، يحتاج إلى إيمان استعلاني، أي نظرة مكشوفة، أي عامل روحي وسيط يرفع الغُمَّة عن العين البشرية المريضة التي حجبتها الخطية عن الله. فهنا التجديد بالخلقة الجديدة وإيمانها المكشوف ضرورة حتمية. فمَنْ يؤمن بابن الله الوحيد إلاَّ ابن الله بالتبني بالميلاد الجديد، إذ لا يعرف الابن إلاَّ الابن، ولا يعرف الآب إلاَّ المولود من الآب. لأن المطلوب هنا إيمان الشركة، إيمان مؤمن مدعو لشركة الآب وابنه يسوع المسيح. فالرسالة قائمة على هذه الدعوة: «لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١: ٣). هنا الدعوة مقدَّمة لمن له الإيمان بالآب وابنه يسوع المسيح، فالإيمان المطلوب إيمان عملي له خبرة وعلاقة ومحبة سابقة. فالذي تحقَّق بنفسه وبكل كيانه أن يسوع الناصري المكروز به هو يسوع ابن الله الآتي إلى العالم لخلاص العالم، يكون قد بلغ إلى إيمان الشركة. هذا المؤمن يكون فعلاً قد غلب العالم قبل أن يُقبل في الشركة. لأن قوات العالم تسحب الإنسان بعيداً عن الله، فمن كان تحت سلطان العالم لا يُدعى

للشركة مع الله. علماً بأن الشيطان هو أبو كل المعلّمين الكذبة الذين ينكرون أن يسوع هو المسيح أو أن يسوع هو ابن الله الكلمة المتجسِّد. فالإيمان المطلوب يجب أن يكون محصَّناً ضد المعلّمين الكذبة والعالم الواقع تحت سلطان الكذّاب وأبي كل كذاب. «في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣) والترجمة الصحيحة: "انشرحوا وتشجَّعوا أنا قد غلبت العالم".

فالغلبة قد تمَّت على الصليب وأُعلنت رسمياً بالقيامة، ونحن شركاء في موته وقيامته. فالغلبة تمَّت فيه وفينا ولحساب الآب ولحسابنا كأولاد الله. فالإيمان الصادق يحقّقها ويعيشها ويعلنها لأننا متحدون بموته وقيامته وغلبته. فالغلبة تمَّت وتتم بقوَّته هو، وهذا ما سبق أن قاله ق. يوحنا: «أنتم من الله أيها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم» (١يو ٤: ٤)، وكرَّرها في سفر الرؤيا: «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت» (رؤ ١٢: ١١) وقد ذكرها أيضاً ق. بولس بافتخار:

+ «ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح. إذاً يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين. عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (١كو ١٥: ٥٧و٥٨)

ويمكن اختصارها بقولنا: مَنْ هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي يحيا في شركتنا مع الآب وابنه يسوع المسيح. لأن هذا هو غاية المطاف في ذهن القديس يوحنا.

(د) شهادة الروح: [٥: ٦-١٢]

٥: ٦ «هذَا هُوَ الَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ. لاَ بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ. وَالرُّوحُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ، لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ».

حدث لمَّا أرسل الله ابنه الوحيد الكائن مع الآب من قبل الأزمنة الأزلية ليصنع مشيئته، أنه جاء إلينا في صورة إنسان ليصنع ما أرسله الله من أجله، وفي أدائه لرسالته حدث عملان: الأول المعمودية التي مسحه الله فيها بالروح القدس ليكرز بالسنة المقبولة ويبشِّر مساكين الأرض، أي بالمعمودية والروح القدس قد مُسح ليكمِّل عمله المسيَّاني. والعمل الثاني الآلام التي جازها قبل الصليب، ثمَّ الصليب الذي أكمل به الكفَّارة والشفاعة. فلمَّا جاء المسيح لم يكن بالماء فقط أنه كرز بالرسالة، ولكنها تحققت بالتمام بالدم الذي سفكه حتى آخر نقطة حياة على الصليب. فالقول «هذا هو الذي أتى بماء ودم» هذه الآية هي التي تميِّز رسالة المسيح وعمله. أمَّا عمل الروح

القدس فكان ليشهد كشاهد وحامل الشهادة، وكان عمله مناسباً أشد المناسبة لجوهر الروح واسمه. فالشهادة للمسيح جاءت بالمعمودية حيث شهد صوت الآب من السماء «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مت ٣: ١٧)، والصليب والقيامة هما الشاهد الثاني لموت الرب وقيامته، والروح القدس هو الشاهد في القلوب. هذه الثلاثة تشهد أن ابن الله هو يسوع المسيح.

وأصبح في العالم السرَّان الأساسيَّان: المعمودية والإفخارستيا يشهدان كما هو في الأصحاحين الثالث والسادس في إنجيل ق. يوحنا.

وأيضاً بالرجوع إلى الحادث الذي رافق الصليب بعدما طعنه رئيس العسكر بالحربة في جنبه وخرج منه دم وماء، فقد أكَّده ق. يوحنا بقوله: «والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» (يو ١٩: ٣٥). وقد تأثَّر القديس يوحنا بعد أن شاهد المنظر وظلَّ يردِّده باعتبار أن الماء للغسيل والدم للتقديس وإعطاء الحياة.

ولكن تظل معمودية يوحنا وحلول الروح القدس وصوت الآب كشاهد هي في الأهمية الكبرى، وبعدها الدم سواء في عَرَقه الذي كان يتصبَّب أو نزيف الدم على الصليب الذي استعلن عمله بالقيامة، هما الشاهدان الأعظمان: الأول في بدء الخدمة والثاني كان في ختامها. الأول دفع الخدمة لتقدم عملها والثاني ختم عليها.

«هذا»: οὗτός

يسوع الذي هو المسيح ابن الله، الذي جاء مُرسلاً من الآب هو المسيح "مسيًّا" وهو بنفسه ابن الله. وتجسّد الابن الوحيد في طبيعة بشرية لم يكن عملاً زمانياً بل هو فعل إلهي محض اتَّسم بالدوام والثبوت المطلق، هو أبدي غير مفترق ولا منقسم. فالذي عاش على الأرض وعلَّم وتألَّم ومات وقام هو يسوع المسيح ابن الله المتجسِّد. والمتجسِّد يعني حامل جسد البشرية ليصنع فيها الخلاص والمجد المعدّ.

«أتى»: ὁ ἐλθὼν

هنا الفعل في الماضي البسيط aorist، يعني أنه أتى عملاً ثابتاً دائماً كاملاً كحقيقة ثابتة، كعمل اتخذه كعلامة أو شهادة خضوع وطاعة لأمر الله. لأن مجيء الابن هو نفسه إرسالية الآب، فمجيء ابن الله هو تحقيق الرسالة التي جاء ليكمِّلها. ولأن الرسالة ماسيَّانية في طبيعتها لذلك فإن الآية تعبِّر بالتالي عن عمل ماسيَّاني.

«بماء ودم»: δι ὕδατος καὶ αἵματος

والآية تحمل معنى أكثر مما تعبِّر عنه بالألفاظ. فالمعنى هو أن الذي أتى، أتى ومعه عناصر تمتُّ إلى عمله في مجيئه. ويقول العلماء إن زمن الفعل "أتى" ἐλθών الذي يشير إلى مواقف زمنية محددة في حياة الرب يمنع ويستثني أي إشارة مباشرة إلى الأسرار المسيحية حتى ولو كان الماء والدم يشيران إلى ذلك. ليس فقط لأن الإشارة التي جاءت في (يو ١٩: ٣٤) هي عكس ذلك إذ جاءت «دم وماء» عاكسة ترتيب المعمودية والإفخارستيا، ولكن الذي يمنع معنى الأسرار هو الصعوبة أن تكون هذه الأسرار تعتبر كوسيلة مميِّزة أتمَّ بها المسيح مجيئه!

ولكن من ناحية أخرى فإن معمودية الرب في الأُردن والصلبوت كانا عنصرين أساسيين في تكميل الرسالة التي جاء لتكميلها، وفي ضوء ذلك تقف معمودية الرب والصلبوت أكثر وضوحاً من أي حادث آخر أثناء الرسالة.

وفي ظنّي أن المسيح لمّا طُعن في جنبه بالحربة واتضح فعلاً أنه قد مات، خرج من جنبه دم وماء كإشارة روحية ذات مغزى: أنه بموت المسيح قد تمَّ فعل الغسل بالماء للتطهر وبالدم تمَّ التقديس للفداء. والمعنى أنه بموت المسيح قد أُكمل العهد الجديد من تطهير وفداء، وليس أكثر من هذا. من أجل هذا جاء المسيح ليحقّق فعل الماء والدم. وهذا معناه من جهة العقيدة أنه هو هو المسيَّا الموعود به لتكميل الخلاص والفداء.

فالمسيح ابن الله قد جاء بماء ودم، وهذا يعني تماماً أنه جاء بناموس العهد الجديد كما جاء موسى بالناموس القديم، جاء المسيح بالناموس الجديد ليكمِّل القديم، فالقديم كان يقوم على غسل الجسد والذبيحة في أضعف معناها، أمَّا المسيح فقد جاء لتطهير الكيان البشري بالميلاد الجديد من الماء والروح، وبذبيحة الصليب حيث دم الصليب هو دم الحياة الأبدية الذي يقيم من الموت ويهب الحياة الأبدية. هذا هو التفسير اللاهوتي السليم.

«لا بالماء فقط»: οὐκ ἐν τῷ ὕδατι μόνον

القديس يوحنا متشبِّث بأن الماء والدم أساسيَّان معاً. وواضح أنه يقاوم هرطقة موجودة كانت تقول بغير هذا القول. وهو يرى من الأهمية العُظمى أن يؤكّد الماء والدم وبالأخص الدم بعد الماء كحادثين متتاليين، كوسيلتين قد أتم بهما رسالته، أو على الأقل يشيران إلى ذلك، أي إلى تكميل الرسالة بواسطتهما. كالغسيل والتطهير أو التقديس بدم العهد (كما في القديم).

«الروح هو الذي يشهد»: καὶ τὸ πνεῦμα

حرفيًّا: "والروح هو الشاهد"، وهي تشرح عمل الروح القدس. وعمل الروح القدس الأساسي هو أن **يشهد** لما جاء المسيح ليعمله. ويبدو أن الهراطقة قد أساءوا استخدام الروح القدس وعمل يوحنا المعمدان: «... يوحنا. هذا جاء للشهادة **ليشهد** للنور ليؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور» (يو ١: ٦-٨). لأن الهراطقة قد أعطوا ليوحنا المعمدان وظيفة أعلى وعملاً أعلى من المسيح.

فإن كان الماء والدم يشهدان لرسالة المسيح، فالروح له شهادة هامة أيضاً، فهذا هو عمله كحامل للشهادة «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو **يشهد لي**» (يو ١٥: ٢٦). لذلك فقد أصبح الذين يشهدون ثلاثة: الماء والدم والروح. وهذا هو قانون تكميل الشهادة باثنين أو ثلاثة.

«لأن»: ὅτι

«لأن الروح هو الحق» فكونه يشهد معناه أن الذي يشهد له هو هو الحق والصدق، لأنه خير من يشهد للحق لأن الحق طبيعته. بل خير من يعمل للحق ومع الحق، ولا يمكن أن يوجد حق ولا يشهد له الروح. فأينما وُجد الحق وُجد الروح، وأينما وُجدَ الروح وُجدَ الحق لأنه روح الحق.

٥: ٧و٨ «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ».

«هم ثلاثة»: ὅτι τρεῖς

شهود حقيقة أن يسوع هو المسيح ابن الله، محل ثقة مطلقة، فالشهادة لهذه الحقيقة تشهد بها السماء والأرض. والسماء يشهد فيها ثلاثة، ويشهد في الأرض أيضاً ثلاثة. فوصية الناس بإثبات الحق أصبحت بحسب الأسفار المقدَّسة رسمية وإلهية. فهي تبتدئ في الأرض بالروح والماء والدم. فالمسيح جاء بالماء والدم والروح «ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي» (يو ١٥: ٢٦). هؤلاء الثلاثة هم في الواحد يسوع الذي قد أتى بهم، يعملون معاً لنتيجة واحدة وهي حقيقة أن يسوع هو المسيح ابن الله.

٥: ٩ «إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ شَهَادَةُ اللهِ الَّتِي قَدْ

شَهِدَ بِهَا عَنِ ابْنِهِ».

بمعنى أن شهادة الناس عن يسوع المسيح بأي وسيلة لا تُقارن بشهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه:

+ «وأمَّا أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا. لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكمِّلها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني.» (يو ٥: ٣٦)
+ «أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الآب الذي أرسلني.» (يو ٨: ١٨)

هذه الشهادات تؤثِّر على إيماننا جدًّا لأنها موثوق بها وتلغي أي تعاليم مخالفة، فهي شهادات إلهية وكلها تختص بالله، والله هو المرجع الأول والأخير في كل ما نعرفه ونؤمن به. ذلك فيما يختص بابنه الذي شهد له الآب، فهذه هي «شهادة الحق» حتى ولو كانت كل الشهادات الأخرى صادقة، مثل الروح والماء والدم، التي تشترك في حقيقة واحدة أن يسوع هو المسيح. لأن الهراطقة قد علَّموا تعاليم مخالفة لإيمان الكنيسة فيما يخص المسيح ويوحنا المعمدان. وشهادة الآب والروح في معمودية المسيح في الأُردن وكذلك الصوت القادم من السماء للشهادة قبل الآلام مباشرة (يو ١٢: ٢٨) يعطيان تأكيداً لما تقول به الكنيسة، والقديس يوحنا يؤكِّد على الشهادة نفسها أكثر من الشهود، فهي حقائق، فالماء للتطهير الذي جاء به الابن والدم للتقديس والروح للحياة.

وشهادة المسيح عن نفسه لا يمكن دحضها، أمَّا شهادة الآب عن ابنه فهي قمة الشهادة، فهي الشهادات العُظمى التي تستحق كل قبول.

٥: ١٠ «مَنْ يُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ فَعِنْدَهُ الشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ. مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِباً، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللهُ عَنِ ابْنِهِ».

هنا كل من يثق في الابن ويسلِّم ذاته لقيادته يحصل في نفسه في الحال على شهادة الله التي قد شهدها لابنه، وهذا معناه أنه قد صدَّق الله عن حقيقة ابنه، بمعنى هو نفس ما قاله ق. يوحنا في بداية إنجيله: «وأمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو ١: ١٢). والذي لا يطيع ولا يخضع للابن يكون قد رفض شهادة الله عن ابنه فيكون كمن فقد الحق وبالتالي جعل الله كاذباً لأنه رفض شهادة الله الآب عن ابنه. على أنه ليس هناك أي سبب للتجاهل أو الجهل، فقد سبق الإعلان والاستعلان بالكلمة والعمل والشهادة، كذلك فإن الادعاء بعدم القدرة على الفهم لا مكان له على الإطلاق لأن المسيح يحمل في اسمه وفي شخصه الحق، والحق لا يُجهل ولا

يقبل التجاهل ولا يحتمل عدم الفهم. لأنه بمجرد أن لا تصدّق الله فإنك تنكر الحقيقة والله. فالله قد تكلّم بالمسيح علناً لكل العالم وليس في ركن مظلم، وتكلّم جهاراً وبوضوح معطياً الشهادة لنفسه ولله، فإمَّا أن تُقبل الشهادة أو تُرفض، وهي لا يمكن أن تُنكر. فهنا الاختيار حر للحق أو للباطل، للحياة أو للبقاء في الموت.

والشهادة التي يشهد بها الإنسان إنْ للحق أو للباطل هي شهادة قد أُعطيت لتكون لحياته أو موته، لأن الله أحاط الحقيقة الإلهية بكل إقناع حتى لا يكون هناك رفض مسبب.

٥: ١١ «وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ».

وهنا جاء القديس يوحنا إلى نفس التعبير الذي بدأ به الرسالة: أن الحياة الأبدية كانت مخفية عند الآب (وهي الابن) وأُعلنت لنا (باستعلان الابن)، فآمنا، لأننا رأينا وشاهدنا ولمسنا الابن المستعلن فأصبح لنا شركة مع الآب وابنه يسوع المسيح. وهنا يأتي إلى نتيجة الشهادة، سواء شهادة الدم والماء والروح على الأرض أو شهادة الآب والابن في السماء: أننا عندما نؤمن بالابن معناه أننا نصير فيه أو يصير فينا كامتلاك، وصار هذا اختباراً حيًّا يعيش فيه كل مَنْ آمن.

ويعود ويشرحها كيف صار هذا: فالله قد شهد لابنه عندما أعطى حياة للناس، هذه الحياة الروحية العليا التي يحقّقونها وتصير هي حياتهم بقدر ما يتحدون بالابن يسوع المسيح ابن الله: «وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه». نفس التعبير الذي بدأ به الرسالة: «ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا ... نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو ١: ٢و٣)

واضح إذن أن شهادة الله لابنه هي في ذاتها شهادة بأنه وهبنا الحياة الأبدية بإرسال ابنه حاملاً هذه الحياة، حتى يكون للناس حياة به: «وأمَّا أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل.» (يو ١٠: ١٠)

فإرسالية الابن يميِّزها الماء والدم: التطهير بالماء والتقديس بالدم لنوال الحياة الأبدية التي فيه! هذه الحياة الأبدية هي الحياة الجديدة في الإنسان، وهذه نفسها هي التي تشهد فينا لصدق شهادة الله بأن يسوع هو المسيح.

«أعطانا حياة أبدية»: ζωὴν αἰώνιον

حياة أبدية بدون تعريف بأل "anarthrous" ليؤكِّد على نوع الحياة وصفتها الـتي يمكـن التعبير عنها بعطية الحياة الروحية.

«في ابنه»: ἐν τῷ υἱῷ

الشهادة «عن الابن» والحياة الأبدية «في الابن».

وهكذا رأينا أن موضوع شهادة الله عن ابنه يتحقَّق خاصة بإيماننا به، الإيمان الذي يورِّثنا الحيـاة الأبدية التي فيه، لذلك قال إن «مَنْ يؤمن بابن الله فعنده الشـهادة في نفسـه» (عـدد ١٠)، شـهادة وجود الابن وحياته فينا، فأصبحت الشهادة ليست مجرَّد كلام بل صـارت واقعـاً في حياتنـا وإيماننـا وامتلاكنا المسيح يسوع متحدين به! بل وقد امتلك المسيحي شـهادة الآب الـتي هـي الحق، كقـوة فعَّالة يحيا بها كشريك فيها. لأن الحياة التي نحياها هي التي يحياها الابن كما حدث في لحظة القيامة، فالذي أحيا المسيح أحيانا معه:

+ «فبالأولَى كثيراً ونحن مصالَحون (مع الله) نخلص بحياته.» (رو ٥: ١٠)

فحياة المسيح مصدر خلاصنا وحياتنا:

+ «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته ... فإن كنـا قـد متنـا مـع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو ٦: ٥و٨)

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأمـوات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو ٨: ١١)

هذا يعني أن الحياة الأبدية التي ينالها المسيحي هي أنه بالإيمان شريك في حياة المسيح.

٥: ١٢ «مَنْ لَهُ الاِبْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ».

مطابقة لما جاء في الإنجيل (يو ٣: ٣٦): «الذي يؤمن بـالابن لـه حيـاة أبديـة. والـذي لا يؤمـن بالابن فلن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله».

في الحقيقة إن هذه الآية تختص بما يمتلكه المؤمن من فكـر إيمـاني وإحسـاس أكـثر منـه عمليـاً في الحياة، أي هو مضمون عقيدة قلبية فكرية، لأنه في أثناء الحياة اليومية في العمل تختفي هــذه العقيـدة الفكرية، فالحياة في المسيح موجودة بكل تأكيد في الفكر الإيماني، ولكن وجودها في الحيـاة العمليـة

يكون ككنز مخفيٍّ داخل روح الإنسان كرأس مال حي يحيا به. وهذه الحياة نابعة من الإيمان ومحكومة به.

فالإيمان بالمسيح يسوع كابن الله بشهادة الروح والله، يُترجَم في حياتنا العملية بالحياة الأبدية التي أعطاها لنا الله في المسيح يسوع حتى نتأكد من امتلاكنا الحقيقي للحياة. مثل هذا التأكيد يوجد تلقائياً في الصلاة كما سيُشرح في الأعداد القادمة، وبالأكثر في استجابة الله لسؤالنا إن كان حسب مشيئته، فيسمع لنا. وحينما نحس أن الله قد سمع لنا نكون في حالة إحساس بامتلاك ما نسأله، فالله القدير يقول "فليكن"، أي ليكن ما نطلبه، ولكن التنفيذ قد يأخذ زمناً طويلاً وربما سنين: «فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلَّم ولا تكذب، إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخَّر.» (حب ٢: ٢و٣)

هذا نواجهه باستمرار في الشفاعة من أجل الإخوة، فإذا رأى أحد أخاه يُخطئ خطية ليست للموت، أي ليست تفصله عن المسيح المخلِّص وعن الحياة الأبدية التي أعطاها له الله، فإنه يتشفَّع من أجله كما يقول ق. يوحنا، وحتى إذا تأخَّرت الاستجابة فإنه يحيا. هذه هي الرؤية المتَّسعة للشفاعة التي للمسيح وحده.

وهنا في هذه الآية يقتصر ق. يوحنا على مَنْ له الابن قاصداً استثناء الهراطقة الذين لا يؤمنون بالابن.

الخاتمة

تأكيدات ختامية وتوصية بالتمسُّك بالله الحقيقي والحياة الأبدية

[٥: ١٣-٢١]

٥: ١٣ «كَتَبْتُ هذَا إِلَيْكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلِكَيْ تُؤْمِنُوا بِاسْمِ ابْنِ اللهِ».

كثيرون من الشُّرَّاح جعلوا هذه الآية بداية ختام الرسالة.

هنا يجمع ق. يوحنا كل ما قاله سابقاً في الرسالة «كتبت هذا إليكم» تعني كل الرسالة. ولكنه كتب الرسالة للمسيحيين المؤمنين باسم ابن الله الوحيد، فهو يكتب لمن وضعوا إيمانهم وثقتهم في ابن الله، وهذا يوازي ما جاء في أصحاح سابق بخصوص وصية الله «أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح.» (١يو ٣: ٢٣) = (يو ١: ١٢)

هنا يردِّد مرَّة أخرى «الاسم» «اسم ابن الله» لكي يوضِّح الاستعلان الكامل لابن الله. أي أن كل مَنْ يؤمن باسم ابن الله ينال الغفران من خطاياه وينال الحياة الأبدية. وفي هذه الرسالة وفي هذا الأصحاح بالذات نرى ق. يوحنا يُفصِّل ويوضِّح هذا المطلب أن «تؤمنوا باسم ابن الله». هنا يجمع الإيمان والمعرفة في هذه الآية: تعلمون ... تؤمنوا، وكان قد أنهى أيضاً إنجيله بهذه الكلمات: «وأمَّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه.» (يو ٢٠: ٣١)

فقد يكون أنكم تؤمنون أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكنه يضيف هنا «لكي تعلموا» أي تعرفوا بالتأكيد. لأن هذا هو أسلوب ق. يوحنا حينما يقول: «لكي تعلموا» يكون معناها أن تتأكدوا (انظر: يو ٦: ٦٩، ١٧: ٨)، بمعنى أنه على المؤمنين باسم يسوع المسيح أن يتأكَّدوا أن لهم الحياة الأبدية ولهم الحق أن يكونوا أولاد الله (يو ١: ١٢).

٥: ١٤ «وَهذِهِ هِيَ الثِّقَةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا».

«وهذه هي»: καὶ αὕτη

أي هذا هو الموضوع الذي نتكلَّم عنه، أي التأكيد الذي أصرَّ عليه ق. يوحنا أن نعلم أن لنا حياة أبدية وأننا نؤمن باسم ابن الله، أي التأكيد أن لنا حياة جديدة، والتأكيد = παρρησία أو الجراءة والشجاعة والثقة أن الله يسمع لنا عندما نسأل شيئاً يكون موافقاً لمشيئته. بمعنى أن السؤال يتحقَّق أثناء الصلاة، أي لا نخرج من لدن الله إلاَّ بعد أن نتأكَّد أنه قال "ليكن" Fiat، الأمر الذي يملأ الإحساس أنه قد سمع واستجاب. وقد قابلتنا الثقة في هذه الرسالة في أربعة مواضع: مرَّتان من جهة الدينونة (٢: ٢٨)، (٤: ١٧) ومرَّة للصلاة (٣: ٢١) وهنا الرابعة، بإحساس مَنْ له شركة حقيقية مع الله، حيث الثقة تكون لنا عنده أمامه في العلاقة المحقَّقة بشركة الحياة معه. فثقتنا في الله مؤسَّسة على حقيقة أنه يسمع لنا فيما نسأل، كل ما نسأل حسب مشيئته κατὰ τὸ θέλημα αὐτοῦ. أي لا نسأل شيئاً لا يكون مناسباً للإيمان والمحبة والتواضع وطاعة الله. حينئذ يكون استماع الله موافقاً للتوسُّل مهما كان.

هنا نفهم أن حصولنا على الحياة الأبدية في مشاركة مع الآب والابن يعطينا شجاعة كل الشجاعة παρρησία أي جرأة مكاشفة المؤمن لله، يمارسها في تأكيد أن سؤالاته تكون مسموعة. وهنا ينشأ بالتالي وحتماً حسب الإيمان المسيحي العملي حالة مسرَّة وفرح، أي يعضده الرب بروح سعادة داخلية تكون بحد ذاتها سمة وعلامة أنه قد حدث اتصال روحي وكان له رد فعل.

على أن كل صلاة تُرفع للآب يلزم أن تكون باسم الابن: «ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن، إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.» (يو ١٤: ١٣و١٤)

٥: ١٥ «وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا، نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا الطِّلِبَاتِ الَّتِي طَلَبْنَاهَا مِنْهُ».

ولنا في آية ق. مرقس تشجيعٌ لا حدَّ له من الله أنه إذا صلَّينا لأجل شيء بثقة وإيمان يلزم أن نؤمن أننا قد نلناه:

+ «لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلُّون فآمنوا **أنكم نلتموه** فيكون لكم.» (مر ١١: ٢٤)

وذلك حسب الأصل اليوناني المحقَّق والترجمة الإنجليزية والترجمة العربية الحديثة. أمَّا الترجمة القديمة البيروتية فلم تُظهر هذه الثقة العظمى في استجابة الله باسم يسوع!

من أول نظرة نرى أن الآية (١٥) تكرار لما سبقتها ولكن بالاختبار اللغوي الدقيق نرى ق. يوحنا يقول لأولاده في (١٤) إن الله بالحقيقة يسمع صلواتهم، ثمَّ يؤكِّد في (١٦) هذه الثقة عندما نتقدَّم أمام الله قائلاً: «نحن نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه». هنا لنا في آية ق. مرقس تشجيع مماثلٌ واضحٌ صريحٌ أن كل ما تطلبونه في الصلاة فآمنوا أنكم نلتموه فيكون لكم. لذلك فالقديس يوحنا حينما يقول: «نعلم أن لنا الطلبات التي طلبناها منه» يفيد نفس الشيء، بمعنى أن ما نطلبه نناله في الصلاة، أو حسب الأصل اليوناني: "آمنوا أنكم **نلتموه** فيكون لكم". هنا نخرج من الصلاة واستجابة الصلاة قد صارت بين أيدينا. هذا هو الإيمان وهذه هي الثقة التي أنشأتها فينا شركة الحياة الأبدية، بل هذا هو إيمان الذي يؤمن أن المسيح حيٌّ فيه يشفع في كل صلاة «ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن، إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله» (يو ١٤: ١٣و١٤)، يؤكِّد القول هنا مرَّتين!!

فإجابة السؤال هي على مستوى العطية، وعطية الآب جاهزة في يده، فبالصلاة نمد أيدينا ونأخذها. هذا هو الإيمان، إيمان الثقة في وعد الآب والثقة في وعد الابن والثقة في الحياة الأبدية التي نحياها مع الآب والابن.

وهكذا يؤيِّد القديس يوحنا هذا الإيمان الذي وضع المسيح أساسه، نعلم أي نثق أن لنا الطلبات التي طلبناها منه، أي لنا الإيمان أن ما طلبناه قد صار لنا وقد تحقَّق بحسب غنى سخائه، بل حسب مسرَّة مشيئته. فالأولاد أولاد الله ولهم الحق أن يطلبوا من أبيهم، وأبوهم قد وعد بالحق أنهم مهما طلبوا فعليهم أن يؤمنوا أنهم قد نالوا طلباتهم فتكون لهم. وكلمة فتكون لهم فيها يضع المسيح مسؤولية استجابة الصلاة علينا، لأنها تكون لنا إذا وثقنا أننا أخذناها حال ما طلبناها. هذه هي معاملة الآب مع أولاده، وهذا هو رجاء الأولاد في أبيهم.

+ «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران.» (يع ١: ١٧)

والقديس يوحنا في هذه الآية يكرِّر «نحن نعلم» مرَّتين، فهو يصمِّم أن يغرس في قلوبنا وضمائرنا جوهر الإيمان وهو الثقة في الله وفي اسم ابنه أن الله يسمع لنا صلواتنا، وأن طلباتنا تدخل إلى حضرته فتجد رضىً ومسرَّة واستجابة أبوية لدالة ورجاء الأولاد. والقديس يوحنا حينما وعد بأن لنا طلباتنا التي طلبناها منه كان قاطعاً مانعاً صادقاً مؤكِّداً كمن يأخذ من يد الله ويعطينا. ق. يوحنا كان حبيب المسيح ودالة المحبة جعلته قريباً من قلب المسيح والله. فهو بدالة الحب التي

فيه كلّمنا عن صدق حال الآب السماوي حينما يسمع صلواتنا وتنهداتنا وطلباتنا. وقد وضعها ق. يوحنا في اللغة اليونانية في المضارع وليس في المستقبل ἔχομεν = «لنا الآن»، أي أنه تحصيل حاصل أن تكون لنا طلباتنا بغير تسويف، إن كانت حسب مشيئته.

٥: ١٦و١٧ «إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيَّةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ، فَيُعْطِيَهُ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ. تُوجَدُ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لأَجْلِ هذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ. كُلُّ إِثْمٍ هُوَ خَطِيَّةٌ، وَتُوجَدُ خَطِيَّةٌ لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ».

هنا شفاعة محدودة. وهنا يتكلّم القديس يوحنا عن الشفاعة بالنسبة للجماعة المسيحية من أجل أحد أفرادها. وهنا يضع إمكانياتها وحدودها. فإذا وُجدَ أحد أفراد الجماعة المسيحية يُخطئ خطية لا تؤدّي إلى الهلاك في الابتعاد عن حياة المسيح والرضوخ لمشورة الشيطان كآدم، فيمكن أن يُصلّي أحد أو أن تُصلّي الجماعة من أجل أن يرحمه الله ويشفع فيه المسيح، لأنه ليست هناك قوة شفاعة غير شفاعة المسيح، ولكن هناك خطية لا تصلح لها الصلاة، تلك التي ليست لها شفاعة المسيح، هذه خطية للموت، هذه لا يُصلّى من أجلها. ولكن الخطايا الأخرى لا حصر لها وكلها يُصلّى من أجلها ويسمع الله الصلاة على اسم المسيح بناءً على شفاعة دمه.

والقديس يوحنا يشير هنا إلى موقع الخطية في العهد القديم، إذ توجد خطية يُقدَّم عنها اعتراف وذبيحة فتُغفر وهي خطية السهو، ولكن توجد خطية لا ينفع فيها اعتراف ولا يُقدَّم من أجلها ذبيحة وهي خطية العمد:

+ «وأمَّا النفس التي تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء فهي تزدري بالرب، فتُقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيَّته، قطعاً تُقطع تلك النفس. ذنبها عليها.» (عد ١٥: ٣٠و٣١)

وهي التي بنى عليها سفر العبرانيين تعليمه عن الخاطئ الذي يزدري بدم المسيح:

+ «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحقِّ، لا تبقى بعد ذبيحةٌ عن الخطايا، بل قبول دينونةٍ مخيفٌ، وغيرةُ نارٍ عتيدةٍ أن تأكل المضادين. مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة. فإننا نعرف الذي قال: لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب، وأيضاً: الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع في يدي الله

الحيِّ.» (عب ١٠: ٢٦-٣١)

كذلك يقول سفر العبرانيين:

+ «لأن الذين استنيروا مرَّة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوَّات الدهر الآتي وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه.» (عب ٦: ٤-٦)

والقديس يوحنا لم يذكر ما هي الخطية التي للموت، ولكن سفر العبرانيين قد وضَّحها في هذين الموضعين السابقين، وباختصار هي إنكار المسيح ومَنْ جدَّف على الروح القدس. فهي نوع معيَّن من الخطية محدَّد باتجاهه إلى الموت، لأن ق. يوحنا يحدِّدها بأنها خطية للموت πρὸς θάνατον أي أنها سائرة في طريق الموت، وهو **الموت الروحي**.

ولكن ق. يوحنا يخاطب أولاده بخصوص مَنْ يُخطئ في الجماعة خطية ليست للموت هذا يُصلَّى من أجله، أمَّا الذي يُخطئ خطية للموت فلا يُصلَّى من أجله، بمعنى أنه يُترك لدينونة الله أي ليحكم فيه الرب ولكن لا يحكم عليه أحد. لأنه في العهد القديم كان يُرجم للموت، وهذا غير موجود في المسيحية على أساس أن المسيح قال إن كل خطية وتجديف يُغفر للناس إلاَّ مَنْ جدَّف على الروح القدس.

وهنا يقتصر ق. يوحنا على الصلاة للآب من أجل واحد من أولاده قد أخطأ خطية ليست للموت.

وقد قدَّم لنا القديس يعقوب في رسالته صلاة من أجل الآخرين:

+ «أمريض أحد بينكم فليدعُ شيوخ الكنيسة فيُصلُّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يُقيمه. وإن كان قد فعل خطية تُغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها.» (يع ٥: ١٤-١٦)

وهنا يفتح لنا ق. يعقوب الباب عن الصلاة من أجل المرضى باعتبار أن المرض إمَّا بسبب خطية عابرة مغفورة، وإمَّا بسبب خطية مميتة حيث يؤدِّي المرض للموت كحكم من الله كما في (١كو ١١: ٣٠و٣١).

فعن هؤلاء المرضى نصلِّي: إن كان قد فَعَلَ خطية تُغفر له، وإن كان حكماً من الله فلا صلاة ولا شفاعة.

وكلمة «يطلب فيعطيه حياة» تشير إشارة خفيفة إلى أنه بالصلاة سيصبح قائماً من الموت سواء كان به مرضٌ خلقيٌّ أو مرضٌ جسديٌّ.

«كل إثم هو خطية»: πᾶσα ἀδικία ἁμαρτία ἐστίν

الإثم هنا جاء نفياً للبر، أي كل ما هو ليس برًّا هو خطية، ولكن الأذيكيا ἀδικία ليست هي الأنوميا ἀνομία المشتقة من كلمة الناموس، ولكن الأذيكيا مشتقة من كلمة "البر" الذي في المسيحية، والبار بإيمانه يحيا وعديم البر عديم الإيمان، وعديم الإيمان هو مَنْ يُنكر المسيح ويُنكر الروح القدس، هذا ليس له صلاة ولا شفاعة.

٥: ١٨ «نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لاَ يُخْطِئُ، بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لاَ يَمَسُّهُ».

«نعلم»: οἴδαμεν

هنا المعرفة باطنية إلهامية وهي نابعة من طبيعة الله ومن الحياة التي أعطانا.

«كل مَنْ وُلِدَ»: πᾶς ὁ γεγεννημένος

زمن الفعل هنا مضارع تام بمعنى أنه وُلِدَ ولا يزال مولوداً من الله، وهنا الولادة من الله كما قلنا سابقاً هي ولادة من طبيعة الله، فالتسمية حقيقية كوننا «مولودين من فوق»، «مولودين من الماء والروح» (يو ٣: ٣و٥)، «مولودين ثانية ... بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد» (١بط ١: ٢٣). هنا تمتنع وتستحيل الخطية لأن المولود من الله حامل لطبيعة الله «زَرْعُه فيه»، لذلك يقول إنه لا يعمل خطية بل ولا يستطيع أن يعمل الخطية، فالخطية هي صنعة الجسد العتيق. علماً بأن المولود من الله مولود للحق وبالحق ومن الحق، والخطية هي الغش والكذب والفساد الذي من العالم.

«بل المولود من الله»: ἀλλ᾽ ὁ γεννηθεὶς ἐκ τοῦ Θεοῦ

الذي اختبر مرَّة وإلى الأبد الميلاد الجديد، هذا يحفظ نفسه بالقوة الداخلية التي في الإنسان الباطن التي تعمل لحساب الله والبر. فكل ميلاد جديد له قوة جديدة متجدِّدة. بهذه القوة التي يستخدمها بكامل حريته لا يمكن أن يعمل للخطية ولذلك فالشرير لا يمسَّه لأنه ليس له وجود ولا عمل، فالفكر الجديد الإلهي لا يقربه الشيطان لأنه فكر قائم في الحق الإلهي ومُعانٌ. فحقيقة المولود من الله تحفظه من هجمات الشيطان وحيله.

هنا «يحفظ نفسه» ملقاة على الشخص المولود من الله وليس على الحال. فالمولود من الله يسهر على نفسه، وطالما هو ساهر ومتحفِّظ فمن واقع ميلاده الجديد فإن الشيطان لا يقوى على الاقتراب منه. والسهر والحفظ هما من أعمال الإنسان الجديد أي أن السهر الروحي بالفرح والتزمير عمل لا يستطيع الشيطان أن يقتحمه، الله لا يسمح بذلك.

كما أننا نعلم أيضاً من إنجيل ق. يوحنا أن الله نفسه يشترك في الحفاظ على أولاده من اقتحام الشيطان: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير.» (يو ١٧: ١٥)

«يمسَّه»: ἅπτεται

بمعنى يمد يده للضرر. ومس العدو ليس باليد ولكن بالاحتكاك الذهني أو الجسدي لأذية العقل أو الجسد. فمس الشيطان معناه إمَّا مرض أو معاناة عقلية أو عصبية. فالمولودون من الله محفوظون من مسَّة الشيطان. هنا يقوِّي القديس يوحنا من عزيمة أولاده في نهاية رسالته أنهم محفوظون من ضربات الشيطان بنعمة ميلادهم الجديد من الله. فهي خليقة جديدة غير مستهدفة لتعدِّي الشيطان، وغير مسموح له بالاقتراب إلى أولاد الله الساهرين على أنفسهم. ولكن هذا لا يمنع أن يجول الشيطان ليخطف المتوانين الذين لا يتحفَّظون على أنفسهم:

+ «اصحوا واسهروا. لأن إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ، يجول مُلتمِساً من يبتلعه هو. فقاوموه، راسخين في الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرَى على إخوتكم الذين في العالم.» (١بط ٥: ٨و٩)

+ «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدِروا أن تثبتوا ضدَّ مكايد إبليسَ.» (أف ٦: ١١)

٥: ١٩ «نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ».

«نعلم»: οἴδαμεν

يكرِّرها في نهاية الرسالة ليؤكِّد المعرفة الملهمة التي حصل عليها من الله مع غيره من المختبرين لكي يقنعهم أن ما يقوله هو حقيقة من الله، لكي يثبتوا ويتعزّوا ويثقوا في الله وفي إيمانهم. كذلك كرَّر في الآية السابقة أن أولاد الله لا يخطئون (سبق أن قالها في ٣: ٩) وهنا يزيد أننا بالميلاد من الله صرنا أحراراً من العالم ومتحصِّنين ضد رئيسه.

«أننا نحن من الله»: ἐκ τοῦ Θεοῦ ἐσμεν

وهو التعبير الذي يعادل «نحن مولودون من الله»: «الذي من الله يسمع كلام الله.» (يو ٨: ٤٧)

وهو هنا يضع مقابلة بين الذين وُلِدُوا من الله والذين في العالم.

«العالم كله»: ὁ κόσμος ὅλος

قد وضع وصار تابعاً للشرير πονηρῷ. القصد هنا هو الوضع الأخلاقي، أي أن الشيطان أصبح له عمل تخريبي في كل العالم، والعالم واقع تحت سلطانه:

+ «وأراه جميع ممالك المسكونة ... لأنه إليَّ قد دُفع وأنا أعطيه لِمَنْ أريد.» (لو ٤: ٥و٦)

هنا تظهر القيمة الإلهية الفائقة في أن نولد الولادة الجديدة بالقيامة من الأموات في المسيح يسوع، ويصير لنا حياة جديدة لا تمتُّ لهذا العالم ولا للأشياء التي فيه. من هذا جاءت الوصية موافقة ومتفقة مع وضعنا الجديد «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم» (١يو ٢: ١٥). هذا حَبْكٌ إلهي، فالوصية موجَّهة إلى من أصبح ليس من هذا العالم، آخذاً قوة ونعمة وسلطاناً أن يكون ابن الله الذي يحيا لله في الله. فالعالم لم يعد له سلطان على أولاد الله، وكون الله لا يسمح للشيطان أن يمس أولاده فهذا تحصين سماوي يؤهِّل أولاد الله للعبور من فوق هذا العالم بكل شروره كطائر سماوي يسبح في ملكوت الله. لأن هذا عمل النعمة التي ترافق المولودين من الله الماسكين بالحياة الأبدية، كقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس:

+ «جاهد جهاد الإيمان الحسن، وأمسِك بالحياة الأبدية ...» (١تي ٦: ١٢)

+ «مدَّخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية.» (١تي ٦:١٩)

هؤلاء قد تربَّت لهم أجنحة سماوية غير منظورة يطيرون بها، يسبِّحون في سماوات الله وكأنهم ليسوا من هذا الدهر، وقد ارتفعوا عن صغائر الدنيا، يرونها كما الطائر في السماء الذي ينظر إلى الأرض.

والقديس يوحنا حينما يقول: «نعلم أننا نحن من الله» يضم إلى خبرته خبرة أولاده الذين وُلِدُوا له في المسيح لله، واهباً لهم ما اكتسبه بالروح كميراث كنسي ليذَّخروه ويحيوا به في الشركة التي يدعوهم إليها.

٥: ٢٠ «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ الإِلهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ».

هنا أيضاً يقدِّم خبرته بقوله: «نعلم» وهي حصيلة الحياة كلها في حضن يسوع، وكأن بجيء المسيح بالنسبة له حدث الأحداث كلها وخلاصة كل ما عرف ونهاية كل معرفة. فقوله: «إن ابن

ا الله قد جاء» هو من نور الإيمان الذي أضاء له طريق الحياة كلها: «قال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قِبَل الله وأتيت ...» (يو ٨: ٤٢). هنا يقول ق. يوحنا: «نعلم» لآخر مرَّة وقد قالها في (٣: ٢و١٤، ٥: ١٨و١٩و٢٠)، والعلم بمجيء ابن الله هو غاية كل علم ونهاية كل معرفة، لأن مجيء ابن الله قد نقلنا من عالم الظلمة إلى عالم النور، نقلنا من عالم الأباطيل إلى شركة الحياة الأبدية مع الآب وابنه يسوع المسيح. مجيء ابن الله أعطانا الخلاص من حياتنا القديمة والجسد العتيق ووهبنا ميلاداً سماوياً من فوق بقيامته، وجعلنا بني قيامة أي أولاد الحياة الأبدية. وهنا يزيد علينا شيئاً جديداً بمجيئه إذ أعطانا بصيرة، والبصيرة ليست هي القلب كما يقول بعض العلماء، بل هي الوعي المفتوح على الله لإدراك حقيقة الله وابنه الذي أرسله، هي معرفة الروح القدس، فوهبنا من ملئه ملأً إلهيًّا: «وتعرفون محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣: ١٩)

وأوَّل ما سمعنا عن انفتاح البصيرة سمعناه في نهاية إنجيل ق. لوقا: «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤: ٤٥). هذا هو انفتاح البصيرة لمعرفة أسرار الله ومعنى المكتوب على المستوى الروحي الحقيقي. وتكاد تكون البصيرة المفتوحة هي أعظم هبات الله بالروح القدس لأنها تصل الإنسان بالحق والنور والمعرفة الفائقة، فلا يحتاج الإنسان إلى مَنْ يعلِّمه التي هي إحدى هبات العهد الجديد الفائقة القدر (إر ٣١:٣١-٣٤، عب ٨:١١)، وهي التي يتغنَّى بها ق. يوحنا في هذه الآية أنها من هبات الله بمجيء المسيح وفتح وعي الإنسان على إدراك مكنونات الله والخلاص الأبدي. والبصيرة هي أداة معرفة بالفهم الروحي المنفتح على الله وأسرار الخلاص. وهي هبة يهبها الله لأولاده لإدراك العلاقة والمحبة التي تربطهم بالله «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة» (يو ١: ١٦). والبصيرة لا تختص بالبصر العيني الجسدي ولكنها بصر روحي وسماع روحي وفكر روحي. هي الحواس العليا للإنسان الجديد، هي عيون الذهن المستنير بنور معرفة الله.

«بصيرة»: διάνοιαν

+ «مستنيرة **عيون أذهانكم**، لتعلموا ما هو رجاءُ دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمةُ قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدَّةِ قوَّته.» (أف ١: ١٨و١٩)
+ «لذلك منطقوا **أحقاءَ ذِهنِكُمْ** صاحين، فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمةِ التي يُؤتَى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١بط ١: ١٣)

وهنا أعطى منتهى اتساع الذهن الروحي المفتوح لإدراك الاستعلان.

«لنعرف الحق»: ἵνα γινώσκομεν

واضح هنا أن البصيرة التي وظيفتها إدراك الحـق هـي الوعـي الروحـي المفتـوح علـى الله لإدراك الحق، والحق هو الله. لأن بكلمة «الحق» τὸν ἀληθινόν الله هنـا هـو المقصـود: «وهـذه هـي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك τὸν μόνον ἀληθινόν ويسـوع المسـيح الذي أرسلته.» (يو ١٧: ٣)

هنا البصيرة هي فعلاً لإدراك أعلى المدركات التي للاهوت التي وُهِبَت لنـا بظهـور ابنـه التـاريخي والاستعلاني فأدركنا فيه الإله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الذي أرسله.

«ونحن في الحق»: καὶ ἐσμὲν ἐν τῷ ἀληθινῷ

هنا أيضاً الحق هو الله. وهذا مشروح في (يو ١٧: ٣). وكلمة «نحن في الحـق» تسـاوى «نحـن في الله»: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيـك ليكونـوا هـم أيضـاً واحـداً فينا.» (يو ١٧: ٢١)

«ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح»:

وهي الطريقة التي بها يمكن أن يتم اتحادنا بالله بالحق، لتكون وتكمل الوحدة، كمـا جـاءت في بدء الرسالة: «وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو ١: ٣)

+ «لا يقـدر أحـد أن يُقبـل إليَّ إن لم يجتذبـه الآب الـذي أرسـلني، وأنـا أُقيمـه في اليـوم الأخير.» (يو ٦: ٤٤)
+ «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي.» (يو ١٤: ٦)

«هذا هو الإله الحق»:

هنا من الصعب والعسير على التركيب اللغوي أن تكـون «هـذا» إشـارة للمسـيح وحـده، فهـو تعميم يأخذ معه الحق المتَّصف به الله. فالمشار إليه هنا في الحقيقة هو الله الحق والابن يسوع المسيح الذي أرسله جميعاً. هذا هو الإله الحق الواحد الوحيد. فالله وحده هو الـذي يكمِّـل المعرفـة الكليـة التي للبصيرة الروحية التي وُهِبَت لنا بواسطة يسوع المسيح فعرفنا بها الآب والابن.

«والحياة الأبدية»: καὶ ζωὴ αἰώνιος

هذا هو يسوع المسيح، وأيضاً تشير إلى الله: «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطـى الابن أيضـاً أن تكـون لـه حيـاة في ذاتـه» (يـو ٥: ٢٦) لأن الله في كتابـات ق. يوحنـا هـو المنبـع

الحقيقي للحياة الأبدية والحياة الروحية التي وهبها للإنسان في ابنه.

فالله هو الحقيقي وحده الذي منه وُلِدنا والذي جاء يسوع المسيح ليعرِّفنا به حتى يدخل المؤمنون به حياة الشركة معه!

٥ : ٢١ «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الأَصْنَامِ. آمِينَ».

الأصنام ليست هي أصنام العهد القديم المسبوكة والمطروقة والمنجَّرة، بل يقصد المعرفة المغشوشة التي تعلن أنها من الله وهي من الشيطان. لأننا الآن في المسيح يسوع قد استعلنا الإله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الابن الوحيد المحبوب الذي أرسله ليعطينا بصيرة لنعرف الحق ونُدرك المستعلنات الإلهية التي أتى بها الابن من عند الآب. وبجوار هذا الحق ظهرت ادعاءات كثيرة من معلمين كذبة عن أكاذيب مصطنعة كأنها من الله وهي من الشيطان وعبادات مبسَّطة كاذبة.

وهكذا يختم بالعقيدة المسيحية الحقَّة ويضع مقابلها عقائد مصنَّعة كاذبة سمَّاها أصنام. وما أكثر الأصنام في العالم سواء من جهة المعرفة أو العبادة أو العبودية والاستعباد لأباطيل العالم. ولكن يبقى الحق الإلهي قوة ساحقة، فكل العبادات الباطلة تتغيَّر وتبيد وتفنى، والله الحق هو الذي لا يتغيَّر ولا يفنى إلى الأبد.

انتهت الرسالة يوم الأحد السادس
من الصوم الكبير. أول أبريل سنة ٢٠٠١
الأب متى المسكين

الفهارس

فهرس بأسماء الشخصيات في الكتاب

أثناسيوس الرسولي:
ذكر أن ق. يوحنا كتب رسالته الأولى إلى بارثوس، ٣٧
أغسطينوس:
شرح الرسالة، ٣٧ و ٤٠
شرح الشفيع بمعنى المعزّي، ٧٧
اقتباس للقديس أغسطينوس، ١٦١
إغناطيوس، أسقف أنطاكية:
شهادته عن الدوسيتيين، ١
رجع إلى الرسالة، ١٢
أوريجانوس:
أول مَنْ أطلق كلمة كاثوليكية على الرسالة ١٤
اقتبس من رسالة ق. يوحنا الرسول الأولى، ٣٩
إيرينيئوس:
أسقف ليون، ٨ هـ
أرسل خطابات إلى فلورينس، ٨ هـ
ذكر قصة ق. يوحنا وكيرنثوس الهرطوقي، ١٠
توجد في كتاباته آثار من رسالة يوحنا الأولى، ١٢
شرح أفكار الدوسيتيين، ٢٢
اقتبس من رسالة ق. يوحنا الرسول الأولى، ٣٩
أوضح تعاليم كيرنثوس، ٩٧
بابياس، أسقف هيرابوليس:
سمع القديس يوحنا، ٩
اقتبس من الرسالة، ١٢ و٣٩
بارثوس:
يُعتقد أن ق. يوحنا أرسل إليه رسالته الأولى، ٣٧
بولس الرسول:
خدم في أفسس، ٧، ٣٧
علّمنا سر المسيح، ٤٧
يشتكي من ثقل الجسد العتيق، ٥٠
شرح أن الشركة مع الله هي أساس معرفته، ٧٨
يرتفع إلى مستوى الأزلية ليرى مصدر الأزلية، ١١٠-١١٤
يصف عراك النفس المتجدّدة مع الإنسان العتيق، ١١٩
يجعل المحبة تجمع الناموس كله، ١٢٥
يصف المحبة، ١٣٧
يفتخر بضعفه، ١٤١
المحبة التي يتكلّم عنها يوحنا هي التي يتكلّم عنها بولس الرسول، ١٦٠
بوليكاربوس:
أسقف سميرنا، سمع القديس يوحنا، ٩
ذكر قصة ق. يوحنا مع كيرنثوس الهرطوقي، ١٠
استشهد بالرسالة، ١٢
اقتبس من الرسالة، ٣٩
بوليكراتس:
أسقف أفسس، ٨ هـ
ترتليان:
توجد في كتاباته آثار من الرسالة، ١٢
ديوتريفس:
من الذين قاومهم ق. يوحنا، ١٠
ديونيسيوس:
أسقف الإسكندرية، ٨ هـ
عرف الرسالة، ١٤
ضد المسيح:
ضد المسيح، ٩٢-٩٤ و٩٧ و٩٨
روح ضد المسيح، ١٥٢ و١٥٣
لا خوف من الذين يعملون بروح ضد المسيح، ١٥٣-١٥٥
غايس:
كاهن روماني، ٨ هـ
فالنتينوس، هرطوقي:
توجد في كتاباته آثار لرسالة يوحنا الأولى، ١٢
فلورينس:
تلقّى خطابات من إيرينيئوس، ٩
فيكتور:
أسقف روما، ٨ هـ
فيلُبس المبشّر:
كانت قبور بناته في هيرابوليس، ٨
قايين:
قتل أخاه، ١٢٨ و١٢٩

طبيعة العالم والأشرار الذين فيه هي قاينية، ١٣٠
بغضة قايين القلبية هي التي قادته إلى قبول فكرة قتل أخيه، ١٣٣
كاسيودوروس:
له ترجمة قديمة لرسائل ق. يوحنا الثلاث، ٣٧
ترجم شرح كليمندس للرسالة، ٤٠
كليمندس الإسكندري:
كان يعرف رسالتين فقط للقديس يوحنا، ١٣
ذكر أن ق. يوحنا كتب رسالته الأولى إلى بارثوس، ٣٧
اقتبس من الرسالة، ٣٩
شرح الرسالة، ٤٠
كليمندس الروماني:
اقتبس من الرسالة، ٣٩
كيرنثوس:
خطر التوفيق بين هرطقته والمبادئ المسيحية، ٨
كان من شيعة الدوسيتيين، ١٠
أنكر تجسُّد المسيح، ٩٧
أنكر أن المسيح مولود من العذراء مريم، ٩٨
المسيح يسوع:
شرح إغناطيوس الإيمان الصحيح به، ١٠
المسيح يحتل البداية في كل شيء، ٤٦
جعلنا ق. بولس ندرك سر المحبة، ٤٧
لما دخل حيز الزمان اقترب جداً من الإنسان، ٤٨
يخلي ذاته من المجد الأسنى حتى يستطيع الإنسان أن يراه بالعين المفتوحة، ٤٩
الشركة مع المسيح، ٥٦
مجيء المسيح أكد لنا أن طبيعة الله هي نور، ٦٢
لما حمل خطايا الإنسان في جسده على الخشبة انحجب عنه نور الله، ٦٤
دم يسوع المسيح يطهِّرنا من خطايانا، ٦٥
عمل أعمالاً هي حجة للذين يطلبون وجه الله، ٦٧
رفض كلام المسيح يُعطي الخطية قوة للسيادة، ٦٨
المسيح رأس الخليقة الجديدة، ٧١
هو الوحيد الذي بلا خطية، ٧٢
المسيح البار هو الشفيع للمسيحيين عند الآب، ٧٦ و٧٧
المسيح كفارة لخطايا كل العالم، ٧٨
الثبات في المسيح معناه حياة سعيدة هنية، ٨١ و٨٢
عمل المسيح هو الانتقال من الظلمة إلى النور، ٨٣
مَنْ يحب المسيح يحب أخاه، ٨٤
كل كنوز الحكمة المخفية ظهرت بظهور المسيح، ٩٥
الكذاب هو الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، ٩٦ و٩٧
أولاد الله ومجيء المسيح الثاني، ١٠٣ و١٠٤
متى أُظهر المسيح سنكون مثله، ١١٣
لقد أُظهر المسيح ليرفع خطايانا، ١١٧
مَنْ يثبت في المسيح لا يُخطئ، ١١٨-١٢٠
وصية المسيح هي محبة الإخوة، ١٢٥
وصية الله هي أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، ١٤٢-١٤٦
الروح الذي يعترف بأن يسوع المسيح قد جاء في الجسد هو من الله، ١٥٠-١٥٢
المسيح لما خرج من حضن الآب خرج ومعه وفيه محبة الآب، ١٥٩
مَنْ اعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو في الله، ١٦٨
كل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِدَ من الله، ١٨٠-١٨٢
الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله يغلب العالم، ١٨٩ و١٩٠
نيروكلوس:
هرطوقي من أتباع مونتانوس، ٨ هـ
هابيل:
لقد بقي للعالم بقية بر على يدي هابيل، ١٢٩
يوحنا الإنجيلي:
قبره في أفسس، ٨
اتكأ على صدر المسيح، ٨ هـ
قصته مع كيرنثوس، ١٠
يُعتبر مصدر التقليد الحي، ١١
حفظ التقليد المسيحي الرسولي حتى آخر لحظة في حياته، ٢٢
خدم في أفسس بعد ق. بولس، ٣٧
حاز على شركة المسيح، ٥٧
كتب يوحنا رسالته بسلطان من يُعلم عن شهادة رسولية، ٥٨
ق. يوحنا يتباهى كوننا الآن أولاد الله، ١١٢
يوسابيوس:
مؤلف تاريخ الكنيسة، ٨ هـ
يوستين الشهيد:
توجد في كتاباته آثار من رسالة يوحنا الأولى، ١٢

فهرس بأسماء الأماكن والبلاد

آسيا:
قنصلية آسيا، ٧
تعليم الرسل في آسيا الصغرى، ٨
كانت الرسالة معروفة في مقاطعات آسيا الصغرى، ١٢
كانت الرسالة تخاطب جماعة محدودة في آسيا الصغرى، ٥٥
أفسس:
ضمّت إلى برجاموم في زمن العهد الجديد، ٧
قبر القديس يوحنا هناك، ٨
كتب ق. إغناطيوس رسالة لأهلها، ١٢
خدم فيها ق. بولس الرسول وق. يوحنا، ٣٧
أنطاكية:
تأسيس الكنيسة السريانية، ٨
برجاموم، ٧
تراليا:
مدينة أرسل إغناطيوس رسالة لأهلها، ١٠
تركيا، ٧
روما:
وجدت بها قائمة العهد الجديد، ١٢
سميرنا، مدينة في آسيا الصغرى:
كان بوليكاربوس أسقف عليها، ٩٠
أرسل إغناطيوس رسالة لأهلها، ١٠
فريجية:
كان بها جالية من اليهود، ٧
يوجد بها وادي ليكوس، ٨
فلسطين:
مسيحيون من فلسطين في آسيا الصغرى، ٨
فيلبي:
كتب بوليكاربوس رسالة إلى أهلها، ١٢
قبر:
قبر القديس يوحنا في أفسس، ٨
قيصرية فلسطين:
أعضاء مسيحيون منها ذهبوا إلى آسيا الصغرى، ٨
كولوسي:
تعاليم هرطوقية سادت فيها، ٨
ليكوس:
وادي في فريجية، ٨
ميليتس:
خطاب بولس الرسول لهم ولشيوخ كنيسة أفسس، ٧
هيرابوليس:
بها قبر بنات فيلبُّس المبشِّر، ٨
كان بابياس أسقفها، ٩

الفهرس الموضوعي

إنجيل يوحنا:

علاقة الرسالة بإنجيل يوحنا، ٢٤

أسبقية الإنجيل على الرسالة، ٣٥

وكلمة الحياة هي مفتاح إنجيل يوحنا كله، ٥٢

تغيب الشركة بكل معانيها في إنجيل يوحنا، ٥٧

البدء:

بدأ ق. يوحنا رسالته في الإعلان عن الذي كان منذ البدء، ٤٦

وكذلك افتتح بها إنجيله، ٤٧

استطاع ق. يوحنا أن يُدرك الذي من البدء بالوعي الروحي المفتوح، ٤٨ و٥٠

الثبات فيما سُمع من البدء، ٩٩

إبليس من البدء يُخطئ، ١٢١ و١٢٢

الخبر الذي سمعناه منذ البدء، ١٢٦

تقليد:

ق. يوحنا مصدر التقليد الحي، ١١

تُعتبر الرسالة أقوى تقليد مُسلّم، ١٧

حفظه ق. يوحنا حتى آخر لحظة في حياته، ٢٢

الحق:

معرفة الحق هي شركة في الحق والنور والحياة، ٤٨

المشاهدة تعني التمييز بين ما هو حق أو باطل، ٥٢

تقف رسالة يوحنا بجوار الحق الأسمى، ٥٤

الحق هو أعلى حالات التوافق مع طبيعة الله، ٦٣

مَنْ قال إنه بلا خطية أنكر الحق، ٦٨

إن وُجد الله وجد التمييز بين الباطل والحق، ٧٢

إقامة الحق المسيحي بأوضح صورة، ٧٦

مَنْ لا يحفظ وصايا الله فهو كاذب وليس الحق فيه، ٧٩ و٨٠

المحبة قد تكمّلت بالحق، ٨١

الثبات في المحبة ثبات في الحق، ٨٥

كل كَذب ليس من الحق، ٩٦

الثبات في القلب هو أساس التعليم بالنسبة للحق، ٩٩

المسحة تعلّمنا كل شيء وهي حق وليست كذباً، ١٠١ و١٠٢

الثقة أمام الله في الحق، ١٣٩-١٤٦

الروح القدس هو روح الحق، ١٥٥ و١٥٧

الروح هو الحق، ١٩٣

ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لتعرف الحق، ٢٠٥-٢٠٧

الحواس الأرضية:

لا يمكن رؤية المسيح بها، ٤٩

الحياة الأبدية:

كانت مخفية عند الآب في شخص ابنه الوحيد، ٥٠

رسالة ق. يوحنا تختص بإعلان الحياة الأبدية، ٥٣

الحياة الأبدية كانت عند الآب، ٥٤

ظهرت بتجسُّد المسيح، ٥٥

مقصد ق. يوحنا من استعلان الحياة الأبدية، ٦١

الله وعدنا بالحياة الأبدية، ١٠٠ و١٠١

كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه، ١٣٣ و١٣٤

هذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية، ١٩٥

من له الابن فله الحياة، ١٩٦

من هدف الرسالة أن نعلم أن لنا حياة أبدية، ١٩٨

خطية:

دم يسوع المسيح يطهِّرنا من كل خطية، ٦٥ و٦٦

مَنْ يقترف الخطية هو مسئول عن عمله، ٦٧

مَنْ يرفض كلام المسيح يعطي الخطية قوة لتسوده، ٦٨

عواقب الخطية، ٦٩

غفران الخطية، ٧٠

إنكار الخطية إنكار لصليب وموت المسيح، ٧١

عدم الإحساس بالخطية مصدره عدم الإحساس بالله والمسيح، ٧٢

الخطية تقف مضادة للمُثُل المسيحية، ٧٦

المسيح كفّارة لخطايا كل العالم، ٧٨

الخطية هي التعدِّي، ١١٥ و١١٦

مَنْ يفعل الخطية يُفسد كل الغرض من التجسُّد، ١١٧

مَنْ آمن بالمسيح وتمسَّك به لا يُخطئ، ١١٨

مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس، ١٢١ و١٢٢

المولود من الله لا يستطيع أن يُخطئ، ١٢٣ و١٢٤

لقد حجزتنا الخطية عن الله، ١٦٣

توجد خطية للموت، ٢٠١-٢٠٣

الخليقة الجديدة:
أخذنا الخليقة الجديدة من المسيح بالقيامة، ١١٣
العبرة هي في الحصول على الخليقة الجديدة المعدَّة للملكوت، ١٢٤
الدوسيتيون:
جماعة هرطوقية، ٩
أنكروا سكن الله في جسد بشري، ١٠
رسالة ق. يوحنا الأُولى قاومت أفكارهم، ٢٢ و٥٢
الرجاء:
الرجاء هو قوة الحياة المسيحية، ١١٤
رسالة يوحنا الأُولى:
خلفية الرسالة ومناسبتها، ٧
الرسالة في الكنيسة الأُولى، ١٢
الرسالة في الوسط المسيحي، ١٤
معالم الرسالة وتفاصيلها، ١٧
تركيب الرسالة وأسلوبها، ٢٠
الغاية والقصد والعقيدة، ٢٣
علاقتها بإنجيل يوحنا، ٢٤
أسبقية الإنجيل على الرسالة، ٣٥
غرض الرسالة، ٣٦
لِمَنْ أُرسلت الرسالة، ٣٧
الأعداء وأضداد المسيح والمعلِّمون الكذبة في الرسالة، ٣٨
الاقتباسات التي للعلماء والآباء الأوَّلين، ٣٩
المخطوطات التي احتفظت بهذه الرسالة، ٣٩
تاريخ شرح الرسالة، ٤٠
الفكر اللاهوتي للرسالة، ٤٠
أقسام الرسالة:
بداية الرسالة، ٤٦
اختبار الشركة أخلاقياً مع الله، ٦٠
روح / أرواح:
امتحان الأرواح، ١٤٨-١٥٠
كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، ١٥٠-١٥٢
كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد فليس من الله، ١٥٢ و١٥٣
معرفة روح الحق من روح الضلال، ١٥٦و١٥٧
نثبت في الله لأنه قد أعطانا من روحه، ١٦٧ و١٦٨
شهادة الروح، ١٩٠-١٩٧
الشركة:
مُصطلح يُستخدم في هذه الرسالة فقط، ٥٦
الكلمة غائبة بكل معانيها في إنجيل يوحنا، ٥٧
الشركة مع الله واختبارها، ٦٠
نور الشركة مع الله، ٦١
الشركة مع الآب لا تستقيم مع السلوك في الظلمة، ٦٢
الشركة مع الله هي شركة في النور، ٦٣
الشركة بعضنا مع بعض، ٦٥
الشركة مع الله هي أساس معرفته، ٧٨
شركة الطبيعة الإلهية، ١٠٨
بالقيامة صرنا شركاء حياة جديدة أبدية، ١١٣
نحن مدعوون للاشتراك في المجد المعد، ١١٥
شركة حياة بارة مع المسيح البار، ١٢٠
الشركة المسيحية تقوم على البذل ووضع الذات، ١٣٦
أعطانا الله من حبه لكي نعطيه للآخرين فنصير في صميم الشركة، ١٦٤
الظلمة:
تحاول أن تعرقل مسيرة النور، ١٧
الله نور وليس فيه ظلمة، ٦٠
الظلمة في المفهوم الإلهي هي إبليس، ٦١
لا شركة للسلوك في الظلمة مع الآب، ٦٢
إذا تعايش الإنسان مع الظلمة فقد رؤية النور، ٦٣
معنى الظلمة روحيًّا هو غياب النور، ٦٤
إن وجد الله وجد التمييز بين الظلمة والنور، ٧٢
الانتقال من الظلمة إلى النور هو انتقال من الخطية إلى عصر القيامة، ٨٣
مَنْ يُبغض أخاه فهو في الظلمة، ٨٤ و٨٦
البشرية وهي في عالم الظلمة تئن من ثقل الغربة عن الله، ١٦١
الفرح:
البشارة للآخرين تُنشئ فرحاً للسامع، ٥٩
كلمة الله:
بدأ ق. يوحنا رسالته معلناً عنها، ٤٦
مساوية للحق، ٧٢
مَنْ يحفظ كلمة الله تكمَّلت فيه محبة الله، ٨٠
يلزم أن تكون فعَّالة في الوعي الروحي للمؤمن، ١٢٣
الإنجيل هو كلمة الله، ١٥٥
كنيسة / كنائس:
سبع كنائس آسيا، ٧
المسيح رأس الكنيسة، ٧١

يحذّر ق. يوحنا الكنيسة من محبة العالم ومن المعلّمين الكذبة، ١٠٥
لولا الأبرار لاضمحلّت الكنيسة، ١٢٩
الكنيسة السريانية:
أسّسها المسيحيون بعد رجم استفانوس، ٨
المحبة:
سيف المحبة يفصل بين مَنْ هو مع المسيح أو ضدّه، ١٧
محبة الله تكمل بحفظ كلمة الله، ٨٠
المحبة والنور الحقيقي، ٨٢
وصية المحبة القديمة دخلت عصر النور والحياة، ٨٤
الثبات في المحبة ثبات في الحق، ٨٥
المحبة فعل إيجابي خلّاق، ٨٧
الحث للأولاد والآباء لمحبة الآب إزاء محبة العالم، ٨٧-٨٩
إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب، ٨٩-٩١
من محبة الآب أنه أعطانا أن نُدعى أولاد الله، ١٠٨-١١١
محبة الإخوة هي موضوع فاعلية البر، ١٢٥
السقوط في امتحان المحبة سقوط من العلاقة بالله، ١٢٦
محبة بعضنا لبعض، ١٢٦ و١٢٧ ١٤٢-١٤٦
قايين نموذج غياب المحبة الأخوية، ١٢٨-١٣٠
محبة الإخوة تنقلنا من الموت إلى الحياة، ١٣١ و١٣٢
عرفنا المحبة عندما وضع المسيح نفسه لأجلنا، ١٣٤-١٣٦
مَنْ يتغافل عن احتياجات الإخوة لا تثبت محبة الله فيه، ١٣٦ و١٣٧
المحبة بالعمل والحق، ١٣٧ و١٣٨
محبة الله ومحبتنا لبعضنا البعض، ١٥٨-١٦٧
مَنْ يثبت في المحبة يثبت في الله، ١٦٩ و١٧٠
كمال المحبة هي أن يكون لنا ثقة في يوم الدين، ١٧٠-١٧٢
لا خوف في المحبة، ١٧٢-١٧٤
نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً، ١٧٤ و١٧٥
مَنْ قال إنه يحب الله وهو يُبغض أخاه فهو كاذب، ١٧٥-١٧٧
مَنْ يحب الله يُحب أخاه أيضاً، ١٧٧ و١٧٨
مَنْ يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً، ١٨٢ و١٨٣
إذا أحببنا الله نعرف إننا نحب أولاد الله، ١٨٣-١٨٥
المحبة التي من الله هي أن نحفظ وصاياه، ١٨٥-١٨٧
المسحة ٩٤ و٩٥
المسحة ثابتة فينا، ١٠١ و١٠٢
معلّم / معلّمين:
مصدر المعلمين الكذبة، ١٥٥
نبي / أنبياء:
خروج الكثير من الأنبياء الكذبة، ١٤٨-١٥٠
الأنبياء الكذبة هم من أهل العالم، ١٥٤
النور:
مسيرة النور تحاول الظلمة أن تعرقلها، ١٧
الله نور وليس فيه ظلمة، ٦٠
النور يصف طبيعة الله، ٦١
تفقد العين رؤية النور إذا تعايش الإنسان مع الكلمة، ٦٣
غياب النور ينتج الظلمة، ٦٥
اهتمام ق. يوحنا بإظهار أن الله نور، ٧٣
المحبة والنور الحقيقي، ٨٢
مَنْ قال إنه في النور وهو يُبغض أخاه فهو في الظلمة، ٨٤
مَنْ لا يحب أخاه يُبغض الله ويُبغض النور، ٨٥
الذي يقول إن الله نور يقول إن الله بار، ١٠٦
ولد / أولاد:
الحث للأولاد والآباء لمحبة الآب إزاء محبة العالم، ٨٧-٨٩
من محبة الآب أنه أعطانا أن نُدعى أولاد الله، ١٠٨-١١١
أولاد الله ووصايا، ١٧٤-١٧٨
إذا أحببنا الله نحب أولاد الله، ١٨٣-١٨٥
كل مَنْ وُلِدَ من الله يغلب العالم، ١٨٧-١٨٩
مَنْ وُلِدَ من الله لا يُخطئ، ٢٠٣ و٢٠٤
أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام، ٢٠٨

